



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمران

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir



مع الركب الحسيني

الامام الحسين عليه السلام
في مكة المكرمة

تأليف :

نجم الدين الطيبي

جلد (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمه ، مع الركب الحسينى

كاتب:

نجم الدين طبسى

نشرت فى الطباعة:

سپهر انديشه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمه ، مع الركب الحسينى المجلد ١
١٣	اشارة
١٣	مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الاول)
١٣	اشارة
١٣	المقالة الاولى: حركة النفاق ... قراءة فى الهوية والنتائج ص : ٣٥
١٣	اشارة
١٤	التعريف: ص : ٣٧
١٤	المشهور الخاطى عن البداية والنهاية: ص : ٣٨
١٧	فصائل حركة النفاق: ص : ٤٦
١٧	حزب السلطة: ص : ٤٦
٢١	منافقو أهل الكتاب: ص : ٥٨
٢٦	منافقو أهل المدينة: ص : ٦٨
٢٨	الحزب الاموى: ص : ٧٣
٣٢	منافقون نفعيون: ص : ٨٤
٣٢	المنعطفات الاساسية ونتائجها: ص : ٨٤
٣٢	السقيفة: ص : ٨٤
٣٥	نتائج السقيفة: ص : ٩٢
٣٥	اشارة
٣٦	١ (إقصاء) (الوصى الشرعى (ع) عن مقامه ص : ٩٢
٣٦	٢ (التضييق على أهل البيت (ع) ص : ٩٣
٣٦	٣ (منع بنى هاشم من تولّى المناصب الحكوميه ص : ٩٣
٣٦	٤ (بسط يد الامويين فى تولّى المناصب الحكوميه ص : ٩٤

- ٣٧ ٥) انتعاش الروح القبليّة وانبعائها من جديد ص : ٩٥
- ٣٧ ٦) محاصرة السنّة النبويّة علنا ص : ٩٦
- ٣٨ ٧) نشوء حالة الشلل النفسى فى الامة ص : ٩٨
- ٤٠ خلافة عمر بن الخطاب: ص : ١٠١
- ٤٠ اشارة
- ٤٠ أ) مبدأ عمر فى العطاء ص : ١٠٢
- ٤١ ب) الشورى ص : ١٠٤
- ٤٢ ج) نتائج الشورى ص : ١٠٦
- ٤٢ اشارة
- ٤٢ ١- مواصلة إقصاء (الوصى الشرعى) ص : ١٠٦
- ٤٢ ٢- استيلاء الحزب الامويّ على الحكم ص : ١٠٦
- ٤٢ ٣- أثر الشورى نفسياً على الانصار ص : ١٠٦
- ٤٢ ٤) الطمع المفتوح فى الخلافة ص : ١٠٧
- ٤٣ ٥) تعاظم منطق السقيفة القبّل ص : ١٠٨
- ٤٤ خلافة عثمان: ص : ١٠٩
- ٤٤ اشارة
- ٤٤ نتائج عهد عثمان ص : ١١٠
- ٤٤ اشارة
- ٤٤ ١) اتساع الهوة فى الفروق الطبقيّة ص : ١١٠
- ٤٥ ٢) انفتاح باب القتل والقتال على هذه الامة إلى يوم القيامة ص : ١١٢
- ٤٦ ٣) ارتفاع درجة الشلل النفسى فى الامة: ص : ١١٣
- ٤٦ عهد معاوية: ص : ١١٤
- ٤٦ اشارة
- ٤٧ نتائج عهد معاوية ص : ١١٥

- ٤٧ اشارة
- ٤٧ ١ تحوّل شكل الحكم من الخلافة إلى الملك ص : ١١٥
- ٤٧ ٢ التعقيم الكامل على فضائل أهل البيت (ع) واختلاق مثالب لهم: ص : ١١٦
- ٤٧ (أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضائل أبي تراب وأهل بيته)، «٥» ص : ١١٦
- ٥٠ ٣ انخداع جلّ الامّة بالتضليل الديني الاموي ص : ١٢١
- ٥١ ٤ اضطهاد الشيعة: ص : ١٢٦
- ٥٣ ٥ تمزق الامّة الاسلاميّة قبلها وطبقيا ص : ١٢٩
- ٥٤ ٦ الانتكاس الروحي والنفسي في الامّة: ص : ١٣٢
- ٥٦ المقالة الثانية: بين يدي الشهيد الفاتح ص : ١٣٩
- ٥٦ اشارة
- ٥٧ «الشهيد الفاتح» من الخصائص الحسينية: ص : ١٤٣
- ٥٩ منطق الشهيد الفاتح: ص : ١٤٧
- ٦٨ آفاق الفتح الحسيني: ص : ١٧٠
- ٦٨ اشارة
- ٦٩ مقطع عصر عاشوراً: ص : ١٧٢
- ٦٩ اشارة
- ٦٩ أ) الفصل بين الاموية والاسلام ص : ١٧٢
- ٧١ ب) - عاشوراً، بداية نهاية الحكم الاموي ص : ١٧٧
- ٧١ اشارة
- ٧١ ١- إنتفاضة عبدالله بن عفيف الازدي (رض) ص : ١٧٧
- ٧٢ ٢- ثورة المدينة: ص : ١٧٨
- ٧٢ ٣- ثورة التوابين ص : ١٧٩
- ٧٣ ٤- ثورة المختار (ره) ص : ١٨٠
- ٧٣ ٥- قيام زيد بن علي ص : ١٨١

- ٧٣ مقطع ما بعد عاشوراً إلى عصر الظهور: ص : ١٨٢
 ٧٣ اشارة
 ٧٤ الاسلام حسينى البقاء ص : ١٨٢
 ٧٤ سرّ تاء كيد الائمة (ع) على عزأ الحسين (ع) وزيارته ص : ١٨٣
 ٧٥ مقطع عصر الظهور: ص : ١٨٦
 ٧٥ اشارة
 ٧٥ قيام المهدي (عج) هو الفصل الاخير من قيام عاشوراً ص : ١٨٦
 ٧٦ دلائل روائية ص : ١٨٧
 ٧٧ الفصل الاول: الامام الحسين (ع) بعد اخيه الامام الحسن (ع) ص : ١٩٣
 ٧٧ مكانة الامام الحسين (ع) فى الامة: ص : ١٩٣
 ٨٠ الاخبار بمقتله (ع): ص : ٢٠٠
 ٨٣ زوبعة اليوم الاول: ص : ٢٠٨
 ٨٥ نظرة الامام الحسين (ع) إلى صلح أخيه (ع) مع معاوية ص : ٢١٣
 ٨٥ القيام عند أهل البيت (ع): ص : ٢١٣
 ٨٧ الخيارات المتاحة للامام الحسن (ع): ص : ٢١٦
 ٨٧ اشارة
 ٨٧ ١ (بقاء الحالة القائمية ص : ٢١٦
 ٨٧ ٢ (حالة الحرب واحتمالاتها ص : ٢١٦
 ٨٨ ٣) الصلح ص : ٢١٧
 ٨٨ صدق أبو محمد (ع) ص : ٢١٨
 ٨٩ مواصلة الامام (ع) الالتزام بالهدنة ص : ٢٢١
 ٩٠ موقف معاوية من الامام الحسين (ع) ص : ٢٢٣
 ٩٠ دعوى) الدم المضمون فى بنى عبد مناف (وحقيقتها ص : ٢٢٣
 ٩١ الرقابة المشددة على الامام (ع) ص : ٢٢٥

- الخط العام في رسائل معاوية إلى الامام (ع) ص : ٢٢٩ ٩٣
- لماذا لم يثر الامام الحسين (ع) على معاوية؟! ص : ٢٣٢ ٩٤
- فيه، فهو يرى أن على الامام (ع) أن يفى بالعهد وألا ينقض البيعة. ص : ٢٤٣ ٩٨
- الفصل الثاني: المعالم العامة لنهج الامام الحسين (ع) في عهد معاوية ص : ٢٤٥ ٩٩
- اشارة ٩٩
- الدعوة إلى الحق والدفاع عنه: ص : ٢٤٧ ٩٩
- اشارة ٩٩
- التعريف بمكانة أهل البيت (ع) وفضلهم ومعرفتهم: ص : ٢٤٨ ٩٩
- استثمار المناسبات الدينية لنشر الحق وكشف التضليل الاموتى ص : ٢٥٧ ١٠٣
- احتجاجه (ع) على العلماء ودعوتهم إلى نصره الحق: ص : ٢٦٢ ١٠٦
- إحتجاجاته (ع) على معاوية وبنى أمية ص : ٢٦٥ ١٠٧
- رعاية الامام (ع) للامة عامة وللشيعة خاصة ص : ٢٧٧ ١١١
- قاطعيته (ع) في رفض الاقرار بولاية يزيد والبيعة له ص : ٢٨٩ ١١٧
- مختصر قصة البيعة ليزيد بولاية العهد ص : ٢٨٩ ١١٧
- المواجهات الحادة ص : ٢٩٣ ١١٩
- روايات مكذوبة على سيرة الامام الحسين (ع) ص : ٣٠١ ١٢٣
- اشارة ١٢٣
- الرواية الاولى: ص : ٣٠٢ ١٢٣
- الرواية الثانية ص : ٣٠٥ ١٢٤
- الرواية الثالثة ص : ٣٠٧ ١٢٥
- الرواية الرابعة ص : ٣١١ ١٢٧
- الفصل الثالث: قصة بداية الثورة ص : ٣١٧ ١٣٠
- اشارة ١٣٠
- موت معاوية بن أبي سفيان: ص : ٣١٩ ١٣٠

- ١٣٢ ولولا هواى فى يزىد لا بصرت رشدى ص : ٣٢٤
- ١٣٤ شخصية يزىد بن معاوية: ص : ٣٣٠
- ١٣٨ الخبر فى المدينة: ص : ٣٣٨
- ١٤٠ الاستدعاء والتشاور فى المسجد: ص : ٣٤٤
- ١٤٤ لقاء المناورة وإعلان رفض البيعة: ص : ٣٥٢
- ١٤٤ اشارة
- ١٤٥ تاءملّ و ملاحظات: ص : ٣٥٦
- ١٤٥ اشارة
- ١٤٥ ١ (الخطّة العسكرية للحفاظ على حياة الامام (ع) ص : ٣٥٦
- ١٤٦ ٢ (لماذا طلب الامام (ع) أن يدعى إلى البيعة علنا مع الناس؟! ص : ٣٥٧
- ١٤٧ ٣ (مروان ... والغرض المزدوج ص : ٣٥٩
- ١٤٨ ٤ (شخصية الوليد بن عتبة ص : ٣٦١
- ١٥٠ ٥ (مع العامل الاول من عوامل الثورة الحسينية ص : ٣٦٥
- ١٥١ الفصل الرابع بداية رحلة الفتح بالشهادة ص : ٣٧٢
- ١٥٢ اشارة
- ١٥٢ لماذا لم يبق الامام (ع) فى المدينة المنورة؟ ص : ٣٧٣
- ١٥٣ الليلة أو الليلتان الاخيرتان فى المدينة: ص : ٣٧٦
- ١٥٥ لقاءات الوداع فى المدينة ص : ٣٨١
- ١٥٥ اشارة
- ١٥٥ عزاً نساء بنى عبدالمطلب ص : ٣٨٢
- ١٥٦ عزاً أم المومنين أم سلمة (رض): ص : ٣٨٤
- ١٥٧ أم سلمة (رض) والودائع ص : ٣٨٥
- ١٥٧ عمر الاطرف ومنطق المداهنة وحبّ السلامة!! ص : ٣٨٥
- ١٥٨ محمّد بن الحنفية ... النصيحة والوصية ص : ٣٨٧

- ١٥٩ تاءمل وملاحظات: ص : ٣٩٠
- ١٥٩ الامام (ع) فى المدينه يتحدّث عن مصرعه فى العراق!! ص : ٣٩٠
- ١٦٠ مع العامل الالهّم من عوامل الثوره الحسينيه ص : ٣٩١
- ١٦٢ سيره الاصلاح ص : ٣٩٧
- ١٦٣ لماذا الخروج من المدينه ليلا!! ص : ٣٩٩
- ١٦٤ الاصرار على الطريق الاعظم! ص : ٤٠١
- ١٦٥ الركب الحسيني الخارج من المدينه: ص : ٤٠٤
- ١٦٥ بنو هاشم: ص : ٤٠٤
- ١٦٦ الانصار الاخرون: ص : ٤٠٦
- ١٦٦ اشاره
- ١٦٦ ١ (عبدالله بن يقطر الحميري ص : ٤٠٦
- ١٦٧ ٢ (سليمان بن رزين مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧
- ١٦٧ ٣ (أسلم بن عمرو مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧
- ١٦٧ ٤ (قارب بن عبدالله الدثلي مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧
- ١٦٧ ٥ (منجح بن سهم مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٨
- ١٦٧ ٦ (سعد بن الحرث الخزاعي مولى على (ع) ص : ٤٠٨
- ١٦٨ ٧ (نصر بن أبى النيزر مولى على (ع) ص : ٤٠٨
- ١٦٨ ٨ (الحرث بن نبهان مولى حمزه بن عبدالمطلب (ع) ص : ٤٠٩
- ١٦٨ ٩ (جون بن حوى مولى أبى ذر الغفارى (ر) ص : ٤٠٩
- ١٦٨ ١٠ (عقبه بن سمعان ص : ٤١٠
- ١٦٩ لقاءات فى الطريق ص : ٤١١
- ١٦٩ اشاره
- ١٦٩ لقاءه (ع) بآءفواج من الملائكه ومؤمنى الجن ص : ٤١١
- ١٦٩ اشاره

- ١٧٠ «إشارة»: ص : ٤١٣
- ١٧٠ أنصار آخرون يلتحقون بالركب من منازل جهينة ص : ٤١٥
- ١٧١ هل لقي الامام (ع) ابن عباس وابن عمر في الطريق إلى مكة؟ ص : ٤١٥
- ١٧٢ لقاءه (ع) مع عبدالله بن مطيع العدوى ص : ٤١٩
- ١٧٣ من هو عبدالله بن مطيع العدوى؟ ص : ٤٢١
- ١٧٤ هل وصلت إلى الامام (ع) رسائل قُبَيْلَ رحيله عن المدينة؟ ص : ٤٢٣
- ١٧٥ له و شانه «١» ثم يصف ص : ٤٢٥
- ١٧٥ ولا شك أن هذه الرسالة تعتبر من رسائل أهل الكوفة إلى الامام (ع) في فترة ما ص : ٤٢٥
- ١٧٥ على مشارف مكة المكرمة: ص : ٤٢٦
- ١٧٦ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة ، مع الركب الحسيني المجلد ١

إشارة

- سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤
عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى
مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.
مشخصات ظاهري : ص ٤٨٠
فروست : (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)
شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X
وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی
یادداشت : عربی
یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیما
یادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنین به صورت زیر نویس
موضوع : حسین بن علی (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤٠ق. — سرگذشتنامه
موضوع : واقعه کربلا، ق ٦١
موضوع : مكة -- تاریخ -- قرن ١
رده بندی کنگره : BP٤١/٤ م ٦٣ ج. ٢، ١٣٨٥
رده بندی دیویی : ٢٩٧/٩٥٣
شماره کتابشناسی ملی : م ٨٥-١١١٠٥

مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجز الاول)

إشارة

الامام الحسين (ع) في المدينة المنورة

المقالة الاولى: حركة النفاق ... قراءة في الهوية والنتائج ص : ٣٥

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦
(ما لم نعرف ولو على سبيل الاجمال ما صنعتته حركة النفاق في حياة الاسلام والامة الاسلامية طوال نصف قرن أي منذ رحلة النبي
ال-اكرم محمّد (ص) حتّى أواخر سنة ستين للهجرة لا يكون بإمكاننا أن نعرف أدنى ما يمكن معرفته من عظمة عاشوراء، ولا أن نفقه
معنى الفتح في قيام الامام الحسين (ع). ولذا كان لابد من هذه القراءة ...).

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧
المقالة الاولى: حركة النفاق ... قراءة في الهوية والنتائج

التعريف: ص : ٣٧

النفاق: هو استظهار الايمان واستبطان الكفر والتستر عليه. فالمنافق: هو الانسان الذي يستبطن الكفر ويستتره ويستظهر الايمان، وهو مصطلح إسلامي لم تعرفه العرب قبل الاسلام بالمعنى المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفا. «١»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨

المشهور الخاطي عن البداية والنهاية: ص : ٣٨

إما متى بدأت حركة النفاق الدخول في (الوسط الاسلامي)؟ وهل كانت ثمّة نهاية لهذه الحركة في تاريخ حياة المسلمين؟! هناك نظرة مشهورة تقول: إنّ حركة النفاق بدأت بدخول الرسول الاكرم (ص) المدينة المنورة حين هاجر إليها، حيث أسس الدولة الاسلاميّة، كما تقول هذه النظرة: إنّ هذا الحركة استمرت إلى قرب وفاة النبيّ (ص)!
لقد اعتمدت هذه النظرة عامل (الخوف) من شوكة الاسلام والمسلمين وسطوتهم فقط كدافع يدفع (الكافر حقيقة) إلى أن ينافق، فيستظهر الايمان بدخوله الاسلام ويستبطن الكفر، وهذا الحصر يؤدّي بالضرورة إلى القول بأنّ النفاق لا يكون في الوسط الاسلامي إلا حيث تكون للاسلام شوكة وحاكميّة وغلبة وقهر.

غير أنّ التأمل يسيرا يكشف عن أنّ هناك دافعا قويا آخر للنفاق هو (الطمع)، فالطمع ب (مستقبل الاسلام) مثلا لم يكن وليد المدينة المنورة، بل كان مع الاسلام منذ أوّل أيامه في مكّة المكرمة، إذ كان في العرب رجال أهل خبرة ومعرفة بحقائق السنن الاجتماعيّة، وسنن الصراع، وقراءة المستقبل، فكانوا يعرفون أنّ دعوة هذا النبيّ (ص) المستضعف في مكّة آنئذ هي التي ستنتصر، وأنّ كلمة هذا النبيّ (ص) ستكون هي الكلمة العليا.

ولا يجد المتتبع في وقائع تاريخ الدعوة الاسلاميّة والسيرة النبويّة صعوبة في العثور على مصاديق لهذه الحقيقة ... لقد عبّر عن ذلك رجل من بني عامر بن صعصعة بقوله:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩

(والله لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لا كلت به العرب). «١»

ثمّ قال للنبيّ (ص): (أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك أليكون لنا الامر من بعدك؟)
قال: (الامر لله يضعه حيث يشاء).

قال: فقال له: (أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه). «٢»

وكما كان في العرب أذكاء توسّموا منذ البدء أنّ هذا الدين سيكون له شأن عظيم في المستقبل، كذلك كان هناك في العرب رجال لهم علاقات وطيدة باليهود والنصارى الذين كانوا يتوارثون أخبار الملاحم والفتن وأبناء المستقبل، ويخبرون الناس أنّ عصرهم آنئذٍ عصر ظهور النبيّ الخاتم (ص)، بل كانوا يعرفون النبيّ (ص) بصفاته البدنيّة والمعنويّة معرفة يقينيّة (الذين آتيناها الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) «٣»، وكانوا يحدّثون الناس بأنّه هو الرسول الخاتم الفاتح (ص).

فلما آن أوان ظهوره أخبروا بعض العرب بذلك، وأكدوا لهم أنّ المستقبل لهذا النبيّ (ص) ولدعوته الجديدة!

لقد كان النظر إلى مستقبل هذا الدين دافعا قويا إلى الانضواء تحت رايته والانتماء إليه، وكان أكثر العرب في قضايا العقائد ومستقبل الاحداث يعتمدون رأي أهل الكتاب.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠

لقد استدللّ بعض أفراد قبيلة كنده مثلا على صدق دعوة الرسول (ص) بأنّ أهل الكتاب قد قالوا: إنّه سوف يظهر نبيّ من الحرم قد

أظّل زمانه. «١»

ويذهب وفد قبيلة بني عبس إلى يهود فدك يسألونهم عن رسول الله (ص) بعد أن عرض دعوته عليهم. «٢»
وفي رواية أن أبا بكر كان في تجارة له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبي (ص) من مكة، وأمره بالتباعد، فلما رجع سمع رسول الله (ص) يدعو إلى الله فجاء فأسلم. «٣»

وأما عثمان بن عفان فيقول: إنه سمع عند مداخل الشام من كاهنه أن أحمد (ص) قد خرج، ثم انصرف فرجع إلى مكة فوجد رسول الله (ص) قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل. «٤»

وعن إسلام طلحة بن عبيد الله يقولون: إنه كان في بصرى، فسمع خبر خروج نبي اسمه أحمد (ص) في ذلك الشهر من راهب، فلما قدم مكة سمع الناس يقولون: تتبأ محمّد بن عبد الله (ص)، فأتى إلى أبي بكر فسأله فآخبره، ثم أدخله على رسول الله (ص) فآسلم ... «٥»

ولقد ظلّ بعض الصحابة حريصين على هذه الصلة الوطيدة باليهود والنصارى والاستمداد من فكرهم إلى درجة الجرأة والجسارة على عرض صحائف من التوراة وقرأتها على رسول الله (ص) وإيدائه بذلك إيذاءً شديداً.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١

ففي الاثر: (جاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، إنني مررت بآخ لي من يهود (من قريضة) فكتب لي (وكتب لي) جوامع من التوراة، قال: أفلا أعرضها عليك؟! (قال): فتغير وجه رسول الله (ص)، فقال عبد الله: مسح الله عقلك، ألا ترى ما بوجه رسول الله (ص)؟! فقال عمر: رضيت بالله رباً، وبلا سلام ديناً، وبمحمّد رسولاً. قال فسرى عن النبي (ص)، ثم قال:

(والذي نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لظلمتكم، إنكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين). «١»

كما ظلت هذه العلاقة وهذا التآثر باهل الكتاب يؤذيان الرسول (ص) حتى في بيته، فقد روى (أن حفصة زوج النبي (ص) جاءت إلى النبي (ص) بكتاب من قصص يوسف في كتف، فجعلت تقرأ عليه والنبي (ص) يتلّون وجهه، فقال:

(والذي نفسى بيده لو أتاكم يوسف وأنا فيكم فاتبعتموه وتركتموني لظلمتكم). «٢»

كما ظلّ بعض الصحابة حريصاً على هذه العلاقة الوطيدة باليهود والنصارى، يدّخرها للاستفادة منها عندما تحلّ بالمسلمين هزيمة قاصمة أو حينما تبدو في الافق ملامح ضعفهم وأقول القوّة عنهم وإنكسار شوكتهم:

قال السدي:

لما أصيب النبي (ص) بآحد قال عثمان: لا لحقنّ بالشام، فإن لي به صديقاً من اليهود، فلا خذنّ منه أماناً، فإنني أخاف أن يدال علينا اليهود. وقال طلحة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢

بن عبيد الله: لا- خرجنّ إلى الشام، فإن لي به صديقاً من النصارى، فلا- خذنّ منه أماناً، فإنني أخاف أن يدال علينا النصارى. قال السدي: فآراد أحدهما أن يتهود، والآخر أن يتنصر (...). «١»

ويمكننا أن نتصوّر مراتب الطمع في دخول المنافقين الاسلام إلى:

١- الطمع في الوصول إلى الزعامة والحكم والسيطرة إشباعاً للنزعة السلطوية في النفس، يقول العلامة الطباطبائي (ره):

(فكثيراً ما نجد في المجتمعات رجالاً يتبعون كلّ داع ويتجمعون إلى كلّ ناعق ولا يعباون بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطاحنة، ويعيشون على خطر مصرّين على ذلك رجاء أن يوقّفوا يوماً لا جراً مرامهم ويتحكّموا على الناس باستقلالهم يا داراً رحي المجتمع والعلوّ في الارض (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٣

و هذا النوع من المنافقين يحرض في العادة على مصالح الاسلام ما وافقت مصالحه الخاصة المنشودة، يقول العلامة الطباطبائي (ره):
 (... والاثر المترتب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقلب الامور وترتب د الدوائر على الاسلام والمسلمين وإفساد المجتمع الديني، بل تقويته بما أمكن وتفتيته بالمال والجاه لتنظيم بذلك الامور وتتهيبها لاستفادته منها واستدرارها لنفع شخصه.
 نعم، يمكن مثل هذا المناق بالمخالفة والمضادة فيما إذا لاح من الدين مثلا ما يخالف أمتية تقدمه وتسلفه، إرجاعا للامر إلى سبيل ينتهي إلى غرضه الفاسد). «١»

إن التدبر الكافي في تاريخ السيرة النبوية الشريفة خاصة وتأريخ صدر الاسلام عامة يضع عددا مهما من مشاهير الصحابة في قفص الاتهام بجرم الدخول في الاسلام طمعا لا إيمانا، ذلك لأن تحليل إشارات ودلالات وقائع وأحداث تلك الفترة يكشف بوضوح عن انطباق مواصفات (المنافق) على أولئك الصحابة!!

٢- الطمع في الوصول إلى موقع معنوي في قلوب الحكام أو في قلوب المسلمين من أجل (التخريب من الداخل)، ومصداق ذلك: الذين دسهم أهل الكتاب في الصف الإسلامي كمثل (كعب الاحبار) اليهودي، وكمثل (تميم الداري) النصراني.

٣- الطمع في الوصول إلى أهداف وغايات أخرى أقل أهمية كالحصول على مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٤

مغانم أو تنمية مصالح وتوسعتها في ظلّ نماء مصالح الاسلام، أو انتصارا لعصبيته أو حميته، أو غير ذلك.
 ومن مصاديق أهل هذا النوع من الطمع جميع (النفعتين) وهم كثير.

يضاف إلى ذلك أن بعض من دخل الاسلام مؤمنا في البدء قد يرتاب في دينه خلال طريق المعاناة نتيجة هزات عظمى وصدمات كبرى أو شبهات مضلة مثلا كائن يرتاب في نبوة النبي (ص)، فيرتد عن دينه لكنه يكتن ارتداده طمعا أو خوفا فيكون منافقا مادام يستبطن ريبته وكفره.

وهذه الحالة ممكنة الوقوع في مكة المكرمة قبل الهجرة إلى المدينة، كما هي ممكنة الوقوع بعد الهجرة وقيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وما حولها.

مما مر يتضح بجلاء أن حركة النفاق لم تبدأ بدخول الرسول الاكرم (ص) المدينة المنورة، بل بدأت بدخول الصف الإسلامي منذ أوائل حياته في مكة المكرمة.

نعم، لم تتخذ حركة النفاق شكل الظاهرة الاجتماعية الخطيرة إلا في المدينة المنورة بعد قيام الدولة الإسلامية.

هذا من حيث البداية، أما من حيث النهاية فإن هذه النظرة المشهورة الخاطئة تدعى أن حركة النفاق استمرت إلى قرب وفاة النبي الاكرم (ص)!!

وهذه الدعوى أيضا لا يصدقها التاريخ الحق، ذلك لا ننا ينبغي أن نفرق أولاً بين أمرين:

أحدهما: انقطاع الاخبار عن نشاط حركة المنافقين الظاهر في مواجهة الاسلام والمسلمين وعدم ظهور ما كان يظهر منهم من أعمال مضادة وآثار معاكسة ومكائد ودسائس مشؤومة.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٥

والاخر: هو انتهاء هذه الحركة بالفعل وانحلالها وزوالها من خريطة العمل السياسي والاجتماعي.

نعم، انقطع الخبر عن المنافقين وعن أعمالهم المضادة بعد موت النبي (ص) مباشرة وانعقاد السقيفة وانتشار الخبر عن نتائجها، فلم يعد يظهر منهم ما كان يظهر قبل رحلة النبي (ص)، واختفت هذه الحركة الهائلة عن ظاهر الحياة السياسية والاجتماعية فجاء!!

هذه الحركة التي بلغت من القوة والفعل يوما أن سحبت ثلث الجيش الإسلامي عن ساحة معركة أحد قبل نشوب الحرب، أي ثلاثمائة رجل من جيش مؤلف من تسعمائة أو ألف «١»، ولها مواقف مشيئة مخزية كثيرة في مواقع أخرى، وما برحت دسائسها

ومكائدها ومواقفها المضادة ظاهرة بيّنة إلى أخريات أيام الرسول الاكرم (ص).

فما علة اختفائها وانقطاع خبرها!!؟

هناك احتمالات ثلاثة:

الاول: أنّ جميع أفرادها أو رموزها الفعالة أو أعضائها النشطين قد أيدوا وقتلوا تقتيلا قبل رحلة النبي (ص)، الامر الذي يعني أنّه قد تمّ القضاء على هذه الحركة قضاءً مبرما، أو أنّها قد شلت نتيجة ذلك شللا تاما.

وتأريخ السيرة النبوية لا يصدّق هذا الاحتمال بل يرفضه رفضا تاما!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٦

الثاني: أنّ المنافقين بعد رحلة النبي (ص) مباشرة قد أخذتهم هزة مصيبة فقدته ورحلته (ص) ماء خذا عظيما، وتاءثروا لذلك تاءثرا بالغا، فتابوا إلى الله جميعا وأخلصوا الايمان عن آخرهم وحسن بذلك اسلامهم!

وهذا الاحتمال أيضا يرفضه تأريخ ما بعد موت النبي (ص) رفضا باتا.

الثالث: أنّ حركة النفاق نفسها تسلمت زمام الامور بعد رحلة النبي (ص)، اءو أنّها على الاقل كانت قد صالحت أولياء الحكومة بعد

رحلة النبي (ص) على ترك المضادة والمشاغبة مصالحة سرّية قبل الرحلة أو بعدها بشرط أن يسمح لها تحقيق ما فيه أمّيتها، أو أنّ

حركة المسلمين وحركة النفاق بعد رحلة النبي (ص) وبعد السقيفة كانتا قد وقعتا في مجرى واحد واتّجاه واحد وتصالحتا مصالحة

عفوية بلا تكلف عقد وعهد، فارتفع التصاك والتراحم والمضادة والمعارضة بينهما!!

ولا شك أنّ التدبّر الكافي والتاءمل العميق في حوادث آخر عهد النبي (ص) والفتن الواقعة بعد رحلته مباشرة يرشد حتما إلى أنّ ما

وقع لا يخرج عن إطار محتويات الاحتمال الثالث، هذا إذا كان المتدبّر والمتاءمل في تلك الحوادث خارجا من سلطان القداسة الكاذبة

التي إبتدعها التضليل الاعلامي السياسي الاموي لمشاهير الصحابة بعد رحيلهم عن دار الدنيا.

فصائل حركة النفاق: ص : ٤٦

حزب السلطة: ص : ٤٦

يكفي هنا لا ثبات انتماء مجموعة من الصحابة إلى دائرة النفاق أن ثبت أنّهم صدّوا عن رسول الله (ص) صدودا في أمر قضى به،

وذلك لقوله تعالى: (وإذا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٧

قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدودا) «١»

ويستمرّ انتماءؤهم إلى دائرة النفاق ما أصروا على ذلك الصدود ولم ينتهوا عنه.

والصدّ: الاعراض والامتناع والمنع «٢»

ذلك لأنّ الايمان لا يكون إلّا بالطاعة المطلقة لرسول الله (ص) في كلّ ما جاء به وعدم التخرّج ممّا قضى به والتسليم لا مره، وهذا من

الحقائق القرآنية الكبيرة التي لا تحتاج في وضوحها إلى نافله بيان.

فما بالك بمجموعة من الصحابة لم تعرض ممتنعة عن قبول الامر الالهي النازل على رسول الله (ص) فحسب، بل سعت في صدّها عن

رسول الله (ص) لتمنع من تحقّقه وتحول دون تنفيذه!!؟

وما بالك إذا كان هذا الامر الالهي في أخطر وأهمّ قضيه من قضايا الاسلام وهي قضيه الولاية والخلافة!؟

كان قياديو هذا الحزب قبل الاسلام رجالا- مغمورين في قريش، لا يشار إليهم بالبنان عند شدة أو خطر أو شاءن ذى بال، وكانت

تشكيله المواقع القيادية في تركيبة قريش قبل الاسلام متسالما عليها حيث يتسّم تلك المناصب رجال مرموقون من بطون محدّدة من قريش، وليس لرجال قياده هذا الحزب أيّ حظّ في ذلك لا- كما اختلق لهم الاعلام الامويّ المضلّ بعد ذلك من أهميّة موهومة وشاءة كاذبة حيث ادعى بقاء الله تعالى قد أعزّ دينه بإسلامهم!! بل كان أهمّ رجلين في قياده هذا الحزب من (أقلّ حين) من قريش على حدّ تعبير أبي سفيان بن حرب رأس الحزب الامويّ الذي دخل في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٨

تحالف معهم بعد ذلك.

فقيادة هذا الحزب تعلم علما يقينا أن لا أمل لها في زعامه وراثسه خارج إطار الحالة الاسلاميّة ... وهي التي دخلت الاسلام ناظرة إلى مستقبله الذي سمعت عنه كثيرا من أهل الكتاب الذين توارثوا اخبار الملاحم والفتن أملا في أن تمتطي صهوة الحكم بعد رحلة رسول الله (ص).

إذن فمن مصلحة قياده هذا الحزب في ظرفها الراهن أنذاك بقاء الاسلام بكلّ تشريعاته إلّا ما يتعلّق منها بموضوع الخلافة وشخص الخليفة بعد النبيّ (ص).

ومع أن قياده هذا الحزب كانت تعيش مشكله كبيره فيما يواجهها من البيّنات والهدى ممّا بينه الله تعالى في كتابه المجيد فيما يتعلّق بالولاية والخلافة وشخص د الخليفة من بعد رسول الله (ص)، وأنّ الخلافة كالنبوة إختيار إلهي ليس للناس د إختيار فيه، لكنّ قياده هذا الحزب كانت ترى مشكلتها الكبرى في مواجهه البيان النبويّ في هذا الصدد ذلك لانّ البيان النبويّ هو الكاشف عن دلالة البيان القرآني، هذا أولا.

وثانيا لانّ البيان النبويّ كان قد ركز منذ البدء على تعيين أشخاص الخلفاء من بعد رسول الله (ص) حتّى قيام الساعه في مواصفات عامه وأخرى خاصه وحددهم بآسمائهم، كما ركز على شخص الخليفة الاوّل اميرالمؤمنين عليّ (ع) بما لا يقبل التاءويل أو الانكار. لقد أعلن البيان النبويّ عن الولاية والخلافة في نفس الساعه التي أعلن فيها عن النبوه، وحدد في نفس تلك الساعه شخص الولي والخليفة بعد رسول الله (ص)، وذلك في حديث الدار يوم الانذار، ذلك الحديث المتواتر الذي رواه الفريقان، والذي قال فيه (ص) بعد أن أنذر عشيرته الاقربين مشيرا إلى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٩

اميرالمؤمنين عليّ (ع):

«إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.» (١)

ومنذ ذلك اليوم لم يرد عنه (ص) ما يلغى هذا التنصيب الالهي، بل تواتت البيّنات النبويّه في التأكيد على أن أئمّه أهل البيت (ع) وأولهم عليّ (ع) هم خلفاء النبيّ (ص)، ومن أهمّ تلك البيّنات المقدّسه حديث الثقلين، وحديث السفينه، وباب حطّه، وحديث النجوم (٢) وحديث المنزله، وبيان يوم الغدير، وآخرها الكتاب المانع من الضلال الذي أراد الرسول (ص) ان يكتبه للائمّه قبيل رحلته.

«٣»

هاهنا كانت المشكله الكبرى التي عانت منها قياده حزب السلطه.

ومن هنا كان لا بدّ من المواجهه مع رسول الله (ص)!!

ولكن عليّ أيّ صعيد تكون هذه المواجهه وهذا الصدود!؟

لا- شك أنّه لم يكن أمامهم في حياة الرسول (ص) إلّا التشكيك بعصمه الرسول (ص) سرّا وعلانيه ما وسعت الفرصه والمجال، ومحاصره البيّنات النبويّه عامه والمتعلّقه منها بالولاية والخلافة خاصه.

لقد بتّ هذا الحزب في صفوف المسلمين مقوله:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٠

(رسول الله بشر يتكلم في الرضا والغضب!!)

ولا يخفى على الواعي اللبيب أن مؤدّى هذه المقولة هو أنّ رسول الله (ص) قد يثنى على إنسانٍ ما في الرضا فوق ما هو أهل له ويمنحه منزلة أكبر ممّا يستحقّ!! كما قد يذمّ إنسانا ما في الغضب فوق ما هو أهل له!! فهو ينطق عن الهوى في الرضا والغضب لا عن وحى يوحى!! والعياذ بالله ومن الوثائق الكاشفة عن هذا البثّ التشكيكي ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال:

(كنت أكتب كلّ شىء أسمع من رسول الله (ص) أريد حفظه، فنهتني قريش (!!)) وقالوا أكتب كلّ شىء تسمعه؟! ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا!، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله (ص)، فأمّاء بآصبعه إلى فيه فقال: أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلّا حقّ). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥١

كانت قيادة هذا الحزب ورأ هذا البثّ التشكيكي في الصد عن رسول الله (ص)، تلك القيادة التي ابتدعت شعار: (لا تكون النبوة والخلافة في بنى هاشم «١» «٢٢» (وتحالفت تحت هذا الشعار مع العديد من خصوم الاسلام من بطون قريش الذين دخلوا في الاسلام كارهين وأنوفهم راغمه).

والدليل على صدور هذا النهى وهذا البثّ التشكيكي عن قيادة هذا الحزب، وأنّ هذا الفعل من متبنياتها، هو أنّ هذه القيادة بعد رحلة رسول الله (ص)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٢

على امتداد عهودها الثلاثة كانت قد واصلت ضرب حصار حديدى لاتراخى فيه على البيانات النبوية، إذ كان أوّل ما فعله الخليفة الاوّل هو أنّه جمع الاحاديث التي كتبها هو شخصيا فاءحرقها، وقد روت ذلك ابنته عائشة «١»

ثمّ جمع الناس وقال لهم: (إنكم تحدّثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافا، فلاتحدّثوا عن رسول الله شيئا (!!))، فمن ساءلكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله). «٢»

وكان من مشاريع الخليفة الثاني أن طلب من الناس أن يأتوه بما عندهم من أحاديث النبيّ (ص)، فأتوه بها، فأمّر يا حراقها كلّها «٣»، كما فرض الإقامة الجبرية على رواة الاحاديث النبوية في المدينة مادام حيّا «٤»، ونهى جيوشه عن التحديث عن رسول الله (ص). «٥»

وأما الثالث فقد بادر إلى إصدار مرسوم منع فيه رواية أىّ حديث لم يسمع به في عهدى أبى بكر وعمر. «٦»

لقد كانت الغاية الحقيقية من كلّ ذلك النهى والمنع والصد هي إبطال فاعلية البيانات النبوية المتعلقة بالولاية والخلافة وشخص الخليفة بعد النبيّ (ص)، وبالموقع المميّز لاهل بيت النبوة في حياته (ص) وبعد وفاته، وكان لابدّ لقيادة هذا الحزب أن تسترّ على هذه الغاية الحقيقية بذرائع واهية كذريعة مخافة (الاختلاف بين الناس!!) وغيرها التي هي أوهن من بيت العنكبوت

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٣

عند محكّ الدليل والبرهان.

حتى إذا مرّت الايام بالدواهي العظام، وثبتت الوسادة لمعاوية بن أبى سفيان وارث قيادة هذا الحزب وامتدادها الطبيعي كشف بجرأة تامة عن الغاية الحقيقية لكلّ ذلك المنع والنهى والصد المتداول حيث أصدر في السنة العجفاء التي أسموها بعام الجماعة مرسوما صريحا أعلن فيه أن:

(برئت الذمة ممّن روى شيئا من فضل أبى تراب وأهل بيته). «١»

ولقد بلغت قيادة هذا الحزب ذروة الجرأة في الصد عن رسول الله (ص) حينما منعت البيان النبويّ الاخير (المانع من الضلال

والاختلاف) «٢» عن الصدور في جسارة على رسول الله (ص) ما بعدها جسارة، حيث اتهمته ب (الهجر) أى الهذيان ورفعت بوجهه علنا شعار (حسبنا كتاب الله)، وفوجيء الحاضرون من غير هذا الحزب وذهلوا لهول ما سمعوا!! وتنازعوا مع تيار الصد عن رسول الله (ص)، لكن زبانية هذا الحزب كانوا هم الاكثر في الظاهر، فتنادوا بقوة وتصميم وضجيج وقالوا ما قال عمر!! حتى حالوا بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب ذلك البيان الاخير فكانت الرزية!! وما أعظمها من رزية!!؟ على حدّ تعبير ابن عباس. ويعترف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٤

محاورة مع عبد الله بن عباس بآء قول رسول الله (ص) عنده لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا، وأنه (ص) في مرضه أراد أن يصرح في بيانه الاخير باسم اميرالمؤمنين عليّ (ع)، كما يقرّر الخليفة الثاني أنه الناطق الرسمي باسم قريش!! الحاكي عن مشاعرها!! الممثل لها في الصد عن رسول الله (ص) صدودا. ورد كل هذا في أول خلافته وهو يحاور عبد الله بن عباس ويسائله عن عليّ (ع) ... قائلا: (يا عبدالله، عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقي في نفسه شئ من أمر الخلافة؟ قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله (ص) نصّ عليه؟

قلت: نعم، وأزيدك، ساءلت أبي عمّا يدعيه فقال صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله (ص) في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا، ولقد يربع في أمره وقتا ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه، فمنعت من ذلك إشفافا وحيطه على الاسلام، لا- ورب هذه البنية لا-تجتمع عليه قريش د ابداء، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله (ص) أتى علمت ما في نفسه فاءمسك، وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم). «١» ولقد يعزّ ويشق كثيرا على بعض المؤرخين والمفكرين الاسلاميين ممن قد تحرر من وهم القداسة الكاذبة التي اختلفها التزليل الاموي لبعض

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٥

مشاهير الصحابة أن يدعن لحقيقه أن قيادة هذا الحزب كانت قد دخلت الاسلام طمعا في مستقبل الاسلام ورغبة في أن يكون لها نصيب في مواقع الحكم في حياة رسول الله (ص) وبعد وفاته، لا إيمانا بهذا الدين وحقائقه، فيميل إلى القول بآء قيادة هذا الحزب قد دخلت في الاسلام مؤمنة به لكنها لم تستطع الانعتاق والتحرر من (حب الشهرة والسيطرة والحكم) التي تحكمت في كثير من تصرفاتها، وهذا من (مرض القلب) الذي قد يعترى كثيرا من المؤمنين ولا يخرجهم عن دائرة الايمان.

ويدعم هذا المفكر رأيه بآء القرآن الكريم قد جعل (المنافقين) و (الذين في قلوبهم مرض) في صف واحد في أكثر من خطاب قرآني، «١» لكنه يميز بينهما في التعريف كما لا يخفى، إذ كل منافق في قلبه مرض، وليس كل من في قلبه مرض منافقا. «٢» وهذا الرأي صحيح لو أن صحابيا كان قد دخل الاسلام مؤمنا لكن مرضه القلبي مرتبط بشهوة أو أكثر من شهوات الدنيا كشهوة الحكم أو شهوة النساء أو الشهرة أو المال مثلا، فإذ تهتأت الفرصة السانحة لا شباع شهوته واغتمها واستوفى لذته منها، حرص بعد ذلك بسبب إيمانه أن يجرى أمر الاسلام على ما فرض الله ورسوله (ص)، أو أنه على الأقل لا يآءبى بعد ذلك أن يجرى أمر الاسلام على المحجة البيضاء التي أرادها الله ورسوله (ص).

أما أن يكون هذا الصحابي مع كل اعترافاته باء خطائه وجهله وقلة فقهه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٦

مصرا الى آخر لحظات حياته على أن يجرى أمر الاسلام في قضية الاستخلاف على ما تعاهدت عليه قيادة حزبه لا على ما أراد الله ورسوله، فهذا ممن ليس (في قلبه مرض) فحسب، والعلة الاقوى إذن علة أخرى ليست هي من شهوات مرض د القلب التي قضى منها

وطره، بل هي اعتقاد آخر مضمّر وخطّة مسبّقة مدروسة قامت على معصية الله ورسوله (ص) عمدا، وحرص هذا الصحابي على تنفيذها حتّى الممات!!

يحدّثنا ابن الاثير قائلا:

(إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان خاليا ليكتب عهد عمر.

فقال له أكتب، (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أمّا بعد:) ثمّ أغمى عليه.

فكتب عثمان: (أمّا بعد فإنّي قد استخلفت عليكم. عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيرا).

ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ.

فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله!!). «١»

سبحان الله!! أين كان هذا الحفّاظ وهذه الخشيّة من الاختلاف يوم حالت قيادة هذا الحزب دون أن يكتب الرسول (ص) للامّة كتابه الاخير المانع من

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٧

الضلال والاختلاف؟! وهل يصدّق العقل أن رجال قيادة هذا الحزب أشدّ حرصا وغيره على حال الامّة من رسول الله (ص)؟! وقد تمّنّى عمر بن الخطّاب أن لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّا لاستخلفه «١»، تذكره الحفّاظ، وأبو عبيدة هذا ثالث ثلاثة في قيادة هذا

الحزب، كما تمّنّى أن لو كان خالد بن الوليد الذي آزرهم بقوة في أيّامهم الصعبة حيّا لاستخلفه، «٢» وكذلك أن لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّا لاستخلفه، «٣».

وكائنّ سالما هذا كان رابع أربعة في تلك القيادة، ولا يخفى أنّ استخلاف سالم معارض لمبدأ هذا الحزب في أنّ الخلافة لا تكون إلّا في قريش، وهو المبدأ الذي رفعت به قيادة هذا الحزب في وجه الانصار في السقيفة!!، كما أنّ عمر تمّنّى أيضا أن لو كان معاذ بن جبل حيّا لاستخلفه «٤»، ومعاذ هذا من الانصار!!

ثمّ إنّ التأمّل في حقائق الشورى التي خطّط لها عمر بن الخطّاب يهدى كما سوف يأتى بيانه إلى أن الخليفة الثاني قد عين عثمان تعيينا ضمن إخراج فتى خاصّ، هذا فضلا عن تمهيدته للحكم الملكي الامويّ يا طلاقه يد معاوية في الشام يفعل ما يحلو له وكما يشاء، فالخليفة الصارم في المدينة قد أغمض عينيه عمدا عن الشام لفتى قريش وكسرى العرب!!

مما مضى يتاء كد بما لا يقبل الشكّ أنّ هؤلاء الصحابة كانوا قد أصروا على الصدّ عن رسول الله (ص) الصدود الكبير فيما جاء به من الامر الالهّي المتعلّق

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٨

بالخلافة من بعد رسول الله (ص) وبشخص الخليفة المعين من قبل الله تبارك وتعالى، وواصلوا هذا الصدود حتّى الممات.

وحزب السلطة أشدّ فصائل حركة النفاق أثرا في حياة الاسلام والمسلمين، لأنّه هو الذي شقّ مجرى الانحراف الرئيس الذي تفرّعت عنه جميع فروع الانحرافات الاخرى التي كانت ولم تزال حياة الاسلام والمسلمين تعاني منها أمر الويلات والنكبات، وقيادة هذا الحزب تتحمّل على ظهرها أوزارها وأوزار ما نتج ولا يزال ينتج عن يوم السقيفة إلى قيام الساعة.

مناقض أهل الكتاب: ص: ٥٨

إنّ لا- هل الكتاب مع الاسلام والنبّي الاكرم محمّد (ص) قصيّة مؤسفة ينبغي لكلّ مؤمن ألا يغفل عن الاتّعاظ بها في انتظاره الامام

المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

كان أهل الكتاب بعد عهد المسيح عيسى بن مريم (ع) ينتظرون خروج خاتم الانبياء (ص) ويترقّبون حلول أوانه، ذلك لأنهم توارثوا البشارات بظهوره عن أنبيائهم وأوصياء أنبيائهم (ع)، وتوارثوا معرفة صفاته البدئية والمعنوية، فكانوا يعرفون أسماءه وألقابه وكناهه ويعرفون شخصه معرفة تفصيلية يقيته كما يعرفون أبناءهم.

وقد أكد القرآن الحكيم هذه الحقيقة في قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم). (١)

كما كانوا يعرفون شخصيته في سيرته المعلومة عندهم مما توارثوه من الانبياء

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٩

عنه في كتبهم ورواياتهم، فكانوا يعرفون ما ينبغي عنده من الفعل وما لا ينبغي، ويعرفون حتى سنه، في القعود والقيام، واليقظة والنام، والصمت والكلام، وسوى ذلك (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ...) (١) وكانوا يعرفون صفات من معه والامثال المضروبة في أحوالهم: (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ...) (٢)، بل كانوا يعرفون خصائص أوصيائه (ع) كما ورد ذلك في روايات كثيرة.

وكانت جماهير من اليهود ينتظرون النبي الخاتم (ص) إنتظاراً جاداً مقروناً بكلّ مستلزمات العملية، حتى لقد حملهم هذا الانتظار الجاد على ترك ديارهم والهجرة إلى المنطقة التي سيهاجر إليها النبي المنتظر (ص) كما هو عندهم في الاخبار التي توارثوها جيلاً بعد جيل، وعانوا من أجل ذلك الكثير، تقول الرواية: (كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمّد (ص) ما بين غيرٍ وأحد، (٣) فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى حدادٍ فقالوا:

حدادٌ وأحدٍ سواء، فتفرّقوا عنده فنزل بعضهم بتيماً وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماً إلى بعض إخوانهم، فمروا أعراباً من قيس فتكاثروا منه، وقال لهم: أمر بكم ما بين غيرٍ وأحد. فقالوا: إذا مررت بهما فآذنا بهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك غيرٌ وهذا أحد.

فنزّلوا عن ظهر إبله، وقالوا قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت. وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: أنا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا. فكتبوا إليهم: أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الاموال

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٠

، وما أقربنا منكم، فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم. فاتخذوا بأرض المدينة الاموال، فلمّا كثرت أموالهم بلغ تبعاً فغزاهم، فتحصّوا منه فحاصرهم، وكانوا يرقون لضعاء أصحاب تبع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذلك تبعاً فرق لهم وآمنهم، فنزلوا إليه فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلّا مقيماً فيكم. فقالوا له: إنّه ليس ذاك لك، إنّه مهاجر نبيّ وليس ذلك لا حد حتى يكون ذلك. فقال لهم: إني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف حنين الاوس د والخزرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمّد ليخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث الله عزّ وجلّ محمّداً (ص) آمنت به الانصار وكفرت به اليهود، وهو قول الله عزّ وجلّ:

(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (١)). (٢)

ترى لماذا كانت نتيجة هذا الانتظار الجاد نتيجة خاسرة!!؟

كانت نتيجة انتظار اليهود خاسرة لأنهم كانوا ينتظرون النبي الاكرم (ص) بشرط ألا يساويهم مع غيرهم من الناس، وألا يكون غيرهم الافضل عنده، وألا يأخذ منهم ما كانوا يتمتعون به من مواقع اجتماعية مادية ومعنوية، وألا وألا ... فهم كانوا ينتظرونه (بشرط لا). فلمّا وجدوا الناس عند رسول الله (ص) سواسية كآسنان المشط في الحقوق والواجبات، وأنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ... نكسوا على رؤسهم وانقلبوا على أعقابهم وآثروا إتباع أهوائهم وكفروا بما عرفوه من الحق ... فكانت الخسارة وما أعظمها من خسارة!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦١

ولو أنهم انتظروه (لا- بشرط) يشترطونه عليه، بل بتسليم تام لا- مره وطاعة مطلقة وامتنال لكل ما يشترطه هو عليهم لكانت نتيجة انتظارهم هي الفوز المبين، وقد فاز المسلمون. «١»

ولمّا رفض اليهود بعد انتظارهم الجادّ الطويل ان يسلمو لله ولرسوله (ص)، ويدخلوا في الاسلام بلا شرط كما دخل الناس، صاروا أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحقّ، وانضمّوا في مناوئتهم الدعوة الجديدة إلى صفوف أعدائها، ولقد واثقوا النبيّ (ص) ثمّ نقضوا ميثاقهم غير مرّة، حتّى هزمهم الله وأخرجهم من ديارهم أذلاءً خاسئين.

ولمّا قويت الدعوة المحمّديّة واشتدّ ساعدها، وتحطّمت أمامها كلّ قوّة تنازعها، لم ير من كانوا يقفون أمامها ويصدّون عن سبيلها إلّا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع بعد أن عجزوا عن النيل منها بالقوّة والنزاع.

والمكر اليهوديّ أظهر من كلّ مكر آخر في أسلوب (التخريب من الداخل)،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٢

ولليهود تاءريخهم الطويل الممتدّ إلى يومنا الحاضر في هذا المجال، ولعلنا لانجانب الصواب إذا قلنا إنّ اليهود لا تأريخ لهم يذكر في مجال التبليغ المباشر بديانتهم، بعكس ما لهم من تأريخ أسود معروف في مجال التخريب على الآخرين من الداخل، وشواهد ه ذه الحقيقة كثيرة ماثلة في الحياة الانسانيّة منذ أيامهم الاولى وإلى يومنا هذا.

وقد حاكى النصارى في التخريب من الداخل منهج اليهود في ذلك، ونجحوا نجاحا كبيرا، وكان لهم تاءريخهم الخاصّ في هذا المجال أيضا، وكان ولم يزل تاءثيرهم بالغا وخطيرا في حياة المسلمين إلى اليوم.

ظلّ أهل الكتاب يرصدون تطوّر حركة الاسلام في عهد النبيّ (ص) وقلوبهم ياء كلها الحسد الشديد، ولم تكن هذه المراقبة مراقبه من كفّ يده عن التدخل والتاءثير في مجرى الاحداث، بل مراقبه من يتمنى الفرصه السانحة للتدخل من أجل حرف المسيره الاسلاميه عن المحجّه البيضاء.

ومع أنّهم كانوا يعتمدون كثيرا ويعولون بشكل كبير في تسريب تاءثيرهم على علاقاتهم القديمه الوطيدة بعناصر كثيره دخلت الاسلام وصارت من الصحابه، إلّا أنّهم لم يكتفوا بذلك، بل أدخلوا في الاسلام عناصر (معلومه أسماؤهم) «١» من علمائهم المتمرسين في التخريب الفكرى والعلمى، ليشكّلوا فصيلا من فصائل حركة النفاق داخل المسيره الاسلاميه، وليقوم هذا الفصيل بتقديم إسناد قوئ مؤ ثر لخطّ الانحراف، والصد عن رسول الله (ص)، لكنّ أبرز هذه العناصر المخزبه من اليهود كان (كعب الاحبار)، ومن النصارى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٣

(تميم الدارى)، وجاء بعدهم من تلاميذهم آخرون شكّلوا شبكه خطيره من مستشارى الخلفاء وكتّابهم وخدمهم وحواشيهم.

ومثيّر للعجب أن يدخل كعب الاحبار الاسلام في زمن الخليفه الثانى عمر بن الخطاب خاصه دون زمن النبيّ (ص) وزمن خلافة أبى بكر!!، مع أن أستاذه الذى كان يدعى (أبا السموم) قد أظهر إسلامه في زمن الخليفه الاول أبى بكر!! «١»

ولمّا ساءل العباس بن عبدالمطلب كعب الاحبار عن علمه تاءخر إسلامه إلى وقت عمر! اعتذر باءنّ أباه أخفى عنه حقيقة صفه محمّد (ص) وأمته في كتاب ختمه الاب وأمره ألبايفضّ الختم عنه، حتّى فتحه كعب في زمن الدوله العمريّه فجاء مسلما!! «٢» هذا مع أنّ

التاءريخ يقول إنّ كعبا هذا كان من أكبر علماء اليهود!!

بدأ كعب الاحبار حياته تحت عنوان الاسلام مقرّبا من الخليفه الثانى، ياءنس به ويستشيره ويتاءثر بفكره، ويعود إليه في القضايا التى لاتروقه أجوبه العلماء من الصحابه فيها فيساءله عنها!!

فقد قيل إنّ الخليفه الثانى ساءل سلمان (ر) ذات مرّه قائلا: (أ ملكك أنا أم خليفه؟!؟) فقال سلمان (ر) (إن أنت جيتت من أرض المسلمين درهما أو أقلّ أو أكثر، ثمّ وضعته في غير حقّه فاءنت ملكك غير خليفه). «٣»

وكأنّ الخليفة الثاني لم يجد ما يحبّ في إجابة سلمان (ر) فساءل كعبا الذي يحسن صناعة الاجابات المحببة قائلا: (أنشدك بالله، أتجدني خليفة أم ملكا؟ قال: (بل خليفة). فاستحلفه عمر، فقال: (خليفة والله من خير الخلفاء،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٤

وزمانك خير الازمان)!! «١»

وقد رافق كعب عمر بن الخطاب في زيارة القدس بعد فتحها، وفي بيت المقدس د لما أراد الخليفة الثاني أن يصلّي ساءل كعبا: (أين ترى أن أصلي؟)!! «٢»

وحيثما أراد بناء المسجد ساءله أيضا: (أين ترى أن نجعل المسجد؟)!! «٣»

وساءله ذات مرة: (أخبرنا عن فضائل رسول الله (ص) قبل مولده!!) «٤»

وساءله في مرة أخرى: (حدّثني يا كعب عن جنّات عدن؟)!! «٥»

وظلّ كعب بعد الخليفة الثاني مستشارا مقربا عند الخليفة الثالث عثمان، يتأذى لا ذاه ويهيج لنصرته ...

فقد (روى أن عثمان قال يوما: أيجوز للامام أن ياءخذ من المال فاذا أيسر قضى؟

فقال كعب الاحبار: لا باءس بذلك!

فقال أبوذر (ر): يا ابن اليهوديين، أتعلّمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك باءصحابي، إلحق بالشام.

فاءخرجه إليها). «٦»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٥

وفي الوقت الذي واصل الخليفة الثاني ضرب الحصار الحديدي على الاحاديث النبوية ومنع انتشارها كان قد فتح الباب واسعا أمام منافق أهل الكتاب ليدسوا في أذهان المسلمين ما ليس من عقائد الاسلام المحمدي الخالص، وذلك من خلال القصص، فراجت بين المسلمين بعض دفائن كتب اليهود والنصارى وكثير من مخترعات ومفتريات القصاصين أنفسهم ممّا يحرف الامة المسلمة عن دينها الحق.

ولقد (كان أوّل من قصّ تميم الدارى، إستاءذن عمر بن الخطاب أن يقصّ على الناس قائما فاءذن له عمر!!) «١»

ثمّ عظمت المءساءة بدخول كعب ساحة القصص، وحتّى بعد أن التحق كعب بمعاوية في الشام أمره معاوية بالقصّ في الشام أيضا، ولكعب تلاميذ من سنخه ولهم تلاميذ كذلك في سلسلة تخريبيّة متواصلة.

لقد تعاطم تاءثير القصص في حياة المسلمين في الوقت الذي حيل بينهم وبين الاحاديث النبوية حتّى أصبح القصص الصحيفه اليومية الوحيدة التي تؤثّر في حياة المسلمين وتصبغ أذهانهم بالصبغة التي تريدها.

ولقد اعتنى الامويون عناية فائقة بالقصص كوسيلة إعلامية سياسية يرفعهم بها القصاصون في أعين الناس باختلاق فضائل مكذوبة لهم ولبعض مشاهير الصحابة ممّن مهّد لهم السبيل بعد أن لم يكن لهم فضل يرفعهم على عهد النبيّ (ص).

وعلى هذا الدرب اخترعت الاحاديث الكثيرة، واختلطت الحقيقة بالخيال،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٦

وتراكم كمّ هائل من الموهومات ممّا ابتدعه الوضّاعون واخترعه القصاصون حتّى صار على مرّ السنين جزءاً من التراث الديني الذي يتعيّد به كثير من المسلمين، وصار من الصعب المستصعب على كثير من المحقّقين أن يمتلكوا الجرأة على نقد ورفض الغثّ الكثير الذي دخل على هذا التراث رغم ما يقفون عليه من وثائق دامغة تثير الشك في الازهان أو تسلط الضوء على الحقائق المعاكسة.

ولا عجب إذا كان القصاصون في عهد بني أمية يذكرون علينا وولده (ع) بما يشينهم لا طفاء نورهم وكتّم فضائلهم، ذلك لا نّ فصيل

مناققى أهل الكتاب يرى أن غاية وجوده وعلمة تأسيسه هي دعم خط الانحراف عن أهل البيت (ع)، وتكفى نظرة عابرة على سيرة أمثال كعب الاحبار، وتميم الدارى، ووهب بنى مته، ونافع بن سرجس مولى عبد الله بن عمر، وسرجون مستشار معاوية ويزيد، وأبى زيد مستشار الوليد بن عقبه، وغيرهم دليلا على منهج هذا الفصيل.

ومن طريف ما يذكر التاريخ عن ابن عباس:

أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب كان قد تبرم بالخلافه فى آخر أيامه وخاف العجز وضجر من سياسة الرعية فكان لا يزال يدعو الله باء يتوفاه!

فقال لكعب الاحبار (!) يوما وأنا عنده: إننى قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الامر، وأظن وفاتى قد دنت، فما تقول فى على؟ أشر على فى رأيك، واذكر لى ما تجدونه عندكم فى نكم ترعمون أن أمرنا هذا مسطور فى كتبكم.

فقال: أما من طريق رأى فإنه لا يصلح، إنه رجل متين الدين، لا يغضى على عوره، ولا يحلم عن زله، ولا يعمل باجتهاد رأيه، وليس هذا من سياسة الرعية فى شى، وأما ما نجده فى كتبنا فنجده لا يلى الامر ولا ولده، وإن وليه كان هرج شديد.

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٦٧

قال: وكيف ذاك؟

قال: لأنه أراق الدماء، ومن أراق الدماء لا يلى الملك، إن داود لما أراد أن يبنى حيطان بيت المقدس أوحى الله إليه: إنك لا تبنيه لا نك أرتق الدماء، وإنما بينه سليمان.

فقال عمر: أليس بحق أراقها؟

قال كعب: وداود بحق أراقها يا اميرالمؤمنين (...). «١»

يا للمضحك المبكى!! ... لقد أراد هذا المنافق الكبير أن يشين سيد الاوصياء (ع) فمدحه وهو لا يشعر، وكذب على داود (ع) غافلا عن أن الله تبارك وتعالى صرح بخلافته فى قوله:

(يا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ...). «٢»

بقى أن نقول: إن فصيل مناققى أهل الكتاب كان يقوم بدوره فى ظل الفصائل الاخرى من حركة النفاق، فقد عمل فى ظل دور فصيل مناققى أهل المدينة من الاوس والخزرج فى عهد رسول الله (ص)، وعمل فى ظل حزب السلطة طيلة عهده الثلاثه، وعمل فى ظل الحزب الاموى، على امتداد أيامه الطويلة، كما عمل فى ظل الحزب العباسى.

وشاهد هذه الحقيقة ظاهرة ومتعددة، فى ن المتاء ميل فى المؤامرة المعقدة المتعددة الاطراف لقتل الامام على (ع) يجد أثر اليد اليهودية قويا فيها، وفى رواية أن اميرالمؤمنين عليا (ع) قال لولده الحسن (ع) بعد أن أصيب فى محرابه:

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٦٨

قتلنى ابن اليهودية عبدالرحمن بن ملجم المرادى! «١»

كما لا يخفى على مطلع دور (سرجون النصرانى) مستشار معاوية ويزيد فى السياسة الاموية وتدير أمورها، ودوره فى التخطيط للقضاء على ثورة الامام الحسين (ع) أظهر من أن يخفى. وهذا المتوكّل العباسى يكرب قبر الامام الحسين (ع) على يد (إبراهيم الديزج)

اليهودى بمعونه جمع من اليهود ... «٢»

وتخفى هذا الفصيل من فصائل حركة النفاق فى ثياب كثير من الطواغيت والحكومات الظالمة التى تعاقبت على الامية الاسلامية المنكوبة فى أكثر أقطارها حتى يومنا الحاضر، وكان وما يزال لليهود والنصارى أثرهم البالغ فى المصائب التى حلت باءمتنا الاسلامية، فقد كان هو لاء أول من بادر إلى إشاعة المظاهر اللاإسلامية والمنكرات فى مجتمعات المسلمين، وعلى أيديهم أولا تأسست وانتشرت الافكار والحزاب اللاإسلامية الكافرة فى عالمنا الاسلامى كالحزاب الشيوعية والاشتراكية والقومية، كما كان هو لاء أصل

ومنشأ الحركات المتطرّفة المحسوبة على العنوان الاسلامى، والتي كفّرت المسلمين عامّة والشيعة منهم خاصّة.

مناقو أهل المدينة: ص : ٦٨

ويتشكّل هذا الفصيل من مناقى الاوس والخزرج الذين أبت قلوبهم قبول الاسلام لكنهم أظهروا إسلامهم خوفا من قوة الشوكة الاسلامية بعد أن أقبل جلّ أهل المدينة من الاوس والخزرج على الاسلام ودخلوا فيه وأعلنوا عن استعدادهم التام للتضحية فى سبيله، ورئيس هذا الفصيل هو عبدالله بن ابيّ بن سلول العوفى

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٦٩

(كان قومه قد نظّموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله (ص) وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الاسلام ضغن، ورأى أنّ رسول الله (ص) قد استلبه ملكا، فلما رأى قومه قد اءبوا إلى الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن). «١»

وقد تميّز هذا الرجل وفصيله بعلاية القول والعمل ضدّ الاسلام وضدّ الرسول (ص)، وكان اليهود عامّة ومناقوا اليهود خاصة يدعمون هذا الفصيل دعما قويا ويسندونه إسنادا مؤثرا والعكس صحيح أيضا، فقد ألحّ عبدالله بن ابيّ على رسول الله (ص) فى ان يحسن إلى يهود بنى قينقاع بعد انكسارهم أثر محاصرة الرسول (ص) لهم، إلى درجة أنّه كان قد أدخل يده فى درع رسول الله (ص) ذات الفضول) ولم يرسله إلى أن أجابه الرسول (ص) إلى ذلك. «٢»

كما أنّ اليهود ومناقبيهم كانوا قد انضمّوا فى تبعته الرسول (ص) لموقعة اءحد إلى القوة العسكرية التى شكلها فصيل مناقى اهل المدينة بقيادة عبدالله بن ابيّ، وقيل إنّ هذه القوة كانت ثلث الجيش الاسلامى وتعدادها ثلاثمائة رجل، وكان عبدالله بن ابيّ قد رجع بهذه الكتيبة إلى المدينة قبل القتال تخذيدا للمسلمين بدعوى (لونعلم قتالا لا تبغناكم) «٣» وقيل إنّ النبىّ (ص) أمرهم بالا نصراف لكفرهم وإنّ عددهم كان ستمائة رجل.

تقول الرواية:

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٧٠

انّ النبىّ (ص) خرج يوم اءحد، حتّى إذا جاوز ثبئة الوداع فإ ذا هو بكتيبة حسناء.

فقال: من هؤلاء؟

قالوا: عبدالله بن ابيّ فى ستمائة من مواليه من اليهود من بنى قينقاع.

فقال: وقد أسلموا؟

قالوا: لا، يا رسول الله.

قال: مروهم فليرجعوا، فإنّ لانتعين بالمشركين على المشركين). «١»

لقد دأب هذا الفصيل من حركة النفاق على تعويق تقدّم مسيرة الاسلام وتخذيل المسلمين وإيدأ الرسول (ص) والمكر به لقتله، وكانت غزوات الرسول (ص) وحروبه شاهدة على كلّ ذلك، والمتتبع لا حدّات السيرة النبوية لا يجد صعوبة فى رؤية هذه الحقيقة الظاهرة، لكنّ أعمال ومكائد هذا الفصيل لم تثمر شيئا للمناقبين سوى الخيبة والخزى طيلة السنوات العشر التى عاشها الرسول (ص) فى المدينة.

ولقد عامل الرسول (ص) قائد هذا الفصيل وأتباعه وواجه أعمالهم ومكائدهم بما تقتضيه مصلحة الاسلام وحركة تقدّمه إلى الامام، فكان (ص) يصبر ويتحمّل ويصفح أو يغلظ ويعاقب حسب ظرف الاسلام ومقتضيات الحكمة الربانية التى لا تخطى.

وكانت لهذا الفصيل ولقائده عبدالله بن ابيّ علاقات حسنة خفية بفصائل النفاق الاخرى، وقد يكتشف المتتبع هذه العلاقات فى

الربط بين دلالات

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧١

بعض د الروايات وقرأه ما ورأ السطور فيها، ففي موقعة أحد مثلاً لما شاع بين الناس أن النبي (ص) قد قُتل قال بعض الذين استرلهم الشيطان ففرّوا يُصعدون ولايلوون على أحد: (ليت لنا رسولا إلى عبدالله بن ابي لياخذ لنا أماناً من ابي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن ياءتوكم فيقتلوكم). «١»

وقال بعضهم: (لو كان نبياً ما قتل فارجعوا إلى دينكم الاوّل)، «٢»

وقال آخرون: (نلقى إليهم بايدينا فإ نهم قومنا وبنو عمنا). «٣»

قال صاحب كتاب السيرة الحليّة: (وهذا يدلّ على أن هذه الفرقة ليست من الانصار بل من المهاجرين). «٤»

ولا شك أن هذه المتون تشير إلى أن هناك علاقة غير ظاهرة بين منافق قريش د هؤ لاء وبين عبدالله بن ابي بن سلول وبين ابي سفيان راءس الكفر في مواجهة الاسلام والذي تحوّل بعد ذلك إلى رأس النفاق الامويّ (وكان كهفا للمنافقين) «٥» ولا شك أن قيادة حزب السلطة كانت ممّن رقى صخرة الجبل فرارا، تثبت هذا أدلّة تاريخيّة خاصيّة، «٦» ويؤكّد ذلك أيضا أن من الثابت تاريخيّا أن جميع المهاجرين سوى اميرالمؤمنين عليّ (ع) كانوا قد فرّوا عن رسول الله (ص) في اءحد، وفي الاثر اءن اءنس بن النضر قبل استشهادة في تلك المعركة استنهض الخليفة عمر بن الخطاب مع آخرين من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٢

الفازيين الذين ألقوا بايديهم، ودعاهم إلى الجهاد والشهادة فلم ينهضوا.

تقول الرواية:

(إنتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بايديهم.

فقال: ما يجلسكم؟!

قالوا: قتل رسول الله (ص).

قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (ص).

ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قتل ... «١»

والرواية مشعرة باءنهم لم ينهضوا معه!

إنّ الانقلاب على الاعقاب الناشى عن الارتياب بنبوّة النبي (ص) لم ينحصر وقوعه من بعض الصحابة في موقعة اءحد فقط، بل كان يتكرّر عند كلّ شدّة أو انكسار وعند جريان الرياح بما لاتشهى الامتيّة، هذا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب أيضا يحدّثنا عن تكرّر حالة الارتياب هذه عنده يوم الحديبيّة ولكن بصورة أشدّ إذ دعتة إلى التفكير بالتمرد على رسول الله (ص) والخروج عليه، فيقول: (ارتبت ارتيابا لم أرتبه منذ أسلمت إلّا يومئذ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت!!). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٣

ومن المضحك المبكى أن هذه المزيادات من هؤ لاء الصحابة كانت لاتظهر إلّا إذا ذهب الخوف وأمن الروع حيث تنشط اللسنه الحداد، وكان رسول الله (ص) إذا ضاق ذرعا بمزياداتهم الكاذبة وأراد أن يسكتهم ذكرهم بجبنهم كما فعل يوم الحديبيّة إذ قال لهم:

(أنسيتم يوم اءحد إذ تصعدون ولاتلوون على اءحد، واءنا اءدعوكم فى اءخراكم؟! اءنسيتم يوم الاحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن

اءسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر؟! أنسيتم يوم كذا؟! ...). «١»

الحزب الاموي: ص: ٧٣

كان فتح مكة المكرمة منعطفًا من منعطفات تاريخ الاسلام الرئيسة، فقد تحوّل المسلمون بعده من عصابة ثائرة إلى قوة مركزية قاهرة ودولة ظاهرة ظاهرة، وتحوّل المشركون بعده من تجمع مركزي مؤثر في الاحداث إلى شتات ضعيف فاشل. وكان قد أدرك دهاء النفعيين من قريش هذه النتيجة قبل حصولها بآشهر، أمثال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فدخلوا في الاسلام حين أيقنوا أنه لا بدّ من الدخول فيه.

أما الامويون فقد أصرت غالبيتهم على المكابرة والعدا حتى حلت بساحتهم رايات الفتح الاسلامي، فكانوا من الطلقاء. دخل الامويون الاسلام مقهورين بالفتح، وقلوبهم تتجرّع الاسلام ولا تكاد تسيغه، وحقيقته نفاقهم وإصرارهم على الكفر من حقائق التاريخ التي لا يشك منصف في ثبوتها، وشواهد هذه الحقيقة أمتع في ظهورها من أن تخضع لتأويلات يتكلفها مجانبو الحقيقة وأعداء الحق.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٤

هاهو أبو سفيان يدخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فيقول له:

(صارت إليك بعد تيم وعدى فاء درها كالكرة، وأجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنّه ولا نار). «١»

وهاهو معاوية يخلو به المغيرة بن شعبه فيقول له بعد أن استقامت الامور لمعاوية:

(إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إختك من بنى هاشم

فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شى تخافه ...). «٢»

فيثور معاوية ويكشف عن كفره وجاهليته قائلا:

(هيهات، هيهات، ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل أبو بكر، ثم ملك أخو

عدى فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم

يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل (وعمل به)، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يُصرخ به في

كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أن محمدا رسول الله (ص)، فاءى عمل يبقى بعد هذا لا أم لك؟ والله إلا دفنا دفنا ...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٥

وهاهو يزيد يصرح بكفره وكفر آبائه ومعتبرا عن تشفيّه بقتل سيد الشهداء (ع) في تمثله بآبيات ابن الزبيرى:

ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

لا هلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلنا بيدر فاعتدل

لعبت الهاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل «١»

دخل الامويون الاسلام مقهورين بالفتح، وأعينهم تراقب مجرى حركة الاحداث لعل الامر بعد رسول الله (ص) ينحرف عن مساره

المرسوم فيرجع القهقري، ويتجدد لهم الامل والرجاء في أن يعود لهم سابق شاء منهم فى الجاهلية، فيمتطون صهوة الزعامة من جديد

ولكن بثوبها الاسلامي، وقد عبر أبو سفيان عن هذا الرجاء فى محضر عثمان قائلا: (يا بنى أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذى يحلف به

أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته)، «٢» وفى نص آخر: (يا معشر بنى أمية، إن الخلافة صارت فى تيم وعدى

حتى طمعت فيها، وقد صارت إليك، فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فوالله ما من جنّه ولا نار). «٣»

يقول عبد الله العلايلي فى كتابه (الامام الحسين (ع):

(وفي قوله (ما زلت أرجوها لكم) ما يشعرنا بآن الحزب الامويّ كان موجودا من قبل، وكان يعمل تحت ستر الخفاء، ويحيك في الظلماء، وإلّا فبأيّ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٦

سبب كان يرجوها لهم؟ وليسوا باءهل سابقه في الاسلام ولا أيادي لهم معروفة سوى المظاهرة ضدّ الله ورسوله). «١»
ولا- شك أنّ التفاتة العلاءيلي في أنّ الحزب الامويّ كان موجودا من قبل هي التفاتة في محلّها، لكنّ تساؤلّه عن سبب رجاء أبي سفيان في أنّ تكون الخلافة لبني أميّة تساؤل في غير محلّه، ذلك لأنّ اغتصاب الخلافة من أهلها المنصوص عليهم ودفعتهم عن مقامهم وصيرورتها في (أقلّ حين) من قريش على حدّ تعبير أبي سفيان نفسه هو الذي أطمع الامويين فيها، وقد صرح أبو سفيان بهذا السبب (إنّ الخلافة صارت في تيم وعدى حتّى طمعت فيها)، وذلك لأنّ الامويين يرون أنفسهم أشرف عشيرة وأعزّ نفرا وأكثر علما وخبرةً ودهاءً من الأوّل والثاني، فلماذا لا يطمعون بها وقد تهافت أمرها وتداني شأنها؟!

دخل الامويون الاسلام ظاهرا بعقليته (الحزب)، وتحسّسوا في البدء من الفصائل الاخرى المماثلة التي تعمل في دائرة الصد عن رسول الله (ص) ليقيموا معها أو اصر التعاون في ظلال الهوية الاسلاميّة الساترة بعد ما كانوا قد تعاونوا معها وهم تحت راية الكفر السافرة. «٢»
وقد يسّرت العلاقات القديمة سبل التعاون الجديدة بين الحزب الامويّ وفصائل النفاق الاخرى، وقد يصعب على المتتبع أن يعثر على دلائل كاشفة عن التعاون الجديد بين الامويين بعد الفتح وبين فصائل النفاق الاخرى الى وقت رحلة النبيّ الاكرم (ص)، أللهم إلّا بعض الاشارات الكاشفة عن حالة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٧

نفسية مساعدة في اتجاه التعاون كمثل هذا الرواية التي رواها مسلم:

(أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر

فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله ماء خذها!

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟!

فأتى النبيّ (ص) فآخبره.

فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك (...). «١»

لكنّ المتتبع لا يجد صعوبة تذكر في العثور على دلائل التعاون الجديد بعد أن استقرت نتائج السقيفة لصالح حركة النفاق، وهذه الدلائل كثيرة جدّا، ولا يقدح فيها الموقف المؤقت الذي وقفه أبو سفيان في طلبه من اميرالمؤمنين عليّ (ع) في أن يمدّ يده لبياعه، وفي تنكّره بادئ ذي بدء لنتائج السقيفة، فإنّ هذا الموقف أملتة على أبي سفيان أميته المكبوتة في أن يبطش بالاسلام البطشة الكبرى بعد رحلة الرسول (ص) مباشرة من خلال إيقاع الاقتتال بين المسلمين على الخلافة وإسقاط الدولة الاسلاميّة وإعادة الناس إلى الجاهليّة وإلى قريش بزعاماتها السابقة، ولم تخف نية أبي سفيان في موقفه هذا على اميرالمؤمنين عليّ (ع) فنهره وأغلظ له قائلا:

(والله إنك ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للاسلام شرا (...). «٢»

لقد كان الصحابة كلّهم أو جلّهم يعلمون أنّ بني أميّة هم الشجرة الملعونة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٨

في القرآن، ذلك ممّا علمهم رسول الله (ص) وصرّح به، «١» وهذه المعلومة جزء من معلومات ملفّ الملاحم والفتن المقبلة التي كشف عنها الرسول (ص) كشفا تامّا للاّمة لإقامة الحجّة عليها في تشخيص المحجّة البيضاء ومعرفة خلفائه من بعده، يقول حذيفة بن اليمان (ر) (والله ما أدري أنسى أصحابي أم تناسوا؟! والله ما ترك رسول الله (ص) من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلّا قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته). «٢»

إذن فقيادة حزب السلطة وهي من الصحابة كانت تعلم جيداً من هم بنو أمية، ومن الأدلة على ذلك أيضاً أن: (الخليفة الثاني عمر لما سأل كعب الاحبار اليهودي عما يجدونه في كتبهم في قضية (إلى من يفضى الامر؟) قال كعب الاحبار: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى أعدائه الذين حاربهم وحاربوه وحاربهم على الدين. فاسترجع عمر مرارا وقال: أتسمع يا ابن عباس؟ أما والله لقد سمعت من رسول الله ما يشابه هذا، سمعته يقول: ليصعدن بنو أمية على منبري، لقد أريتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة، وفيهم انزل: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن). «٣» وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبه، قال: قال لي عمر يوماً: يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراً منذ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٩

أءصبيت؟ قلت: لا. قال: أما والله ليعورن بنو أمية الاسلام كما اعورت عينك هذه، ثم ليعميته حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجي (...). «١»

لكن قيادة حزب السلطة مع كل هذه الدراية كانت قد تعاونت مع الحزب الامويّ تعاوناً وثيقاً في إطار علاقة صميمية أساسها الصد عن رسول الله (ص).

وملفت لا نتباه (أن أكثرية الامراء والولاة كانوا من بنى أمية في أزمان أبي بكر وعمر وعثمان)، «٢» في الوقت الذي منعت قيادة حزب السلطة الهاشميين منعاً باتاً من تسلّم أيّ مسؤو وليّة من إمارة أو ولاية أو دون ذلك، ويعلّل عمر لابن عباس د هذا الموقف المتشدّد في منع الهاشميين من ذلك بقاء الهاشميين إذا ما تولّوا منصباً في إدارة شؤون الامية دعوا الناس إلى الالتفاف حول أهل الخلافة الحقيقيين من بنى هاشم وبصروا الناس بأهل الصد عن رسول الله (ص)، وهذا ما لا يمكن أن تسمح به قيادة حزب السلطة أبداً. يقول عمر مخاطباً ابن عباس في هذه المسألة:

(يا ابن عباس، إن عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسى منك شى لم أراه منك، وأعيانى ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال: لن أعمل حتى تخبرني بالذى في نفسك. قال: وما تريد إلى ذلك؟

قال: أريده فإن كان شى أخاف منه إلى نفسى خشيت منه عليها الذى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٠

خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنى لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإنى قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته. فقال: يا ابن عباس، إنى خشيت أن يأتى على الذى هو آت وأنت في عملك فتقول: هلم إلينا، ولا هلم إليكم دون غيركم (...). «١» فالخليفة الثاني إذن لا ياءبى فقط أن تعود الخلافة إلى أهلها المنصوص عليهم من قبل الله تبارك وتعالى، بل ياءبى حتى أن يتمكن الهاشميون من الدعوة إلى أنفسهم ولو بعد موته. هذا في الوقت الذى سعى حزب السلطة منذ أوائل أيام تسلّمهم الحكم إلى تمهيد الامور للحزب الامويّ ليتسلّم زمام الامور بعد قيادة حزب السلطة، لأن هذه القيادة رأت في الامويين امتدادها الفكرى والعملى، والضمائنه الاكيدة في استمرار وجود قوّة حاكمة على أهل البيت (ع)، تواصل مواجعتهم وعزلهم وحرمانهم من حقهم في التصدى لا مور المسلمين.

فبعد أن استقرت نتيجة السقيفة لحزب السلطة، كانت ظاهرة استمالة هذا الحزب للا مويين على صعيد التعاون الجديد معهم في المواجهة السافرة مع أهل البيت (ع) من الظواهر الواضحة في تاريخ المسلمين بعد الرسول (ص).

وتكفى دليلاً على هذه الحقيقة العلاقة الخاصة جداً بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبى سفيان الطليق الذى لعنه

الرسول (ص) مرارا على رؤوس د الشهداء، وأمر المسلمين بقتله إذا رأوه على منبره. «٢»

كانت للخليفة الثاني خلوات بمعاوية منذ أوائل الايام ...

يحدثنا التاريخ بواقعة من وقائع طفولة الامام الحسين (ع) في أوائل أيام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨١

حكم عمر بن الخطاب عن لسان الامام الحسين (ع) أنه قال:

(صعدتُ إلى عمر بن الخطاب، فقلت له: إنزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك! قال: فقال: إن أبي لم يكن له منبر. قال فاءقعدني معه، فلما نزل ذهب بي إلى منزله، فقال لي: أي بنّي، من علمك هذا؟ قال: قلت: ما علمني أحد! قال: أي بنّي لو جعلت تاء تينا وتغشانا؟ قال: فجئت يوما وهو خال بمعاوية!! وابن عمر بالباب ولم ياءذن له، فرجعت، فلقيني بعدُ فقال لي: يا بنّي لم أرك تاء تينا؟ فقلت: قد جئت وأنت خال بمعاوية، فأريت ابن عمر رجع فرجعتُ.

فقال: أنت أحقّ بالاذن من عبدالله بن عمر، إنّما أنبت في رؤوسنا ما نرى الله ثمّ أنتم!! (...). «١»

وذكر معاوية عند عمر فقال:

(دعوا فتى قريش وابن سيدها!! إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه ألما على الرضا، ومن لا ياءخذ من فوق رأسه إلما من تحت قدميه). «٢»

يقول هذا فيمن لعنه رسول الله (ص) ولعن أباه ولعن ابنه!

وكان معاوية يتدلل لعمر ويتملقه، وإذا جاوز رضاه في قضية من القضايا خاطبه بلسان المتدلل الخاضع:

(يا أمير المؤمنين، علمني أمثل). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٢

ومعاوية في ذلك إنّما يمثل الدور الذي رسمه له أبوه أبو سفيان منظر الحزب الاموي حين أوصاه قائلاً:

(يا بنّي إنّه لاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتاءخرنا ... فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلاتخالفهم، فإنّك تجرى إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك). «١»

والامويون لا يترددون في الاعتراف بآئهم امتداد لحزب السلطنة، بل هم يحاجون من يُنكر عليهم قبائحهم ممن هم من نسل أبي بكر أو عمر بآئ الاولين إن كانا قد أحسنا فإنّا احتدنا بهما! وإن كانا قد أساءا فهما أولى بالدم والمعابة!

يقول معاوية في رسالته جوابية بعث بها إلى محمد بن أبي بكر (ر):

(... وقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبينا صلى الله عليه، نرى حقّ ابن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلّم ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبو بكر وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتّفقا واتّسقا ... فخذ حذرَكَ يا ابن أبي بكر، فسترى وبال أمرَكَ، وقس شبرَكَ بفترك، تقصر عن أن تساوى أو توازى من يزن الجبال حلمه، ولا تلين على قسر قناته، ولا يدرك ذومدى أناته، أبو بكر مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فاءبوك أوّل، وإن يك جورا فاءبوك أسسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدنا، ولولا ما سبقنا إليه أبو بكر ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك فاحتدنا بمثاله، واقتدنا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أودع (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٣

ولما قتل الحسين (ع) كتب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية:

(أما بعد، فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الاسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين!)

فكتب إليه يزيد:

(أما بعد يا أحمق، فإننا جئنا إلى بيوت مجددة وفرش ممهدة ووسادة منضدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فاء بوك أول من سن هذا واستاءثر بالحق على أهله!). «١»

أما علاقة الحزب الامويّ بفصيل منافقي أهل المدينة فيمكن أن نتحسس د جذورها في موقعة أحد لما تمنى الفارون من أصحاب صخرة الجبل وفيهم قيادة حزب السلطة طبعاً أن يجدوا رسولا إلى عبدالله بن ابي بن سلول ليتوسط لهم عند أبي سفيان في العفو عنهم، الامر الذي يكشف عن العلاقة الخاصة بين ابن سلول وأبي سفيان آنذاك.

وأما علاقة الحزب الامويّ بفصيل منافقي أهل الكتاب فاء وضح من أن تحتاج إلى بيان، وذلك لأن بطانة السوء التي اتخذها الامويون من منافقي اليهود والنصارى من ظواهر التاءريخ الامويّ التي لاتخفى على من له أدنى معرفة بهذا التاءريخ، ويكفي ذكر هذه الاسماء: كعب الاحبار، نافع بن سرجس، سرجون، ابن أثال، أبوزبيد، دليلا على ذلك.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٤

ويفوق الحزب الامويّ كل فصائل حركة النفاق في مستوى الاضرار الشديدة التي ألحقها بالا سلام والمسلمين، فكثريا وعمليا، كما وكيفا، تلك الاضرار التي لازال العدد الكبير من المسلمين إلى اليوم تحت تاءثير عواقبها التي اءلصقت بالا سلام وهي ليست منه، بل هي مما ابتدعه الامويون على صعيد الحديث والفقه والتفسير والتاءريخ.

ومع هذا فإن الحزب الامويّ يبقى فيما استطاع أن يصل إليه من التحكم في رقاب هذه الامة وتشويه نظريتها وتاءريخها وتدمير حياتها ناتجا من نواتج حزب السلطة وسيئته من سيئاته إلى يوم القيامة.

منافقون نفعيون: ص : ٨٤

بقي أن نقول: إن في دائرة النفاق أفرادا لم يشكّل وجودهم فصيلا ذا خطّ محدّد ملتزم، بل كانت مطامعهم الدينويّة ترسم اتّجاه مواقفهم المتذبذبة في السخط والرضا، أمثال: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبه، وأبي موسى الاشعري، وسمره بن جندب، وأبي هريرة وغيرهم.

والدنيا التي يريدونها هو لاء ويطمعون بها لا يجدونها في صفّ عليّ وآل عليّ (ع)، من هنا فإنّ هؤلاء عموما لم يخرجوا طيلة حياتهم عن خطّ خدمة حزب السلطة أو الحزب الامويّ، ولذا لم نفصل القول في قرأه مواقف هؤلاء النفعيين في هذه المقالة.

المنعطفات الاساسية ونتائجها: ص : ٨٤

السقيفة: ص : ٨٤

يهمنا من السقيفة هنا نتائجها، غير أن من الجدير بالذكر أن ننبه قبل ذلك إلى أنّ هناك دلائل تاءريخية تشير إلى أنّ مؤ تمر السقيفة لم يكن قد انعقد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٥

انعقادا عفويا كما تصوّر ذلك أكثر كتب التاءريخ، بل تشير هذه الدلائل إلى أنّ حزب السلطة نفسه كان قد خطّ لعقد مؤ تمر كهذا تخطيطا دقيقا بطريقة (التحفيز والاثارة)، وقد أعدت قيادة هذا الحزب ما يمكنها لتكون هي الفائزة فيه. ومن الدلائل على ذلك:

: (كان عامية المهاجرين وجلّ الانصار لايشكّون أنّ عليا هو صاحب الامر بعد رسول الله (ص)، «١» وذلك لقرب عهدهم بواقعة الغدير وبيان النبى (ص) فيها، الذي نصب فيه عليا وليا للا مر من بعده، والبيانات النبوية الاخرى الكثيرة المماثلة التي كانت لاتزال حيّة في ذاكرة المهاجرين والانصار خاصية والامة عامّة، لكنّ إنتشار بناء مواجهة قيادة حزب السلطة لرسول الله (ص) علنا في مرضه

قبيل موته، وصدّه عن كتابه بيانه الاخير المانع من الضلال والاختلاف، وأتهامه بالهجر، كان قد أشعر الناس عملياً بآءن هناك احتمالاً قوياً لوقوع انقلاب على الشرعية الالهية سوف ينقذ مباشرة بعد موت رسول الله (ص)، وأن قريشا سوف تمنع أهل البيت (ع) عن حقهم في الامر، فكان هذا أول الحوافز التي دفعت الانصار للتفكير بكيفية مواجهة الحالة الجديدة.

كان حزب السلطة قد اخترق الانصار فضم إليه جماعة منهم، وجعل من بعضهم جواسيس وعيوناً له ترصد اتجاه تفكير الانصار ورأيهم وطريقته تحرّكهم ومواقفتها، الامر الذي ساعد حزب السلطة كثيراً في بثّ المحفزات المطلوبة لتحريك عقليته الانصار بالاتجاه الذي يريده.

فأئسيّد بن حضير الذي تحدّث عنه وسائل إعلام حزب السلطة على أنه سيّد الاوس، كان من أعوان قيادة هذا الحزب المقرّبين، وقد تفانى في خدمتهم، وكان ممّن اشترك مع عمر في مهمّة إحراق بيت فاطمة (س)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٦

وإخراج عليّ (ع) كرها من بيته للبيعة بالقوة.

ومعاذ بن جبل الذي كان عضواً كبيراً من اعضاء حزب السلطة وشريكا لقيادة هذا الحزب في التوقيع على الصحيفة السريّة التي أبرموا أمرها في مكّة، وتعاهدوا فيها على عزل عليّ (ع) عن الخلافة إذا مات النبي (ص).

وبشير بن سعد الخزرجي، الذي كان يبغض عليّاً (ع) فتعاون مع حزب السلطة، وحسد سعد بن عبادة ونفس عليه منزلته في الانصار فكان أول من بادر من الانصار فبايع أبابكر في السقيفة.

وعويم بن ساعدة الذي آخى الرسول (ص) بينه وبين عمر في المؤاخاة بن المهاجرين والانصار، كان هو ومعن بن عدىّ الانصاري من جواسيس وعيون قيادة حزب السلطة لمراقبة الانصار ورصد تحرّكاتهم، وهما اللذان أفسدا على سعد بن عبادة أمره في السقيفة وأشاعا الوهن في نفوس الانصار حين خاطبهم عويم قائلاً: (يا معشر الخزرج إن كان ه ذا الامر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك وبرهنوا حتّى نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم فسلّموا إليهم ...)، «١» وهما اللذان أسرعاً إلى أبي بكر وعمر بخبر انعقاد السقيفة ليحضرها ومن معهما في الوقت المحدّد (وكان معن بن عدىّ يشخصهما إشخاصاً ويسوقهما سوقاً عنيفاً إلى السقيفة مبادرةً إلى الامر قبل فواته). «٢»

باءمثال هو لاء من الانصار استطاعت قيادة حزب السلطة أن تدبّر تنفيذ خطتها جيّداً لتوقع الانصار في فخّ مصيدتها. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٧

: (توفّي رسول الله (ص) وأبوبكر بالسنح وعمر حاضر)، «١» وقد صدر نباء موته (ص) عن بيته، فلو كان ثمة احتمال أن يصدر عن بيته الشريف مثل هذا النباء كذبا أو خطأ!! فإنّ يا مكان عمر أن يتيقّن من موته (ص) كما فعل أبوبكر حينما جاء من السنح حيث كشف عن وجه رسول الله (ص) فتيقّن، وبهذا يكون عمر قد قطع الشك باليقين كما يفعل أيّ عاقل في مثل هذا الحال، لكنّ عمر وهو ينتظر مجيء أبي بكر على أحزّ من الجمر ظلّ يذهل الناس عن أيّ تفكير أو تحرّك وهو يزيد ويرعد قائلاً:

(إنّ رجالاً من المنافقين!! يزعمون أنّ رسول الله (ص) توفّي، وإنّ رسول الله والله ما مات ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات). «٢»

فلما جاء أبوبكر وأسكته بالاية القرآنيّة: (وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ...) «٣» توقّف عمر عن أداء ذلك الدور واندفع يؤدّي دوراً آخر فقال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٨

(أيّها الناس، هذا أبوبكر وذو شبيبة المسلمين فبايعوه) «١»

مطلقاً بذلك إشارة البدء بتنفيذ الخطّة عملياً في الانقلاب على الشرعيّة الإلهيّة، وذلك قبل السقيفة، فعندها تيَقنّ الانصار من وقوع الانقلاب، وتسارعوا متحمّزين يجمعون شملهم لمواجهة الحالة الطارئة، فحملوا سعد بن عبادَةَ مريضاً إلى السقيفة واجتمعوا فيها. كانت قيادة حزب السلطة قد استقدمت أعداداً كبيرة من مرتزقة الاعراب بعد الاتفاق معهم على أن يحضروا المدينة حيث ينعقد المؤتمّر وفي وقت محدّد، ليكثر بهم سواد حزب السلطة في مؤتمّر الاغتصاب، وليضعف بإزائهم صوت الانصار، تقول المصادر: (إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايق بهم السكك) «٢» و (جاءت أسلم فبايعت، فقوى أبو بكر بهم، وبايع الناس د بعدُ)، «٣» وتعليق عمر على أثر حضور هذه القبيلة دليل على استقدامها من قبل حزب السلطة، كان يقول: (ما هو إلّا أن رأيت أسلم فأيقتت بالنصر). «٤» كان هذا سبباً كبيراً من أسباب انكسار الانصار وانتصار حزب السلطة في سقيفة بني ساعدة، حيث ضعف صوت الانصار إلى درجة أن لم تنفعهم حتّى مناداتهم أواخر الامر: (لانباع إلّا علينا!!) «٥»

كان الهَمّ الأكبر لحزب السلطة في خطّة الاغتصاب هو أن ينحصر النزاع مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٩

والتخاصم في مؤتمّر السقيفة بين الانصار بما لهم من فضل وبين المهاجرين بما لهم من فضل، بمعزل عن ذكر (الوصيّ الشرعيّ) وذكر فضائله، ذلك لأنّ قيادة حزب السلطة إذا ضمنت إخراج عليّ (ع) من دائرة النزاع والتخاصم على الخلافة، واطمأنت إلى عدم ذكره في أيّ احتجاج، فإنّها وهي تتحدّث باسم المهاجرين تكون قد أحرزت الفوز حتماً لأنّ حريّة المهاجرين هي الأقوى في حال عزل أهل البيت (ع) عن دائرة الاحتجاج (إذ هم الثمرة إذا احتجّ بالشجرة!!).

لكن ماذا تصنع قيادة هذا الحزب والامة قريية عهد بواقعة الغدير التي شهدها جلّ الصحابة وسمع بها القاصي والداني؟! حيث نصب فيها رسول الله (ص) علياً (ع) ولياً لأمّ بعدة، في بيان نبويّ رواه من الصحابة في التاءريخ المدوّن فقط مائة وعشرة، «١» وكيف ستواجه قيادة حزب السلطة من يعترض عليها بحديث الغدير وبيعتته؟! فضلاً عن البيانات النبويّة الاخرى الكثيرة المتعلّقة بولاية عليّ (ع) وخلافته؟!

ليس يا مكان أحد من الصحابة عامّة والمهاجرين والانصار خاصّة أن ينكر واقعة الغدير آنذاك، ولذا لم يكن أمام قيادة حزب السلطة في مواجهة هذه المشكلّة إلّا أن تدعى أنّ النبيّ (ص) قد نسخ بيان الغدير والبيانات النبويّة الاخرى المتعلّقة بخلافه عليّ (ع)، وتدعى على لسان النبيّ (ص) أنّ الله سبحانه منع اجتماع النبوة والخلافة لأهل البيت (ع)، والقضيّة لا تحتاج إلّا إلى مدّعوشهود!! وهكذا كان، فقيادة حزب السلطة إضافة إلى مواصلتها لعمليّة تحفيز الانصار باتّجاه منازعة المهاجرين على الامارة لا نفسها بعيداً عن التوجّه إلى (الوصيّ الشرعيّ) كانت تردّ على كلّ معترض عليها بواقعة الغدير أنّ الامر قد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٠

نُسخ، والامر يحدث بعده الامر!! ويبدو أنّ قيادة حزب السلطة لم تكن تردّ بهذا فقط، بل كانت تبادر إلى إشاعة دعوى النسخ هذه في صفوف الانصار بواسطة عملائها منهم، ولايبعد أنّها روجت هذا الادّعاء قبيل وفاة النبيّ (ص) بقليل أو بعد وفاته مباشرة لخلق حالة ذهنيّة ونفسيّة عامّة تتقبّل إنحصار النزاع بين الانصار والمهاجرين بعيداً عن عليّ (ع).

وهكذا كان فقد نجحت قيادة حزب السلطة في استغلال كثير من جماهير الانصار وأوقعتهم في فخّ مصيدتها، فلما انقضت (الفلتة) إنتبهوا من غفلتهم أواخر الامر (فقال الانصار أو بعض الانصار لانباع إلّا علينا)، «١» ويقول التاءريخ أيضاً إنّه:

(لَمَّا بُويع أَبُو بَكْرٍ وَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ نَدِمَ قَوْمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْانصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَلَامَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَذَكَرُوا عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَهَتَفُوا بِاسْمِهِ ...)

«٢»

ولات حين فائدة!!

ومن الدلائل على أنّ قيادة حزب السلطة لجاءت إلى دعوى النسخ في مواجهة من يعترض عليها بواقعة الغدير، ما رواه التاءريخ أنّ

بريدة الاسلمى قال لعمر: (يا عمر، أستمنا الذين قال لكما رسول الله (ص): انطلقا إلى عليّ فسَلِّمًا عليه يا مرة المؤمن. فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله!؟

فقال: نعم.؟

فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة، ولكنك غبت وشهدنا، والامر يحدث بعده الامر! (...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩١

ولما حاجهم أمير المؤمنين عليّ (ع) في المسجد حينما أحضروه كرها وقهرا للبيعة فخطبهم قائلا:

(يا معشر المسلمين والمهاجرين والانصار، ائشددكم الله اء سمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم كذا وكذا، فلم يدع (ع) شيئا قاله فيه رسول الله (ص) علانية للعامة إلا ذكرهم إياه.

قالوا: نعم.

فلَمَّا تخوّف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعوه بادرهم فقال: كلّمنا قتل حقّ، قد سمعنا بآذاننا ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعنا رسول الله يقول بعد هذا:

إنّا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة.

فقال علي (ع): هل أحد من أصحاب رسول الله (ص) شهد هذا معك!؟

فقال عمر: صدق خليفه رسول الله، قد سمعته منه كما قال!

وقال ابو عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا ذلك من رسول الله.

فقال علي (ع): لقد وفيت بصحيفتكم التي تعاقدم عليها في الكعبة: إن قتل محمّد أو مات لتزوّن هذا الامر عنّا أهل البيت.

فقال أبو بكر: فما علمك بذلك!؟ ما أطلعناك عليها.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٢

فقال (ع): أنت يا زبير، وأنت يا سلمان، وأنت يا أباذر، وأنت يا مقداد! أساء لكم بالله وبالا سلام، أما سمعتم رسول الله (ص) يقول

ذلك، وأنتم تسمعون، إنّ فلانا وفلانا حتّى عدّهم هؤلاء الخمسة، قد كتبوا بينهم كتابا وتعاهدوا فيه وتعاقدوا على ما صنعوا؟

فقالوا: أللهم نعم، قد سمعنا رسول الله (ص) يقول ذلك لك إنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا، وكتبوا بينهم كتابا إن قُتِلت أو

مُت أن يزووا عنك هذا يا عليّ (...). «١»

نتائج السقيفة: ص: ٩٢

إشارة

أفرز مؤ تمر السقيفة نتائج كثيرة جدّا في جميع مجالات حياة الامّة المسلمة، هي ذات النتائج الناشئة عن انقلاب أمة على أعقابها «٢» ورجوعها القهقري عن المسار المعصوم الذي أراه الله تعالى لها تحت ظلّ قيادة حججه على العباد وخلفائه في البلاد بعد رحلة النبي الاكرم (ص).

وهذه النتائج على كثرتها منها ما ظهر فوراً وأثر تاءثيراً مباشراً في حياة الامّة، ومنها ما شرع بالشوء والتكون، ويهمننا هنا ملاحظة النتائج التي كان لها تاءثير في التمهيد للتطوّرات الكبرى التي أدّت إلى سيطرة الحزب الامويّ على زمام الامور، وأهمّ هذه النتائج:

١ (إقصاء الوصيّ الشرعيّ (ع) عن مقامه ص : ٩٢

: إقصاء (الوصيّ الشرعيّ) عن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٩٣

مقامه الذي فرضه الله تعالى له، وقهره على البيعة بعد تهديده بالقتل إن لم يبايع، وبعد أن هجموا على داره «١» التي كان جبرئيل الامين (ع) يستاءذن كلّما أراد الدخول إليها، وأضرمو النار على بابها «٢» وعصروا فاطمة الزهراء (س) وديعة الرسول (ص) بين الحائط والباب حتّى اءسقط جنينها وكسر ضلعها ... «٣» لقد كانت تلك الجسارة على أهل البيت (ع) فاتحة كلّ الجسارات التي توات عليهم بعد ذلك.

٢ (التضييق على أهل البيت (ع) ص : ٩٣

: التضييق على أهل البيت (ع) اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا، فلقد أظهر القوم التذمّر من كثرة بكاء فاطمة (س) على أبيها (ص) حتّى بنى اميرالمؤمنين على (ع) لها بيت الـاحزان بعيدا عن مسامعهم التي كانت تستشعر لغنة الاحتجاج السياسيّ في بكائها، كما مارس القوم رقابة أمتية مشدّدة على أبي الحسن (ع) خشية من قيامه بآءى تحرّك ضدّهم، ومنعوا فاطمة (س) إرثها، وأخذوا فدكا منها وهي نحلتها من أبيها (ص) «٤» كما منعوهم وبنى هاشم حقّهم في الخمس، كلّ ذلك من أجل ألاّ يجد أهل البيت (ع) في سعة الحال قدرة على التبليغ بحقّهم في الامر والقيام والنهضة.

٣ (منع بنى هاشم من تولّى المناصب الحكوميّة ص : ٩٣

: منع بنى هاشم من تولّى أيّة مناصب حكوميّة، خصوصا المناصب الاداريّة والعسكريّة والماليّة، خشية من أن يدعوا بنو هاشم إلى حقّ أهل البيت (ع) بالا مر كما صرّح بذلك مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٩٤
عمر لعبدالله بن عبّاس (كما مرّ في رواية سابقة).

٤ (بسط يد الامويين في تولّى المناصب الحكوميّة ص : ٩٤

: بسط يد الامويين في تولّى الامارات والولايات والمناصب الحكوميّة الاخرى بمقتضى التعاون الجديد بين الحزب الحاكم والحزب الامويّ بعد أن استقرّ الامر لابي بكر، فقد شكلت نسبة عدد الامويين من مجموع عمّال أبي بكر وولاته وأمرأ جنده حوالى الثلث، «١» الامر الذي أحيأ أمل الحزب الامويّ في الاستحواذ على السلطة.
لقد كان حزب السلطة يرى امتداده الفكرى والعملى في الحزب الامويّ، وكان الحزب الامويّ بعد استتباب الامر لابي بكر يرى نفسه هو الفائز بفوز حزب السلطة الرافع لشعار الخلافة لقريش دون بنى هاشم.
يقول عبدالله العلابي في هذه النقطة:

(... فلم يفز بنو تيم بفوز أبي بكر بل فاز الامويون وحدهم، ولذلك صبغوا الدولة بصبغتهم، وأثروا في سياستها وهم بعيدون عن

الحكم، كما يحدثنا المقريري في رسالته (النزاع والتخاصم).

ومن تاريخ هذا الفوز الانتخابي بدأت سعاية بنى أمية لتهيئة الاسباب إلى الانقلاب الذي سيفضى في نهايته إلى استحواذهم على السلطة، وأى ناظر في حركات أبي سفيان لا يشك بآءته بدأ يعمل بهمة لاتعرف الكلل لتعبيد الامور على ما يريد (...). «٢»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٥

٥) انتعاش الروح القبليّة وانبعائها من جديد ص : ٩٥

: انتعاش الروح القبليّة وانبعائها فعّالة من جديد بعد أن أخذها الاسلام بتعاليمه السامية وتربيته الرفيعة، ذلك لأن منطق السقيفة قام على أساس التناز باللقاب والمفاضلة القبليّة بعيدا عن المقياس الاسلامي: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). لقد كانت الروح القبليّة ظاهرة بينة في المنطق الذي ساد النزاع بين المهاجرين والانصار في السقيفة، فقد ذكر أبو بكر كلاً من الاوس والخزرج بالا حقاد والاحن التي كانت بينهم قبل الاسلام، وأغراهم بها حين تحدّث عمّا كان بينهما من القتلى والم آسى.
وكان خطيب الانصار الحباب بن المنذر يهيج الانصار ويؤجج عزائمهم بنفس د جاهلي بحت.
وكان عمر بن الخطّاب يفصح عن لسان قريش بهذه الروح القبليّة قائلاً:
(من ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته!!).

هذه الروح القبليّة التي اندلعت كالنار من تحت الرماد يوم السقيفة، فتحت على المسلمين بابا كبيرا من أبواب التمزق والفتنة، إذ سرعان ما تجرّأ بعض د القرشيين من الطلقاء والمنافقين النفعيين أمثال سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص والوليد بن عقبه وغيرهم بالتعرض للانصار وهجائهم والدعوة إلى قتالهم بعد أن أغاضهم اعتزال الانصار على أثر السقيفة، فردّ عليهم الانصار دفاعا عن أنفسهم، وتعاضم الخطب، ولولا- تدخّل أمير المؤمنين عليّ (ع) وبعض المهاجرين ودفاعهم عن الانصار لوقعت مصيبة عظيمة أخرى في تاريخ الامّة الاسلاميّة آنذاك. «١»

ولقد استثمرت حركة النفاق عامّة والحزب الامويّ منها خاصّة تاء جيح روح التناحر القبليّ في تمزيق كيان الامّة، وتاءليب بعضها على بعض، من أجل اقتيادها بعد ذلك بسهولة على طريق تحقيق أهداف حركة النفاق في
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٦
طمس حقائق ومعالم الاسلام المحمديّ الخالص.

٦) محاصرة السنّة النبويّة علنا ص : ٩٦

: سبق فيما قدّمنا أن قلنا إن قيادة حزب السلطة كانت أيام حياة النبيّ (ص) تنهى سرّا عن كتابة البيان النبويّ بدعوى أن النبيّ (ص) بشرّ يتكلّم في الغضب والرضا!!، كما كشف عن ذلك عبدالله بن عمرو بن العاص، وقلنا إن غاية تلك المحاولة هي محاصرة البيانات النبويّة عامّة والمتعلّقة بالخلافة وشخص الخليفة من بعد النبيّ (ص) خاصّة.

أمّا بعد رحلة النبيّ (ص)، وبعد أن تمخّض مؤ تمر السقيفة عن فوز حزب السلطة بالحكم، فإنّ السريّة في مواجهة تلك البيانات النبويّة كانت قد فقدت مسوّغاتهما، وصار الصد عن البيان النبويّ علنا ولكن تحت غطاء خشية انتشار الاختلاف في الامّة!! فقد جمع أبو بكر الناس وقال لهم:

(إنكم تحدّثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئا!!، فمن

ساء لكم فقولوا:

بيننا وبينكم كتاب الله!. «١»

وفضلاً عن ملاحظة التحول من التكتّم في المواجهة إلى الاعلان عنها، نلاحظ أيضاً أنّ قوله (فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً) يعنى المنع المطلق عن البيان النبويّ مطلقاً!! وضرب حصار تامّ شامل على كلّ ما ورد عنه (ص)!!

لقد أدركت قيادة هذا الحزب أنّ ما يقلقها وتخشى من انتشاره ليست البيانات النبويّة المتعلّقة بمقام عليّ (ع) ومنزلته وأحقّيته بالخلافة فحسب، بل هناك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٧

البيانات المتعلّقة بالا مر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخرى في أوصاف (الائمة المضلّين) وضرورة القيام ضدّهم، وأخرى تشخّص الشجرة الملعونة في القرآن، وأخرى تتحدّث في الفتن وقادتها، وأخرى في فضائل بعض الصحابة الذين يضيق الحزب الحاكم ذرعا بهم، ولايسره بل يسوءه انتشار عير فضائلهم، وأخرى وأخرى ... فكان لا بدّ من تعميم المنع وإطلاقه!!

وكما ذكرنا في ماضى، فقد طبّق هذا المنع بصرامة وشدّة في عهد عمر، ومنع عثمان رواية أى حديث لم يرو في عهدى أبى بكر وعمر. ونتيجة لكثرة الفتوحات ودخول كثير من الشعوب في الاسلام وتباعد الايام عن عهد النبىّ (ص)، ولتوهم الناس أنّ الخلفاء الثلاثة الذين حكموا بعد النبىّ (ص) امتداد له، فقد اختلط الامر على أكثر الامّة التي لم تعرف عن سنّة النبىّ (ص) إلّا نزرًا يسيراً، وصار أكثر الناس د يرى السنّة في سنّة عمر (وهي مجموعة البدع التي خالف فيها سنّة النبى (ص)، حتّى إذا ألقوها اءصروا عليها واءبوا أن يتحوّلوا عنها حتّى وإن ذكروا بآن ذلك خلاف سنّة النبىّ (ص).

فقد ساءل أهل الكوفة (وهي عاصمة البلاد الاسلاميّة يومئذ) اميرالمؤمنين عليا (ع) أن ينصب لهم إماما يصلّى بهم نافله شهر رمضان، فزجرهم، وعزّفهم أنّ ذلك خلاف السنّة، فتركوه واجتمعوا لانفسهم، وقدموا بعضهم، فبعث إليهم ابنه الحسن (ع)، فدخل المسجد ومعه الدرّة، فلما رأوه تبادروا الابواب وصاحوا: واعمره! «١» وفي بعض المصادر أنّهم قالوا: يا أهل الاسلام غيرت سنّة عمر. «٢»

وهنا يتضح أمام المتتبع وجه من أوجه الصعوبات الكبيرة التي واجهها الامام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٨

عليّ (ع) في إرجاع الامور إلى أصولها الصحيحة، يقول (ع):

(قد عملت الولاة قبلى أعمالا- خالفوا فيها رسول الله (ص) متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيّرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها، وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله (ص) لتفرّق عتّى جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعة الذين عرفوا فضلى وفرض إمامتى من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله (ص) ...). «١»

٧ (نشوء حالة الشلل النفسى في الامّة ص : ٩٨

: ويلاحظ المتتبع لنتائج السقيفة أيضاً نشوء حالة روحيّة ونفسيّة جديدة في الامّة بعد السقيفة، هي حالة (شلل نفسيّ) لم تكن في الامّة أيام النبىّ (ص)، ويمكن تعريفها بآءتها حالة سكوت المسلم عن أمرٍ يعتقد أنّه باطل ومخالف لا مرالله ورسوله (ص)، وهذه الحالة واحدة من النتائج السيئة التي تنشأ عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي إذا تعاظمت في المجتمع أدّت في النهاية إلى نتائج سيئةٍ مريرةٍ كثيرةٍ، أسوأها (انقلاب الرؤية) حيث ينتكس المسلم فيرى الباطل حقّاً والحقّ باطلا.

وهذه الحالة الخطيرة كان رسول الله (ص) قد حدّر الامّة منها إذا ما تركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولك أن تتأمّل في ترابط محتوى هذا الحديث النبويّ الشريف لتعرف كيف تصل حالة الامّة في التداعى من سيءٍ إلى أسوأ حتّى تصل في انتكاسها إلى

درجة (انقلاب الرؤية)، فعن أبي عبد الله الصادق (ع)، عن رسول الله (ص) أنه قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٩

(كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تاءمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر!؟

ف قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله!؟

فقال: نعم، وشتر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف!؟

ف قيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك!؟

قال: نعم، وشتر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا!؟) «١»

ويمكن رصد بداية نشوء ظاهرة الشلل النفسى فى الامة بعد السقيفة مباشرة حيث اعتزل جل الانصار فى المدينة وبعض المهاجرين اعتراضا على نتيجة السقيفة وندما تاءمروا على التفريط بحق (الوصى الشرعى) (ع)، «٢» لكنهم مع ذلك لم ينهضوا مع الوصى الشرعى (ع) حين استنهضهم للقيام معه لتغيير الوضع الخاطى المخالف لا مر الله ورسوله (ص)، إستنادا إلى أصل أن البيعة فى الاعناق أولا كانت لعللى (ع) يوم الغدير. «٣»

والروايات فى تناقلهم عن نصرته عديدة، تقول واحدة منها:

(فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الانصار إلّا أتاه فى منزله، فذكّروهم حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلّا أربعة وأربعون

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٠

رجال، فاءمرهم أن يُصبِحوا بكرة محلّقين رؤ وسهم معهم سلاحهم ليبياعوا على الموت، فاءصبِحوا فلم يواف منهم أحد إلّا أربعة. فقلت لسلمان: من الاربعة؟ فقال: أنا وأبوذر ومقداد والزيبر بن العوام. ثم أتاهم على (ع) من الليلة المقبلة فناشدهم فقالوا: نُصبحك بكرة. فما منهم أحد أتاه غيرنا، ثم أتاهم الليلة الثالثة، فما أتاه غيرنا، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته (...). «١»

وقد اشارت الصديقه الكبرى مولاتنا فاطمة الزهراء (س) فى ثنايا خطبتها فى المسجد إلى تعجبها من هذا الشلل النفسى فى مخاطبتها الانصار حيث قالت:

(... يا معشر الفتيه وأعضاء الملة وحضنة الاسلام، ما هذه الغمزة فى حقى والسنة عن ظلامتى!؟ أما كان رسول الله (ص) أبى يقول: (المرء يحفظ فى ولده؟) سرعان ما أحدثتم وعجلان ذاهل، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول ... إيها بنى قيلة، «٢» أ أهضم تراث أبى وأنتم بمرأى ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والاداة والقوة، وعندكم السلاح والجنية، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتاءتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التى انتخبت والخيرة التى اختيرت لنا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠١

أهل البيت قاتلتم العرب وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الامم وكافحتم البهم، فلانبرح وتبرحون ناءمركم فناءتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام، ودرّ حلب الايام، وخضعت نعة الشرك، وسكنت فورة الافك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فاءتّى جرتم بعد البيان، وأسرتتم بعد الاعلان، ونكصتم بعد الاقدام، وأشركتم بعد الايمان، بؤ سا لقوم نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤ كم أول مرة أتخشونهم!؟ والله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤ منين (...). «١»

ولا كثر من سبب بعد السقيفة ظل هذا الشلل النفسى يتفشى أكثر فاء كثر فى الامة ويتعاضم خطره حتى استحکم التناقض بين ظاهر الانسان المسلم وباطنه فى أكثر أبناء الامة، واستحوذ الشيطان على السواد الاعظم منهم، وبلغ هذا الداء العضال أقصى مداه فى هذه الامة يوم خرجت لقتال ابن بنت نبيها الامام الحسين (ع) بقلوب معه وسيوف عليه!! فقتلته وهى تعلم أنه ليس على الارض أحد أفضل

منه!!

وفى متابعتنا هذه سنشير إلى العلة الأخرى التي كانت ورأ تعظم هذا المرض في الأمة والى مظهره في المواضع المناسبة التي تحسن فيها الإشارة إلى ذلك.

خلافة عمر بن الخطاب: ص : ١٠١

إشارة

وجاء عمر بن الخطاب خليفه بعد أبي بكر بتعيين منه، فجرى على ما كان قد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٢

جرى هو وأبو بكر عليه أيام خلافة أبي بكر من مواصلة التضييق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي على أهل البيت (ع) خاصة وبنى هاشم عامة، وبسط يد الامويين في تولي الامارات والولايات، وزاد على أبي بكر في ذلك، ويكفي في الدلالة على هذا أنه أطلق معاوية بن أبي سفيان واليا على الشام على سيرة الملوكة يجمع كيف يشاء ويتصرف كيف يشاء بلا رقيب ولا حسيب، فاذا ذكره المعتضون عند عمر ردهم بقوله (دعوا فتى قريش وابن سيدها!!...)، «١» وكان يقول فيه (تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!!)، «٢» حتى أن عمر بن الخطاب ليعتبر الممهّد للحكم الاموي، بل هو المؤسس له.

وزاد في شدة الحصار المضروب على السنة النبوية حتى لقد فرض الإقامة الجبرية في المدينة على رواة الاحاديث النبوية مادام حيا، ونهى جيوشه عن التحديث عن رسول الله (ص)، في الوقت الذي قرب منافق اليهود والنصارى ككعب الاحبار وتميم الداري، وفتح لهم الابواب واسعة ليمارسوا القصاص على الناس ويبتوا ماشاؤا من اباطيل كتبهم ومخترعاتهم مما يعارض د عقائد الاسلام المحمدي الخالص.

ويهمنا هنا أن نركز على عمليتين من أعماله شكلا في أهميتهما منعطفين أساسيين في حياة الأمة الاسلامية بما ترتب عليهما من الآثار البالغة الخطورة، وهذان العملان هما:

(أ) مبدأ عمر في العطاء ص : ١٠٢

: كان النبي (ص) قد ساوى بين المسلمين في العطاء فلم يفضل أحدا منهم على أحد، وجرى أبو بكر على مبدأ التسوية هذا مدة حكمه، (وأما عمر فإنه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٣

ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الانصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى). «١» (وفرض لا هل اليمن في أربعمائه، ولمضر في ثلاثمائه ولربيعه في مائتين) «٢» وفضل الاوس على الخزرج. «٣»

فلئن كان منطق السقيفة قد قام على أساس التناوب بالا-لقاب والمفاضلة القبليّة فاءنعش بذلك روح التعصب القبلي التي كان قد أخذها الاسلام، فإن مبدأ عمر في العطاء قد أطلق روح التعصب من عقالها، فولدت أسوء الآثار في الحياة الاسلامية: (حيث إنه وضع أساس تكوّن الطبقات في المجتمع الاسلامي، وجعل المزية الدينيّة من سبل التفوق المادي، وزوّد الارستقراطية (الطبقة المترفة)

القرشيّة التي مكّنت لنفسها من جديد بتمكّن أبي بكر من الحكم بميرّر جديد للا-ستعلاء والتحكّم بمقدّرات المسلمين، فجميع اعتبارات التفضيل تجعل القرشيين أفضل في العطاء من غير القرشيين، وهذا يعني أنّ قريشا هي أفضل الناس لأنّها قريش! وكفى بهذا مبرّراً للتحكّم والاستعلاء.

وقد كوّن هذا المبدأ سببا جديدا من أسباب الصراع القبليّ بين ربيعة ومضر، وبين الاوس والخزرج، بما تضمّن من تفضيل سائر مضر على سائر ربيعة، وتفضيل الاوس على الخزرج. ونظنّ أنّ هذا المبدأ قد أرسى أوّل أساس من أسس الصراع العنصريّ بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين بما جرى عليه عمر من تفضيل العرب على العجم والصريح على مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٤ المولي). «١»

ولم يطل الوقت حتّى رأى عمر نفسه خطورة الآثار الضارة التي أوجدها هذا المبدأ في حياة الأمة الاسلاميّة، حيث تسرّبت روح التحزب والانقسام إلى المجتمع، وتعاضم الشعور بالامتياز والتفرد لدى قريش، وتفشّى الحقد والحسد والكراهية والتفتيش عن المثالب بين القبائل، فكان هذا من العوامل المهمّة التي مهّدت للفتنة بين المسلمين. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ مبدأ عمر في العطاء كان انحرافا واضحا عن سيرة الرسول (ص) في العطاء والتي جرى عليها أبو بكر أيضا، فكان الاولى بالأمة أن تقف بوجهه وتمنعه من هذا الانحراف على أساس النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا امتنع وأبى قومه بالسيوف. غير أنّ التاءريخ لم يحدّثنا عن أيّ إنكار على عمر من قبل الأئمّة، وهذا مؤشّر من مؤشرات تفشّى حالة الشلل الروحي والنفسي الذي أصيبت به الأمة نتيجة السقيفة.

(ب) الشورى ص : ١٠٤

: يهمنّا في هذه القضية الحديث في نتيجة هذا المنعطف الاساس د وآثاره الكبيرة في حياة هذه الأمة، إلّا أنّه لا بدّ من التأكيد قبل ذلك أنّ هذه الشورى المدّعاة لم تحمل من الشورى إلّا اسمها، وأمّا حقيقتها فإنّ عمر كان قد خطّط لها بدقّة بحيث يكون فوز عثمان فيها أمرا محتمّا، فعنوانها إذن شورى وحقيقتها تعيين، وهي بذاتها دليل على أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب كان يصرّ إصرارا لا يتزعزع على إبعاد الخلافة عن بني هاشم بآي صورة حتّى بعد موته، وهذا منتهى الصّد.

كما أنّ الخليفة الثاني بتعيينه لعثمان خليفة من بعده يكون قد أسس

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٥

الحكم الامويّ بالفعل فضلا عن تمهيده له من قبل.

قال الخليفة الثاني: (ادعوا لي أبا طلحة الانصاري، فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلا من الانصار، حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء نفر يا مضاء الامر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بآصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحدا منهم، فإن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه، وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن فارجع إلى ما قد اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الاخرى على خلافها فاضرب أعناقها...). «١» كان عمر ذا دراية تامّة بميول الرجال الستة الذين اختارهم لهذه الشورى، فهو يعلم يقينا أنّ عثمان وسعدا وعبدالرحمن ميل واحد في انحرافهم عن عليّ (ع)، ويعلم أنّ طلحة لا يميل إلى عليّ (ع)، والاحتمال الاقوى أنّه سيعطى رأيه إلى عثمان، وتحسّبا من المفاجأة في تحقّق الاحتمال الاضعف وهو ميل طلحة إلى عليّ (ع) والزبير، حيث تتساوى الكفّتان ثلاثة وثلاثة، تدخّل عمر ليحسم النزاع لصالح عثمان بترجيح الكفّة التي فيها عبدالرحمن بن عوف.

فأية شوري هذه؟!

هذا فضلا عن السيوف التي جرّدها أبوطلحة الانصارى ورجاله الخمسون بامر عمر لحماية الرأي الحرّ!!

ولقد أدرك أميرالمؤمنين عليّ (ع) هذه الخدعة المعلومة النتيجة ...

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٦

فقال لعمّه العباس: (عُدَلت عَنّا!

فقال: وما علمك؟!

قال: قرن بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر، فان رضى رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، فسعد

لايخالف ابن عمّه عبدالرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان لا يخلّفون، فيوليّها عبدالرحمن عثمان أو يوليّها عثمان عبدالرحمن، فلو كان

الاخران معي لم ينفعاني، بلّهُ إنّي لأأرجو إلّا أحدهما). «١»

ج (نتائج الشورى ص : ١٠٦

إشارة

: ومن نتائج الشورى نستطيع أن نذكر الموارد التالية.

١- مواصلة إقصاء (الوصي الشرعي) ص : ١٠٦

: مواصلة إقصاء (الوصي الشرعي) استمرارا في الصدّ عن رسول الله (ص) فيما بلغ عن الله تبارك وتعالى بشاءن عليّ (ع).

٢- استيلاء الحزب الاموي على الحكم ص : ١٠٦

: استيلاء الحزب الاموي ممثلا في شخص د عثمان على الحكم، الامر الذي كانت قد خطّطت له ونفّذته قيادة حزب السلطة التي كانت

ترى في الحزب الاموي امتدادا لها على خطّ مواجهة أهل البيت (ع).

٣- أثر الشورى نفسياً على الانصار ص : ١٠٦

: تركت الشورى أسوأ الاثر في نفسيات الانصار، فبعد أن كانوا قد وعدوا في السقيفة بآئتهم سيكونون وزراً وشركاء في الحكم،

وجدوا أنّ عمر في خطّة الشورى قد حرمهم حتّى من حقّ المشورة، ولم يمنحهم إلّا دور حراس الابواب المسلّحين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٧

٤ الطمع المفتوح في الخلافة ص : ١٠٧

: فتحت الشورى باب الطمع في الخلافة لمن لم يكن يطمع فيها يوماً ما، ذلك لأنَّ عمر أدخل في الشورى في مواجهته عليّ (ع) من لم يكن ياءمل أن يكون خليفه من قبل، فصار بعدها يرى نفسه أهلاً لذلك، الامر الذي دفع بهؤ لاء إلى ركوب الفتن بعدها. كما أنَّ الشورى فتقت الفتق الكبير في التنافس والاختلاف بين كلِّ القبائل طمعا في الخلافة، وذلك لأنَّ رجالا غير رجال الشورى من قريش رأوا أنَّ بعض من رشحهم عمر لا يفضلونهم في شيء، بل ربما امتازوا هم على أولئك في أشياء كثيرة! إذن فعمر في خطه الشورى كان قد أطلق للجميع نفسياً أن يرغبوا في الامارة والخلافة وأن يتحرَّكوا عملياً باتجاهها على طريق الاهواء المملغومة بكلِّ أنواع الاختلاف!

حتَّى أن معاوية بن أبي سفيان وهو من دهاة العرب كان يصرِّح بقاء الشورى هي أشدَّ منعطفات الانحراف أثرا في تشتيت أمر المسلمين، فقد نقل ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد:

إنَّ معاوية قال لابن حصين: (أخبرني، ما الذي شتت أمر المسلمين وفرق أهوهم وخالف بينهم؟ قال: نعم، قتل الناس عثمان.

قال: ما صنعت شيئا.

قال: فمسير عليّ إليك وقاتله إياك.

قال: ما صنعت شيئا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٨

قال: فمسير طلحة والزبير وعائشة وقاتل عليّ آياهم.

قال: ما صنعت شيئا.

قال: ما عندي غير هذا يا اميرالمؤمنين.

قال: فاءنا أخبرك، إنّه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهوهم ولا خالف بينهم إلّا الشورى التي جعلها عمر إلى ستته نفر ... فلم يكن رجل منهم إلّا رجاها لنفسه، ورجاها له قومه، وتطلّعت إلى ذلك نفسه، ولو أنّ عمر استخلف عليهم كما استخلف أبوبكر ما كان في ذلك إختلاف.) «١»

٥ تعاضم منطق السقيفة القبل ص : ١٠٨

: يلاحظ أن المفاضلة في السقيفة كانت بين الانصار وبين المهاجرين (من قريش)، غير أن المفاضلة التي دارت في أجواء الشورى أكّدت تعاضم منطق السقيفة القبلي وازدياد التباعد والانحراف عن منطق الاسلام، إذ صارت المفاضلة بين المسلمين ككل بدلا من الانصار، وبين قريش بما هي قريش بدلا من المهاجرين منها، ففي الجدل الذي دار في مسجد النبي (ص) في أجواء الشورى بدا واضحا أن قريشا اعتبرت الخلافة شاءنا من شؤونها الخاصية وامتيازها من امتيازاتها، وليس لاحد من المسلمين أن يتقدّم برأى في الخلافة يتنافى مع رغباتها.

ولا ينفى العجب من أن تندهور الحال إلى درجة أن يتجرأ عدوّ الله وعدوّ رسوله (ص)، عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي فيقول للمقداد (ر) الحواريّ الجليل الذي عزّ نظيره في الصحابة:

(يا بن الحليف العسيف، ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول في أمر قريش). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٩

أو يردّ لثيم آخر من بني مخزوم على عمّار بن ياسر (ر) قائلا:

(لقد عدوت طورك يا بن سميّة، وما أنت وتاءمير قريش لا نفسها). «١»

إنّ حلول كلمة (قريش) بدلا من (المهاجرين) في جدل المفاضلة التي جرت في أجواء الشورى يعنى رفع الحظر عن الطلقاء في أن يتسّموا منصب الخلافة، بعد أن رفعت عنهم الحظر من قبل قيادة حزب السلطة وعينتهم أمراً وولاءة، ومن هنا تكون قد انفتحت حتى شبيهة الطلقاء أمثال معاوية في تسّم منصب الخلافة، ومنذ ذلك الوقت كان معاوية قد سعى سعيه نحوها.

خلافة عثمان: ص : ١٠٩

إشارة

إبتدأ الحكم الامويّ عهده الأوّل منذ اليوم الأوّل لخلافة عثمان، فسرعان ما تبيّن للمسلمين أنّهم حين بايعوا عثمان قد سلّموا الحكم عملياً إلى آل أميّة، وأنّ عثمان ليس إلّا واجهة يكمن خلفها الحزب الامويّ، وسرعان ما أكّدت الايام هذه الحقيقة للامّة، ذلك لأنّ عثمان أسند الولايات الكبرى آنذاك وهي البصرة والكوفة ومصر والشام إلى ذويه، وهذه الولايات ذات المنزلة العظيمة في الحرب والاقتصاد والاجتماع كانت مركز الثروة الماليّة والزراعيّة لدولة الخلافة، فمنها تحمل الاموال والاقوات، وهي مركز تجمع الجيوش الاسلاميّة الوافدة من كلّ أنحاء البلاد، كما أنّها مراكز عمليات الفتح الكبرى آنذاك.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ١١٠

وقامت إنتفاضة الامّة على عثمان نتيجة تفسّخ حكمه عن فساد كبير في الادارة والمال، والاستخفاف علنا بآحكام الشريعة، وسكوته عن فضائح ولاته ودفاعه عنهم، ونفيه وتعذيبه لصلحاء الاميّة لا لشيء إلّا لأنهم أنكروا المنكر وأمروا بالمعروف، وانقياده لغلمان بني أميّة عاميّة ولمروان بن الحكم خاصيّة، وامتناعه عن الاستجابة لشكاوى الامّة وتظلمها من ولاته الذين يصلّون بالناس وهم سكارى، ويرون السواد بستانا لهم، وأنّ الفى لهم أوّلا ثم لمن شاؤوا!!

وركب موجة الانتفاضة على عثمان بعد اندلاعها النفعيون الساخطون عليه مثل عمرو بن العاص، ومترفون يحلمون بالخلافة من بعده مثل طلحة والزبير وكانوا يؤلّبون الجماهير ضده ويحرّضون في الخفاء على قتله، هذا فضلا عن الدور الكبير الذي لعبته عائشة في التآليب عليه والدعوة إلى قتله!! «١» وفي كلّ ذلك كان ابوالحسن (ع) يسفر ناصحا للاسلام والامّة بين عثمان والثوار، لكنّ عثمان كان ينكل ولايفى بما يعد به من الاستجابة لمطالب الثوار لاستحواذ مروان عليه.

وما برحت الفتنة تتأجج وتجد ما يزيدا اشتعالا، حتى انفلت زمام الامور، وبلغت الماء ساءة ذروتها بمقتل عثمان.

وتفاصيل قصّة هذه الفتنة معروفة في كتب التاريخ ...

نتائج عهد عثمان ص : ١١٠

إشارة

: أمّا نتائج عهد عثمان التي أثّرت في مسار حياة الامّة فيما بعد، فاهمّها:

١ اتساع الهوة في الفروق الطبقيّة ص : ١١٠

: اتّسعت الهوة في الفروق الطبقيّة التي كانت قد نشأت نتيجة مبدأ عمر في العطاء، ذلك لأنّ عثمان أغدق الهبات

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١١

الضخمة على أعيان قريش من بنى أمية وغيرهم، وعلى بعض أعضاء الشورى خاصة، وسار عمال عثمان في أنحاء البلاد على نهجه في المدينة فاءنفقوا بيوت المال المحليّة على ذويهم وأنصارهم والمقرّبين إليهم، وقام عثمان باجراً مالى فتح به للطبقة الثريّة أبواباً من النشاط المالى حين أباح للناس أن ينقلوا فيهم من الارض د إلى حيث أقاموا، فسارع الاثرياء إلى الاستفادة من هذا الاجراً فاشتروا بأموالهم المكدّسة أراضى في البلاد المفتوحة واستثمروها فتمت ثرواتهم نمواً عظيماً، وازدادت هذه الطبقة الطامحة إلى الحكم والتسلطّ قوّة إلى قوّتها حتّى صارت غلّة طلحة من العراق كلّ يوم ألف دينار أو أكثر، وبلغ ربع ثمن مال عبدالرحمن بن عوف أربعة وثمانين ألفاً أى أنّ ما يملكه مليونان وستمائة وثمانية وثمانون ألفاً، وكان الزبير قد خلف خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وأمة، وخلف زيد بن ثابت من الذهب ما كان يكسر بالفؤوس عدا ما خلف من الاموال والضياع بقيمة ألف دينار، «١» وسوى هؤلاء كثيرون ...

وقد وجدت إلى جانب هذه الطبقة المترفة المتسلطة طبقة أخرى كبيرة وفقيرة لا تملك أرضاً ولا مالا تلك هي طبقة الجنود المقاتلين وأهلهم، وقد تكوّنت هذه الطبقة نتيجة استئثار عثمان وعماله بالفى والغنائم لا أنفسهم والمقرّبين منهم وحرمان المقاتلين وبقيّة الامّة منها.

إنّ إنتشار أعلام قريش في البلاد الاسلاميّة بسمعتهم الدينيّة (صحابة رسول الله (ص) وازدياد ثرواتهم دفع كثيراً من أهل تلك البلدان إلى التجمّع حولهم والتحرّب لمطامعهم السياسيّة تهالكا على الدنيا، فانتشرت لذلك حالة (الانتهازيّة) في نفوس كثير من الناس، حيث صار ولاؤهم لمن عطاؤه أكثر والدنيا معه، وصاروا لا يعبأون بالمانع الشرعى الحائل دون وصولهم إلى غاياتهم الدنيويّة، فزاد هذا من حالة الاستخفاف بالشرعية وبحرمه أحكامها،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٢

وهي حالة شاهدها الامّة أوّلاً في تصرفات عثمان وولاته كالوليد بن عقبه وغيره.

ينقل الطبرى في هذه النقطة أنّه (كان عمر بن الخطّاب قد حجر على أعلام قريش د من المهاجرين الخروج في البلدان إلّا بآذن وأجل ... فلما ولى عثمان لم ياءخذهم بالذى كان ياءخذهم به عمر فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، انقطع من لم يكن له طول ولا- مزيّة في الاسلام فكان مغموراً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم، وأملوهم، وتقدّموا في ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أوّل وهن دخل على الاسلام، وأوّل فتنه كانت في العامّة ليس إلّا ذلك. «١»

٢ افتتاح باب القتل والقتال على هذه الامّة إلى يوم القيامة ص: ١١٢

: إنّ عمليّة اغتيال عمر بن الخطّاب التي أدّت إلى مقتله كانت محدودة الاثر إذ كان القاتل شخصاً معلوماً وإن كان عبيدالله بن عمر قد تجاوز قتل عدّة أربياء لمقتل أبيه، أمّا مقتل عثمان بالكيفيّة التي قتل فيها فقد كان ذا أثر وسيع ممتدّ في حياة الامّة الاسلاميّة بعده، إذ قد فتح عليها باب القتل والقتال فيما بينها، وقد حدّره أميرالمؤمنين عليّ (ع) في نصحه أيّاه من هذا المقتل قائلاً:

(وإنّي أنشدك الله ألما تكون إمام هذه الاميّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الاميّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٣

ولقد حصل هذا بالفعل، فكانت المطالبة بدم عثمان ذريعة أهل الجمل التي أضلّوا بها شطراً من الامّة في نكثهم البيعة وخروجهم على

الامام (ع)، وألبسوا على الناس د الامور، وبثوا الفتنة في الامة، حتى كانت وقعة الجمل، التي كانت أولى المعارك التي اقتتل فيها المسلمون فيما بينهم، وانتهت بهزيمة جيش عائشة وطلحة والزبير الذين كان لهم دور كبير في التحريض على قتل عثمان. وأما معاوية الذي تلاكأ عن نصره عثمان عمدا، «١» فقد صنع أضعاف ما صنع أهل الجمل فيما ادّعه بهذه الذريعة، حتى لقد أضلّ الشطر الكبير من هذه الامة وألبس عليهم الامور فاستبسوا في مواجهته عليّ (ع) استبسالا مريرا في صفين، الوقعة التي كاد الطرفان أن يهلكا فيها جميعا، والتي تركت أسوأ الاثار في حياة الامة إلى يومنا هذا.

٣ ارتفاع درجة الشلل النفسي في الامة: ص : ١١٣

ويلاحظ هنا أيضا استمرار ارتفاع مؤثر الشلل النفسي في الامة، إذ قد رأت من عثمان فضلا عن انحرافه حتى عن سيرة أبي بكر وعمر بطشه بجماعة من أعيان الصحابة لا لشي إلا لأنهم أمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر، كابي ذر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود، فلم تتحرك الامة أثناء ذلك حتى في المدينة على كثرة من فيها من الصحابة لمنعه من التعدي عليهم أو لا- نكار ذلك عليه على الاقل، ومع معرفة الصحابة بمنزلة أبي ذرّ (ره) فلم يخرج منهم لتوديعه إلى منفاه في الربذة إلا عليّ والحسنان (ع) وعقيل وعبدالله بن جعفر وعمار، بل لقد قاطعت الامة أباذرّ امتثالا لا وامر عثمان!!

وقد أشار عمار بن ياسر إلى هذا الوهن الذي أصاب الامة حينما خاطب

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٤

أباذرّ وهو يودّعه إذ قال:

(... وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت ...). (١)

ويلاحظ هنا أيضا أنه حتى الانتفاضة الجماهيرية التي قامت تنكر على عثمان مجموع انحرافات لم تقم إلا في سنة ٣٥ للهجرة أي بعد حوالي ثلاث سنين من وفاة أبي ذرّ (ره) في الربذة سنة ٣٢ للهجرة، كما أنّ هذه الانتفاضة لم تقع إلا بعد عامين من نفي عثمان أفاضل أخيار الكوفة والبصرة إلى الشام.

عهد معاوية: ص : ١١٤

إشارة

تسلم معاوية بن أبي سفيان ولاية الشام بعد موت أخيه يزيد الذي كان واليا عليها، فاصطنعها معاوية لنفسه لايحاسب في أمرها على شئ من أعماله، كلّ ذلك بتدبير من الخليفة الثاني الذي كان يردّ على التقارير المرفوعة إليه عن مخالقات معاوية بقوله الشهير: (دعوا فتى قريش وابن سيدها!!).

وازدادت سيطرة معاوية على الشام رسوخا في عهد عثمان، واستقرّ له أهلها نفسيا وسياسيا، ولم يجد ما ينغص عليه هناة حكمه إلا قيام اميرالمؤمنين عليّ (ع) بالا مر خليفة لرسول الله (ص)، الذي دانت له كلّ أقطار العالم الاسلامي بالطاعة إلا الشام، حيث امتنع معاوية عن الطاعة لعليّ (ع) متشبّثا بذريعة الطلب بقتله عثمان، الامر الذي جرّ في النهاية إلى معركة صفين التي كادت أن تنتهي بالنصر الحاسم لصالح اميرالمؤمنين (ع)، لكنّ حيلة رفع المصاحف التي ابتدعها عمرو بن العاص د وأنجحها غباء

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٥

الخوارج وتحجرهم العقلي أدت في النتيجة إلى مهزلة التحكيم، لتنتهي المواجهة بذلك نهاية غير حاسمة. ثم قتل اميرالمؤمنين علي (ع) وقام الامام الحسن (ع) بالا مر، لكنّ المواجهة بينه وبين معاوية لم تطل إلا أشهراً كشفت الامة فيها عن نفورها من مواصلة الحرب وميلها إلى دنيا معاوية وتنكرها لا هل الحق (ع)، فاضطرّ الامام (ع) إلى الصلح وتسليم الامر إلى معاوية ... فأتسقت لمعاوية الامور وسيطر على العالم الاسلامي كله، وبذلك استعادت حركة النفاق هيمنتها على كل بلاد الاسلام من جديد في شخص أكبر قادتها دهاءً وأشدّهم عداوةً للاسلام وهو معاوية بن أبي سفيان.

نتائج عهد معاوية ص : ١١٥

إشارة

: ولعهد معاوية الطويل نتائج كثيرة جدًا أثرت تاءثيرا بالغا على الاسلام والامة الاسلاميه، ومن أهم ه ذه النتائج:

١ تحوّل شكل الحكم من الخلافة إلى الملك ص : ١١٥

كان معاوية منذ تسلّمه ولاية الشام قد تصرّف فيها كملك مطلق اليد، يفعل ما يشاء وينفق كيف يشاء بلا رقيب أو حسيب، معتمدا في ذلك على غضّ الطرف من قبل الخليفة الثاني الذي استقبله معاوية في الشام في موكب عظيم، فعجب عمر من تلك الابهة وساءله عن ذلك، فاجابه معاوية:

(يا اميرالمؤمنين، إنا باعرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عزّ السلطان ما يكون فيه عزّ للاسلام وأهله ويرهبهم به! فإن أمرتني فعلت! وإن نهيتني انتهيت!!)، «١»

فقال له عمر في ختام رده عليه: (لا آمرك ولا أنهاك!)، «٢» وكان يشبهه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٦

معاوية بكسرى وقيصر قائلا: (تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية؟! «١» ولما بلغ معاوية إخبار النبي (ص) عن الملك العضوض د قال:

مستهزئا (رضينا بها ملكا). «٢»

وقال يخاطب أهل الكوفة شامتا بهم:

(يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت أنكم تصلون وتركون وتحجون، ولكنني قاتلتكم لا تاءمر عليكم وألّي رقابكم ...)، «٣»

وكان يقول: (أنا أول الملوكة!)، «٤»

وبذلك تحوّل الحكم إلى ملك عضوض يرثه فاجر عن فاجر ...

٢ التعميم الكامل على فضائل أهل البيت (ع) واختلاق مثالب لهم: ص : ١١٦

لم يكتف معاوية بمواصلة الحصار المضروب على البيئات النبوية منذ عهد أبي بكر وعمر وعثمان، بل كشف عن غاية هذا الحصار بعد الصلح حين خضعت له جميع البلاد، حيث أصدر بيانا عاما إلى جميع عمّاله جاء فيه:

(أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضائل أبي تراب وأهل بيته)، «٥» ص : ١١٦

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٧

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. (١)

وزاد على سنة سب الامام (ع)، إذ استخدم جماعة من نفعي حركة النفاق من صحابة وتابعين مثل عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وغيرهم، للكذب على رسول الله (ص) في اختلاق أحاديث تطعن بأهل البيت (ع)، كما سخر معاوية الوعاظ في جميع بلاد الاسلام ليحولوا القلوب عن أهل البيت (ع) ويذيعوا الاضاليل في انتقاصهم دعما للحكم الاموي، كما ألقى معاوية إلى معاهد التعليم ومعلمي الكتاتيب أن يغذوا الشباب والصبيان ببغض أهل البيت (ع) لخلق جيل جديد معاد لهم بافتراء أحاديث تنتقصهم، وقد تعلم الصبيان ذلك كما تعلموا القرآن وحفظوه!

وكان معاوية على سبيل المثال لا الحصر قد أعطى سمرة بن جندب أربعمئة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام ويروي لهم أن هذه الآية الشريفة: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد) نزلت في علي (ع)، ففعل سمرة ذلك. (٢)

وافترى عمرو بن العاص على النبي (ص) أنه قال: (إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين). (٣) و (لما قدم أبوهريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (!) جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مرارا، وقال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٨

يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: (إن لكل نبي حرما، وإن حرمي بالمدينة ما بين غيري إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وأشهد بأني عليا أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه أمانة المدينة. (١)

وفي محاوره جرت بين معاوية وابن عباس ...

(... قال: فإننا كتبنا في الافاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك يا ابن عباس واربع على نفسك.

قال: فتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا.

قال: فتنهانا عن تاءويله؟

قال: نعم!

قال: فنقرأه ولانساءل عما عنى الله به؟

قال: نعم!

قال: فاءيما أوجب علينا قرأته أو العمل به؟

قال: العمل به.

قال: فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٩

قال: سل عن ذلك ممن يتاءوله على غير ما تتاءوله أنت وأهل بيتك!

قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي، فاءساءل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس!!

قال: فقد عدلتنا بهم؟!!

قال: لعمري ما أعدلكم بهم إلا إذا نهيت الامة أن يعبدوا الله بالقرآن وبما فيه من أمر أو نهى أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو

عامّ أو خاصّ أو محكم أو متشابه، وإن لم تساءل الامة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا!

قال معاوية: فقرأوا القرآن ولا ترووا شيئا ممّا أنزل الله فيكم، وممّا قال رسول الله (ص)، وارووا ما سوى ذلك!

قال ابن عباس: قال الله تعالى في القرآن: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون).

قال معاوية: يا ابن عباس اكفنى نفسك، وكفّ عني لسانك، وإن كنت لابدّ فاعلا فليكن سرّاً، ولا تسمعه أحدا علانية ... «١»

وروى أن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية: يا اميرالمؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل. فقال:

(لا والله حتى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكتر فضلا). «٢»

وفي موازاة ذلك، عمد معاوية أيضا عن طريق مرتزقة الافتراء على رسول الله (ص) إلى نشر فضائل ومناقب مكذوبة لعثمان والخليفين

الأولين

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٠

وصحابة آخرين في جميع البلاد الاسلامية، كلّ ذلك ليدحض حجّة أهل البيت (ع) في أنّه ليس لاحد سهم كسهمهم في الفضائل

والمناقب!

لنقرأ هذا النصّ التاءريخي:

(وكتب معاوية إلى عماله في جميع الافاق ألا يجيزوا لاحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة

عثمان ومحببيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فاءدوننا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم واكتبوا لي بكلّ ما يروى كلّ رجل

منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء

والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كلّ مصر وتنافسوا في المنازل والدينا، فليس يجي أحد مردود من

الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أن

الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل

الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خيرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتونى بمناقص له في الصحابة مفتعلة، فإنّ هذا

أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار

كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر،

وألقى إلى معلّمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع وحتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه

بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ماشاء الله ...). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢١

حتى لقد قال ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم:

(إنّ أكثر الاحاديث الموضوععة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنى أمية تقرّبا إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أنوف بنى هاشم).

«١»

إنّ هذا التعظيم المطبق على فضائل أهل البيت (ع) إضافة إلى اختلاق روايات الطعن بهم، وتسخير جميع أجهزة الحكم لهذا الغرض،

كان قد أثر مع مرور حوالى عشرين عاما تاءثيرا بالغا في أن يجهل معظم هذه الامة موقع أهل البيت (ع) وأن يتنكروا لهم ... حتى

اضطرّ الامام الحسين (ع) قبل موت معاوية بسنة أن يعقد مؤتمرا في منى جمع فيه بنى هاشم رجالا ونساء ومواليهم وجمعا غفيرا بلغ

سبعمائة رجل، فيهم مائتان من الصحابة وعامتهم من التابعين، فما ترك شيئا ممّا أنزل الله في أهل البيت من القرآن إلا تلاه وفسره، ولا

شيئا ممّا قاله رسول الله (ص) في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه، وأشهد الحاضرين عليه، وطلب منهم أن يحدّثوا من

يتفقون بهم من الناس بذلك، «٢» في محاولة منه (ع) لكسر ذلك الحصار ولاختراق ذلك التعظيم الذي مارسه معاوية لطمس د

فضائلهم (ع).

٣ انخداع جلّ الامّة بالتضليل الديني الاموي ص : ١٢١

: كان الهَمّ الاكبر لمعاوية بعد أن استتبّ الامر له هو اكتساب الاطار الديني والشرعية لحكمه، ومزج الاموية

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٢

بالا سلام في عقل الامّة مزجا لا يمكن بعده الفصل بينهما.

ومعاوية يعلم أنه لا يكفي من أجل ذلك التعيم على فضائل أهل البيت (ع) وحجب الامية عنهم، في وقت لا يملك هو أية قدسية في

ضمير الامية، وله من تصرفات الملوك الطغاة وسلوكهم ما يجعله هدفا لكثير من الاحاديث النبوية الداعية إلى القيام بوجه الظلم

والحاكم الظالم، لذا فقد عمد من خلال عمل إعلامي واسع ومركز إلى تضليل الامّة في هذه النقطة على ثلاثة أصعدة:

أ) إختلاق قداسة دينية لشخصه من خلال افتعال أحاديث نبوية في فضله، واخفاء ما اُثر عن النبي (ص) في ذمّه، ولم يجد معاوية

صعوبة في ذلك مادام يبذل الكثير، ومادام مرتزقة الافتراء على النبي (ص) يحوطونه وينتظرون أمره فيما يشتهي من الرواية المفتراة

على رسول الله (ص)!

فشاع في كل بلاد الاسلام الكثير من الاحاديث المكذوبة في فضل معاوية، منها: أنه (ص) قال:

(ومعاوية بن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها). «١»

وقال:

(وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان). «٢»

وقال عن لسان جبرئيل (ع):

(يا محمد أقرىء معاوية السلام واستوص به خيرا، فإنه أمين الله على

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٣

كتابه ووحيه ونعم الامين). «١»

أو:

(الامناء ثلاثة: جبرئيل وأنا ومعاوية). «٢»

أو:

(أللهم اجعله هاديا مهديا واهد به). «٣»

وغير هذا كثير من الاحاديث الموضوعه التي لم تزل حتى اليوم تضلّ كثيرا من أبناء هذه الامّة.

ب) منع الامّة باسم الدين عن التدمر من الحاكم الظالم والثورة عليه:

سعى معاوية إلى تخويف الامّة من الثورة على الظلم والجور، وزين لها الرضوخ للحاكم وإن كان جائرا، وشهر في وجه كل من يفكر

بالقيام والثورة تهمه جرم تفريق أمر هذه الامية، التي جزاؤها القتل، كل ذلك باسم الدين من خلال أحاديث كثيرة افتعلتها أجهزته

الاعلامية لتخدير الامّة وإذلالها، ومنها على سبيل المثال:

أنّه (ص) قال:

(من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية...). «٤»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٤

ويساءل أبوهريرة العجاج قائلا: ممن أنت؟

قال: قلت من أهل العراق.

قال: يوشك أن ياء تيك بُقعان أهل الشام فياء خذوا صدقتك، فإذا أتوك فتلقهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلّ عنهم وعنهما، وإياك أن تسبهم، فإني نك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة». «١»
وغير هذه أحاديث كثيرة موجودة في الكتب الحديثية لابناء العامة لازال بعض د هذه الامة يتأثر بها مصدقا بها إلى اليوم.

(ج) واللون الاخر من ألوان التضليل الديني الذي استخدمه معاوية وبرع في استخدامه هو تاء سيس فرق ديتية سياسيه تقدم للناس تفسيرات ديتية تخدم سلطة الامويين وتبزر أعمالهم، كما هو الحال في مذهب الجبر ومذهب الارحاء ...

يقول أبو هلال العسكري في الاوائل: إن معاوية أول من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلها. «٢»

ولما اعترض عليه عبدالله بن عمر في نصب ولده يزيد خليفه من بعده قال معاوية:

(... وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملاهم وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٥

أمرهم). «١»

وأجاب عائشة أيضا بمثل هذا الجواب عندما نازعته في هذا الاستخلاف. «٢»

فطغى مذهب المجبرة واتسع انتشاره على يد معاوية وبنى أمية واضطهد القول باختيار الانسان في أفعاله حتى كان يقتل من يقول به!
كما انتشرت في العهد الاموي فرقة المرجئة التي ترى الاكتفاء في الايمان بمجرد الاعتقاد والاقرار باللسان بلا جانب العمل، وسموا المرجئة لأنهم أرجأوا العمل أي أخروه، وعند هذه الفرقة أنه:

(لا تنصر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة)

وقالوا:

(إن الايمان، الاعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الاوثان، ولزم اليهودية أو النصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث، ومات على ذلك فهو مؤ من كامل الايمان عند الله عز وجل، ولي لله عز وجل، من أهل الجنة). «٣»

إن النتيجة المنطقية لمذهب المجبرة هنا هي أن الامويين لا يعترض على حكمهم ولا على أعمالهم لأن الله أرادهم لذلك وأراد أعمالهم، وتسلطهم من قضاء الله الذي لا يرد، وهم على مذهب المرجئة مؤ منون مهما ارتكبوا من كبائر المعاصي!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٦

وينطلق وعياظ السلاطين ومحدثوهم في كل البلاد الاسلامية ينفثون هذه السموم في قلوب الناس وعقولهم ليلجموهم عن التذمر والثورة بلجام ينسبونه إلى الدين والدين منه برأ، وليقعدوهم بها عن الاحتجاج على سياسة العسف والظلم، ويحجزوهم عن أية محاولة للقيام من أجل تحسين أحوالهم!

وبمرور حوالي عشرين عاما من حكم معاوية على كل بلاد الاسلام، وبتأثير هذا التضليل الديني الذي نجح مع الاغرا والارهاب أيما نجاح، صدق جل هذه الامة بشرعية الحكم الاموي وانحدعوا به، وامتزجت في عقولهم الاموية بالا سلام، وصار في تصورهم أن القيام

ضد الحكم الاموي قيام ضد الاسلام!

لذا كان لابد لفصل الاموية عن الاسلام في عقول الناس وقلوبهم، من أن يراق دم مقدس عند جميع المسلمين غاية القداسة، على مذبح المواجهة مع الحكم الاموي، وهذا الدم ليس إلا دم ابن رسول الله (ص) سيد شباب أهل الجنة أبي عبدالله الحسين (ع). الامر الذي كان يدرك أثره معاوية تمام الادراك، فكان يتحاشاه قدر استطاعته.

عمد معاوية بعد التحكيم إلى الاغارة على البلاد التي تمثل أطراف الارض التي تقع تحت سيطرة اميرالمؤمنين عليّ (ع)، فنكّل بها، وقد صرّح باهدافه لقاته العسكريين الذين بعثهم في تلك المهمّات، فقد قال لسير بن أرتاة:
(لاتنزل على بلدٍ أهله على طاعة عليّ إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنّهم لا نجاء لهم وأنك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٧
فسار بسر وأغار على المدينة ومكّة، فقتل ثلاثين ألفاً عدا من أحرق بالنار!
ودعا معاوية بالضحّاك بن قيس الفهري وأمره بالتوجه ناحية الكوفة، وقال له:
(فمن وجدته من الاعراب في طاعة عليّ فاءغر عليه)، فاءقبل الضحّاك فهب الاموال وقتل من لقي من الاعراب، وأغار بالثعلبية على الحاج، وقتل فيمن قتل عمرو بن عيسى بن مسعود الذهلي ابن أخي عبدالله بن مسعود وناسا من أصحابه. «١»
ووجه سفيان بن عوف الغامدي إلى جانب الفرات باتجاه هيت ثم الانبار ثم المدائن، ومما قاله له:
(إنّ هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كلّ من له هوى فينا منهم، وتدعو إلينا كلّ من خاف الدوائر، فاقتل كلّ من لقيته ممّن هو ليس د عليّ مثل رأيك، وأخرب كلّ ما مررت به من القرى، وأحرب الاموال فإنّ حرب الاموال شبيهة بالقتل وهو أوجع للقلب). «٢»

واستمرّ معاوية على هذه السياسة بعد استشهاد الامام عليّ (ع)، بصورة أكثر عنفا وشمولا وتنظيما، ثم اشتدّ البلاء على الشيعة في الامصار كلّها بعد معاهدة الصلح، وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل عليها زيادا، ضمّها إليه مع البصرة، وجمع له العراقيين، وكان يتبع الشيعة وهو بهم عالم، لا أنّه كان منهم وقد عرفهم وسمع كلامهم أوّل شئ، فقتلهم تحت كلّ كوكب وتحت كلّ حجر ومدبر، وأجلاهم وأخافهم، وقطّع الايدي والارجل منهم، وصلبهم على جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشردّهم حتى انتزعوا عن العراق فلم يبق بها أحد منهم إلا مقتول
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٨

أو مصلوب أو طريد أو هارب، وكتب معاوية إلى قضاة وولاته في جميع الارضين والامصار أن لا تجيزوا لا حد من شيعة عليّ ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يرون فضله ويتحدّثون بمناقبه شهادة. «١»
وكان قد كتب بيانا واحدا إلى عمّاله في جميع البلاد:

(انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحبّ علينا وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه). «٢»
ثم شفع ذلك ببيان آخر:

(من اتهمته بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره). «٣»
فضاقت الاحوال بالشيعة إلى حدّ الاختناق حتى أنّ الرجل من شيعة عليّ (ع) ليايته من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتى ياءخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمنّ عليه. «٤»
ولقد بلغ الارهاب حدّا لا يطاق حتى صار الرجل يفصل أن يقال عنه أنّه زنديق أو كافر ولا يقال عنه أنّه من شيعة عليّ (ع). «٥»
ومن أعيان الشيعة الذين قتلهم معاوية: حجر بن عدى وجماعته، ورشيد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٩
الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأوفى بن حصن، وعبدالله الحضرمي وجماعته، وجويرية بن مسهر العبدى، وصيفى بن فسيل، وعبدالرحمن العنزى.

ومن أعيان الشيعة الذين اضطهدهم معاوية وضيق عليهم تضيقا شديدا:

عبدالله بن هاشم المرقال، وعدى بن حاتم الطائي، وصعصعة بن صوحان، وعبدالله بن خليفة الطائي.

كما روع كوكبة من النساء المؤمنات ولم يرع لهن حرمة المرأة.

هذا فضلا عن سياسة الابعاد، حيث أبعده زياد خمسين ألفا من الشيعة في الكوفة إلى خراسان، من أجل إضعاف المعارضة الشيعية فيها.

«١»

والظاهر أن معاوية كان يسعى من وراء ذلك فضلا عن أهداف أخرى كثيرة إلى إضعاف الوجود الشيعي إلى درجة أن أي قائد من

قادتهم إذا أراد القيام بوجه الحكم الاموي فسوف لن يجد في أحسن الحالات إلا عصابة قليلة يمكن القضاء عليها بسرعة وسهولة.

٥ تمزق الامة الاسلامية قليا وطبقيا ص : ١٢٩

من الاسس الكبيرة التي أشاد معاوية عليها استقرار حكمه سياسة الاستكبار المعروفة في الامم المستضعفة وهي (فَرَّقْ تَسُدْ). فالعصية

التي أماتها الاسلام كان معاوية قد أطلق لها العنان لتمزق شمل الامة، وفجر التناحر القبلي تفجيرا شديدا، واحتقر الموالى واضطهدهم،

وأذل الفقراء، وفرق بين البلدان الاسلامية في العطاء والمنزلة، كما فرق بين أشرف القبيلة الواحدة وبين عامتها، كل ذلك من أجل أن

تجد الامة نفسها في حال تمزقها وتناحرها مضطرة إلى التقرب إليه بالطاعة والانقياد لا وامره، وكان أبرع ولاته في تنفيذ خطته

التمزيقية هذه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٠

زياد ابن أبيه الذي ادعاه معاوية لابييه.

وشاهد هذه الحقيقة المرة كثيرة في المتون التاريخية، لكننا هنا نكتفي في الدلالة عليها من خلال فقرات منتخبة من كتاب سري بعثه

معاوية إلى زياد جاء فيه:

(أما بعد، فإنك كتبت إليّ تساءلني عن العرب، من أكرم منهم ومن أهين، ومن اقرب ومن ابعده، ومن آمن منهم ومن اءحذر؟ ...

وإنا يا اخي اعلم الناس بالعرب، انظر هذا الحي من اليمن فاء كرمهم في العلانية وأهنهم في السر، فإنني كذلك أصنع بهم ... وانظر

ربيعه بن نزار فاء كرم أمراءهم وأهن عامتهم فإن عامتهم تبع لا شرافتهم وساداتهم، وانظر إلى مضر فاضرب بعضها ببعض، فإن فيهم

غلظة وكبرا ونخوة شديدة، فإنك إذا فعلت ذلك وضربت بعضهم ببعض كفاك بعضهم بعضا ... وانظر إلى الموالى ومن أسلم من

الاعاجم فخذهم بسنة عمر بن الخطاب، فإن في ذلك خزيهم وذلة لهم: أن تنكح العرب فيهم ولا تنيكحهم، وأن تقصر بهم في عطائهم

وأرزاقهم، وأن يقدموا في المغازي، يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة، ولا يتقدم أحد منهم في

الصف الاول إذا حضرت العرب إلا أن يتموا الصف، ولا تول أحدًا منهم ثغرا من ثغور المسلمين ولا مصرا من أمصارهم، ولا يلي أحد

منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته، وجزاه عن أمة محمد وعن بني أمية خاصة أفضل الجزأ! فلعمري

لولا ما صنع هو وصاحبه وقوتهما وصلابتهما في دين الله!! لكننا وجميع هذه الامة لبني هاشم الموالى، ولتوارثوا الخلافة واحدا بعد

واحد ...

فإن جاءك كتابي هذا فاذل العجم وأهنهم وأقصهم ولا تستعن باءحد منهم ولا تقض لهم حاجة ... وحدثنى ابن أبي معيط أنك

أخبرته أنك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار وقال له:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣١

أعرض من قبلك من أهل البصرة فمن وجدت من الموالى ومن أسلم من الاعاجم قد بلغ خمسة أشبار فقدمه فاضرب عنقه، فشاورك

ابوموسى في ذلك فنهيته وأمرته أن يراجع فراجع، وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر، وإنما صنعت ما صنعت تعصبا للموالى وأنت

يومئذٍ تحسب أنك عبد ثقيف، فلم تزل بعمر حتى رددته عن رأيه، خوِّفته فرقة الناس فرجع، وقلت له: ما يؤمنك وقد عادت أهل هذا البيت أن يثوروا إلى عليٍّ فينهض بهم فيزيل ملكك، فكفَّ عن ذلك، وما أعلم يا أخي وولَدَ مولود من أبي سفيان أعظم شؤ ما عليهم مثلك حين رددت عمر عن رأيه ونهيته عنه ... فلو كنت يا أخي لم تردَّ عمر عن ذلك لجرت سنَّة، ولا ستاء صلهم الله وقطع أصلهم، وإذن لاستنَّت به الخلفاء بعده ... فما أكثر ما قد سنَّ عمر في هذه الامَّة بخلاف سنَّة رسول الله (ص) فتابعه الناس عليها وأخذوا بها، فتكون هذه مثل واحدة منهنَّ «١»

وكان من نتائج إثارة التناحر القبلي أن شغل زعماء القبائل بالسعى عند الامراء الامويين للوقوعه بخصومهم من زعماء القبائل الاخرى، وتوددوا إلى هؤلاء الامراء وتملقوهم، الامر الذي وحدهم في طاعة حكم معاوية الذي أشعل الفتنة بينهم وهم لا يشعرون، وقد دفعهم هذا الوضع أيضا إلى أن يقفوا دائما مع الحاكمين ضدَّ الثائرين حفاظا على الامتيازات والعطايا الممنوحة لهم، وكانوا يقفون في وجه كلِّ محاولة للتورث ويخذلون الناس عنها، ويتسابقون في استخدام أقصى ما يملكونه من نفوذ ودهاء في هذا السبيل للتاء كيد على ولانهم التام للسلطة، وفي قصَّة اقتسام القبائل رؤوس شهداء

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٢

كربلاء دليل واضح على هذه الحالة المزريَّة التي وصلت إليها قبائل العرب نتيجة المنافسة بينها والتناحر والمفاخرة الجاهليَّة التي ما برحت تتعاضم فيهم منذ يوم السقيفة بعد ما أماتها الاسلام.

٦ الانتكاس الروحي والنفسي في الامَّة: ص: ١٣٢

نتيجة لمجموع سياسات معاوية التضليليَّة على كلِّ المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية كانت الامَّة قد هوت إلى الحضيض في الجانب النفسي والروحي، وتفشى في كيانها الوهن المتمثل بحبِّ الدنيا وكرهية الموت، وطغى هذا الشلل الذي كان قد بدأ التسرَّب إلى حياتها منذ يوم السقيفة حتى أقعدها عن نصره كلِّ قضية من قضايا الحق، وساءت أخلاقيتها إلى درجة أن الرجل الوجيه في قومه لا يتورَّع في انقياده إلى الدنيا من أن يبيع دينه لمعاوية صراحة، فقد روى أنَّه:

(وفد على معاوية جماعة من أشرف العرب، فاءعطى كلَّ واحد منهم مائة ألف، وأعطى الحتات عمَّ الفرزدق سبعين ألفا، فلما علم الحتات بذلك رجع مغضبا إلى معاوية.

فقال له: فضحتني في بني تميم، أما حسبي فصحيح، اءولستُ ذا سن؟

ألستُ مطاعا في عشيرتي؟

قال: بلى.

قال: فما بالك خسست بي دون القوم، وأعطيت من كان عليك أكثر ممَّن كان لك؟

قال: إنني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك! ورأيتك في عثمان (وكان عثمانيا).

قال: وأنا فاشتر مني ديني.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٣

فامر له يا تمام جائزته. «١»

وشاعت الانتهازية والوصولية بين الناس، فصار جلَّ سعيهم في التزلف إلى السلطان والتقرب منه والتملق إليه طمعا في دنياه، حتى صاروا أطوع له من يده، وبذلك ضمن معاوية انقياد جلَّ هذه الامَّة له، ممَّن لا بصيرة لهم في أحنائهم ولا هم لهم إلَّا دنياهم! واما أولئك الذين لم تنطل عليهم أذليل الامويين وأكاذيبهم، فقد آل الامر بآءكثرهم أيضا إلى أخطر ظاهرة في حياة الانسان المسلم وهي الازدواجية في الشخصية حيث يتعارض ظاهر الانسان مع باطنه، ذلك لان سياسة معاوية في الترغيب بالمال والجاه والدنيا،

وأسلوبه الوحشي في التنكيل بآء عذائه علما الناس د على الدجل والنفاق والسكوت عن الحق، والتظاهر بخلاف ما يعتقدون، وهذا الوضع الشاذ الذي فرض عليهم أن يخفوا دوما ما يعتقدونه حقا، وأن يتظاهروا بما تريده السلطة منهم مع علمهم بآء الباطل، ولد عندهم حالة ازدواج الشخصية، هذا الازدواج الذي كان يعمل عمله في فض أعوان الثورة عنها، أو إفشاء أسرارها، أو القضاء عليها، بتاء ثير ظاهر الشخصية الخاضع لا وامر السلطة الحاكمة والمنسجم معها، خلافا لباطن هذه الشخصية المؤ يد للثورة والمقدس لقيادتها والراغب في نصرتها والانتماء إليها.

هذا الازدواج الذي صوره الفرزدق للا مام الحسين (ع) حيث عبّر عن حال أهل الكوفة قائلا: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك). ولم تختلف عمليا حال المزدوجين عن حال المضللين بالباطل الاموي، ذلك لان الحكم الاموي استطاع أن يجند الصنفين معا تحت رايته فاء سرجوا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٤

والجموا وتقبوا للقضاء على كل الثورات التي قامت تدعو إلى الحق!

وظل كثيرا ممن عرفوا الحق وأهله أسارى الشلل النفسي المتعاضم منذ يوم السقيفة، فخذلوا الحق عمليا ولم ينصروه مع علمهم بعاقبة من يخذله ولم ينصره عند الله!

هذا عبدالله بن عمر يقول إنه سمع رسول الله (ص) يقول:

(حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة). «١»

ومع هذا فلم ينصره بل قعد عن ذلك، بل أمره بمبايعة يزيد!!

وأولئك الذين أشاروا على أبي عبدالله (ع) بعدم الخروج ونصحوه بآء ليعرض د نفسه للقتل، وقعدوا عن نصرته، وهم يعلمون عن لسان رسول الله (ص) أنه مقتول، وأنه:

(لا يقتل بين ظهرائي قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وأستهم). «٢»

وهذا شريك بن الاعور وجماعة معه ممن كانوا شيعة لعلي، يصحبون عبيدالله بن زياد من البصرة إلى الكوفة، فيتساقطون في الطريق متظاهرين بالعباء لعل ابن زياد يتأخر من أجلهم فيسبقه الحسين (ع) إلى الكوفة ويستقر له أمرها. «٣»

أنظر إلى الشلل النفسي كيف يقيد حركة المصاب به! فشريك وجماعته يتمنون لو أن الامور تستتب للا مام (ع)، لكنهم بدلا من تعويق ابن زياد أو قتله في البصرة أو الطريق بآء ل ف حيلة وحيلة، يكتفون فقط بالتساقط في الطريق

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٥

رجاء أن يتأخر ابن زياد عن الوصول إلى الكوفة في الوقت المناسب!!؟

وهذا عبيدالله بن الحر الجعفي يدعوه الامام (ع) إلى نصرته، فيجيب معترفا بشلله النفسي قائلا:

(والله إنني لا علم أن من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم اء خلف لك بالكوفة ناصرا؟، فاء نشدك الله اءن تحملني على هذه الخطئة، فإن نفسي لم تسمح بعد بالموت! ولكن فرسى هذه (الملحقة) والله ما طلبت عليها شيئا قط إلا

لحقته، ولا طلبني وأنا عليها أحد إلا سبقته، فخذها فهي لك!) «١»

فيفزع الامام (ع) مبينا أنه لا حاجة له بمشلول في نفسه، قائلا:

(أما إذا رغبت بنفسك عئا فلا حاجة لنا إلى فرسك). «٢»

وروى الطبري عن سعد بن عبيدة أنه رأى في وقعة كربلاء أشياخا من أهل الكوفة واقفين على التل يكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك (أي على الحسين (ع)) فقال لهم سعد: يا أعداء الله! ألا تنزلون فتصرونه!! «٣»

إن الشلل النفسي يسوغ للا نسان أن يخادع حتى نفسه، وكل ما قدمناه من الامثلة يحكي في الواقع عن مخادعة الانسان نفسه في

التعامل مع الحقيقة، ولنختم هذه الامثلة بهذه القصة المؤسفة حقاً: قال هرثمة بن سليم:

(غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفين، فلما نزلنا بكر بلا صلى بنا صلاة فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال: واها لك أيتها التربة، ليحشرن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٦

منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته وهي جرداً بنت سمير، وكانت شيعه لعلي فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن؟ لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمها فقال: واها لك يا تربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟! فقالت: دعنا منك أيها الرجل، فإن أميرالمؤمنين لم يقل إلا حقاً.

فلما بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي وأصحابه، قال: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى القوم وحسين وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل بنا علي فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فاءقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين، فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: معنا أنت أو علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله! لا- معك ولا- عليك! تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين: قول هربا حتى لاترى لنا مقتلا، فوالذي نفس د محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيبنا إلا أدخله الله النار. قال: فاءقبلت في الارض هاربا حتى خفي علي مقتله. «١»

تأمل! كيف يخادع الانسان نفسه بسبب الشلل النفسى في أعماقه!!

وبعد: فلم يبق في أواخر عهد معاوية من هذه الامة من لم ينخدع بالضلال الاموى أولم تزوج شخصيته أو لم يقعد به الشلل النفسى عن نصره الحق إلا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٧

أقل القليل، بين طريد وشريد وسجين ومتخف مترقب، ومن هذا القليل كانت الصفوة التي نصرت سيد الشهداء (ع).

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٩

المقالة الثانية: بين يدى الشهيد الفاتح ص : ١٣٩

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤١

المقالة الثانية: بين يدى الشهيد الفاتح!

--- حدث ماءلوف في تاريخ دين الله على الارض منذ عهد آدم (ع)، ويبقى ماءلوفاً إلى عصر الوصى الخاتم (ص)، أن يقتل المؤمن من فى سبيل الله فيكون شهيدا.

ومشهد كان ولا يزال ماءلوفاً على مسرح الصراع أن تحس هذه الارض وطاعة الانسان الفاتح وتسمع ركزه، منذ خرجت حياة الجماعة البشرية عن موازين فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكان الاختلاف والصراع، وكان النصر والهزيمة.

والمؤمن المجاهد فى سبيل الله لا يحق له الانهزام فى المواجهة، مادام شاريا الحياة الدنيا بالاخرة، فهو فى المواجهة إما أن يقتل أو يغلب).

يقتل ويكون شهيدا، فيؤتاه الله (أجرا عظيما).

أو يغلب، فيؤتبه الله ذلك الاجر العظيم أيضا!

إذ قد وعد الله تعالى المؤمن المجاهد في سبيله شهيدا أو غالبا أجرا عظيما، وما لم (يقتل) أو (يغلب) فهو دون حظوة ذلك الاجر العظيم وإن كان ماء جورا.

وقدم الله تعالى الشهيد على الغالب في الحديث عن ذلك الاجر العظيم الذي وعدهما إياه، لأن الشهيد لا يخشى عليه بعد قتله من فقدان الاجر بسبب اجتراح سيئه أو انحراف عن الصراط يحبط الاجر، إنه قد ضمن أجره ولا خوف عليه ولا هو يحزن!

لكن الغالب وإن كان له أيضا ذلك الاجر العظيم كما للشهيد، غير أن نوال هذا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٢

الاجر مشروط بدوام الاستقامة على الصراط وعدم اجتراح ما يحبط الاجر.

الغالب إذن على خطر! حتى ينهي شوط الدنيا مستقيما على الصراط السوي إلى الآخرة!

هذا من بعض عطاءات الآيه الكريمة:

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما). «١»

عادة الامر إذن أن يكون الشهيد غير الغالب، وإن مهّد الشهدا للنصر بمائهم الزاكية.

غير أن الفتح أخص من الغلبة، إذ كم من غلبة لم تثمر فتحا! هذا إذا عيننا بالفتح نوعا من الغلبة يثمر تغييرا وتحولا حاسما ومنعظا رئيسا لصالح أهداف الفتح.

ومن هنا كان صلح الحديبية فتحا مبينا كما قرّر القرآن الحكيم، لأنه أنتج تغييرا وتحولا حاسما لصالح الاسلام والمسلمين لم تنتجها معركة بدر، على عظمة النصر فيها! ذلك لأن قريشا في هذا الصلح قد اعترفت بالمسلمين رسميا كقوة عدوة تكافئها، فوعدت معها معاهدة تحترمها وترعاها.

وقد أنزل الله تعالى: (إنّا فتحنا لك فتحا مبينا...) في واقعة صلح الحديبية التي كانت قبل فتح مكة بعامين! «٢»

إذن فكل فاتح غالب، وليس كل غالب فاتح!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٣

وعادة الامر إذن أن يكون الشهيد غير الفاتح، وإن مهّد الشهدا للفتح بمائهم الزاكية.

لكن، هل خرج هذا الامر عن مجرى عادته مرّة؟!؟

وهل كان إنسانا شهيدا فاتحا معا...؟!؟

وإذا كانت صفة (الشهيد الفاتح) من الخصائص... فمن هو هذا الانسان الوتر في الخالدين، والواحد في الربانيين...؟

من أجل قراءة إنسان فذ فريد كهذا... لا بد لنا أن ندع مطالعة الماء لوف والقاعدة... ونقرأ في سفر الخصائص والاستثناءات!

«الشهيد الفاتح» من الخصائص الحسينية: ص : ١٤٣

شهادة هي عين الفتح... ومصرع هو عين الانتصار والغلبة!!

شهادته فاتح معا... إنها خصوصية من خصائص الامام أبي عبدالله الحسين (ع)، لم تكن لا حد قبله من أنبياء الله (ع) ولا لا حد من أوليائه... ذلك لأن التاريخ العام لم يحدثنا أن أحدا من رجال دين الله تعالى قُتل فكانت شهادته عين الفتح لا هدافه والغايات التي يجاهد في سبيلها.

والتاريخ القرآني لم يقص علينا أن أحدا من أنبياء الله تعالى ممن قُتل في سبيل الله وما أكثر الانبياء الشهدا كانت شهادته عين الفتح لبقاء دين الله وانتشاره!

نعم، كان هناك أنبياء فاتحون، وأولياء فاتحون ... وكان هناك أنبياء شهداء، وأولياء شهداء ...، ولكننا نتأمل في صفة (الشهيد الفاتح)! مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٤

ولو أن هذه الصفة كانت لا-حد من أنبياء الله تعالى وأوليائه (ع) فيمن كانوا قبل نبينا الاكرم (ص)، لكان لقصته موضوع متميز في التاريخ القرآني، ولحظي ذكره بعناية فائقة في هذا التاريخ الالهي، كما حظي بذلك إبراهيم وموسى ويوسف (ع) مثلا، ذلك لأن التاريخ القرآني الذي اهتم بالمقاطع والمنعطفات واللقطات التاريخية ذات العبرة والعظة التربوية، والذي سجل لنا حتى اللقطة التاريخية لحديث نملة لما في حديثها من درس وعبرة، لم يكن ليعرض صفحا عن ذكر صفة (شهيد فاتح) على ما في هذه الصفة من عبرة تربوية وتاريخية عظيمة!

وفي مقطع حياة رسول الله (ص)، كان هناك أكثر من انتصار وأكثر من فتح ... ولم يكن حتى شهيدا بدر فاتحين ... ذلك لا-ن بدرا كانت غلبة ونصرا ولم تكن فتحا والقرآن الحكيم لم يسمها فتحا كما أن التحولات الحاسمة لصالح الاسلام بعد بدر لم تكن لشهادة شهداء بدر الابرار بل لوجود النبي الاكرم (ص) ولسيف علي (ع) والسيوف الصادقة الاخرى التي كانت مع هذا السيف الفريد في أهم مواقع الاسلام المصيرية!

نعم، كان لدماء شهداء بدر الزاكية وللشهداء الاخرين أثر وتمهيد للفتح فيما بعد ... ولكن كلامنا هنا في شهادة هي عين الفتح!

وفي تاريخ الخمسين سنة من بعد رسول الله (ص)، أي إلى نهاية سنة ستين للهجرة لم يحدثنا التاريخ عن شهادة هي عين الفتح! حتى دخلت سنة إحدى وستين ... فتحققت تلك الخصوصية التي كانت مكونة في مطاوي الزمان لصاحبها الامام أبي عبد الله الحسين (ع) ذلك الوتر في الخالدين ... ثم امتعت عن سواه إلى قيام الساعة!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٥

وأما أنها لا تكون لا حد بعد الحسين (ع)، فذلك لأن عاشورا قد كشفت عن وحدة وجودية لا انفكاك لها بين الاسلام المحمدي الخالص وبين الحسين (ع)، فصارت الدعوة إلى هذا الاسلام هي عين الدعوة إلى الحسين (ع)، وبالعكس، وصارت مواجهة هذا الاسلام ومعاداته هي عين مواجهة الحسين (ع) ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء هذا الاسلام بعد كربلاء بقاء عاشورا الحسين (ع)، حتى لقد قيل وما أصدق من قول: (الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء). «١»

لقد امتد النهج الحسيني بعد عاشورا فهيمن على كل مساحة الزمان والمكان في انبعاث كل قيام إسلامي حق إلى قيام الساعة، لقد غدا الحسين (ع) قدوة كل مسلم نائر للحق وبالحق، وغدت كل نهضة إسلامية حقة تجد نفسها امتدادا لنهضة الحسين (ع)، حتى نهضة المهدي (ع) تجد نفسها امتدادا لنهضة الحسين (ع) وتؤكد هذا الامتداد بشعار: (يا لثارات الحسين).

وغدا كل طاغية من أعداء الاسلام بعد عاشورا يجد نفسه في مواجهة الحسين (ع)، فهو يذعر من ذكر الحسين (ع)، بل ويخاف من قبر الحسين (ع)، وقد كان ولا يزال هذا القبر المقدس يتعرض في الماضي والحاضر لا شرس د الهجمات ومحاولات الطمس من قبل الطغاة، فلا يزداد إلا علواً وشموخاً! يقول اميرالمؤمنين علي (ع) مشيراً إلى هذه الخصوصية الحسينية في وصف منزلة شهداء كربلاء (ع):

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٦

(... ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم). «١»

إن في (لا يسبقهم من كان قبلهم) و (لا يلحقهم من بعدهم) إشارة إلى هذا التفرد الناشئ عن تلك الخصوصية!

وهنا قد يقول قائل: إذن فاء نصار أبي عبد الله الحسين (ع) من أهل بيته وصحبه الكرام الذين استشهدوا بين يديه شهداء فاتحون أيضا! نعم، ولكن هذا الاشتراك لا يقدح في أصل أن هذه الصفة من خصائص الحسين (ع)، ذلك لأن في ظل هذا الامتياز الحسيني الخاص كان أنصار أبي عبد الله (ع) من أهل بيته وصحبه الكرام الذين استشهدوا بين يديه شهداء فاتحون أيضا، وتسّموا هذا المقام

الذى لم يسبقهم إليه سابق ولا يلحق بهم إليه لاحق، لا عن استقلالية منهم بذلك، بل تبعاً لصاحب هذا الاختصاص أصالة، إذ لو لم يكن الامام أبو عبد الله الحسين (ع) صاحب كربلاء، لما كان شهداء الطف الآخرين على ما هم عليه من هذه المرتبة في السمو والشرف التي ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير، ولما كانت كربلاء التي نعرف، ولا عاشوراً التي تأخذ بمجامع قلوب المؤمنين خاصية وأحرار العالم عامة.

إنّ قداسة الامام الحسين (ع) (المثل الاعلى) في ضمير ووجدان الامة هي التي أسبغت على عاشوراً كلّ هذه القداسة وهذه الرمزية في الزمان (كلّ يوم عاشوراً)، وهي التي نشرت كربلاء على كلّ الارض عنواناً لميدان انتصار دم الحقّ على سيف الباطل، فكانت (كلّ أرض كربلاء)، ولولاه (ع) لكانت واقعة الطفّ بكلّ ما غصّت به من فجائع أليمة: ماء ساء يذكرها الذاكر فياء سف لها كما ياء سف لكثير من وقائع التاء ريخ الائمة الاخرى المقيّدة بحدود الزمان والمكان.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٧

إنّ واقعة كربلاء بعظمتها الفريدة من كلّ جهه، وبكلّ أبطالها وبطولاتها، إنّما استمدّت خصائصها من الخصائص المنحصرة بصانع ملحمتها الامام أبي عبد الله الحسين (ع)، فكانت الحدث التاء ريخي الذي لا يرقى إليه أيّ حدث تاء ريخي آخر في مستوى تاء ثيره ...

منطق الشهيد الفاتح: ص : ١٤٧

إنّ الفترة الزمنية الممتدة من يوم إعلان الامام الحسين (ع) رفضه البيعة ليزيد بن معاوية أمام الوليد بن عتبة والى المدينة آنئذ، إلى اليوم الذي وصل فيه كتاب عبيد الله بن زياد إلى الحرّ بن يزيد الرياحي (ر)، والذي جاء فيه: (أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعرأ في غير حصن ولا ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى ياء تيني يا نفاذك أمرى، والسلام)، «١» تعتبر فترة التعريف بنهضة الامام الحسين (ع)، كما يمكن اعتبارها أهمّ مقطع من مقاطع هذه الثورة المقدسة لما حوته من محاورات ومراسلات وخطب ووصايا ضبطها لنا التاء ريخ، فهي أغنى مقاطع هذه الثورة بالنصوص المعروفة بها والكاشفة عن هويتها ممّا ورد عن الامام الحسين (ع).

كما أنّ هذه الفترة تعتبر أيضاً أهمّ مقاطع هذه الثورة المقدسة بمنظار التحليل التاء ريخي، من ناحية عدد الاختيارات التي كان يملكها الامام الحسين (ع) في هذه الفترة، ومن ناحية موقف الامام (ع) إزاء كلّ من هذه الاختيارات، ثمّ من ناحية نوع الاختيار الذي أصرّ إليه الامام (ع) منذ البدء.

لكنّ الاستفادة من نصوص هذه الفترة المهمة في الوصول إلى تعريف صحيح تامّ لهذا الثورة المقدسة لم تسلم في الغالب من عثرات القصور والخطأ في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٨

الاستنتاج في كثير ممّا كتب حول هذه الثورة، ويكفي التاء ملّ اليسير في كثير من الكتب والدراسات التي تناولت البحث في حقيقة قيام الامام الحسين (ع) دليلاً لا ثبات ما قلناه والامثلة تاء تي ولعلّ مرّد ذلك بالاساس إلى عدم الانتباه إلى النقاط الثلاث التالية:

١ معرفة هوية المخاطب في تلك النصوص.

٢ النظر إلى هذه النصوص كوحدة في مجموعها.

٣ ردّ المتشابه منها إلى المحكم.

إنّ معرفة هوية المخاطب من العناصر المهمة في فهم واستيعاب روايات أهل البيت (ع)، لأنّهم صلوات الله عليهم إنّما يخاطبون الناس على قدر عقولهم ومستوى بصيرتهم ودرجة ولائهم لهم ونوع علاقتهم بآبائهم، وهذه نقطة مهمّة يجب حضورها دواما في ذهن الباحث المتأمل في النصوص الواردة عنهم (ع).

ولا- شك أن الامام الحسين (ع) كان قد خاطب أخاه محمّد بن الحنفية في محاوراته معه ووصاياه إليه خطابا مختلفا عن خطابه مع أخيه عمر الاطرف الذي كان قد أشار على الامام (ع) قائلا: (فلو لا ناولت وبايعت!!). «١»
كما أنه (ع) يخاطب أم سلمة رضوان الله عليها خطابا يختلف عن رده على كتاب عمر بنت عبدالرحمن التي عظمت عليه ما يصنع وأمرته بالطاعة ولزوم الجماعة!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٩

وخاطب (ع) الشاعر الفرزدق في محاوراته معه بمنطق اختلف عن منطق مع عبدالله بن مطيع العدوي الذي كان همه الاكبر أن يكون ماء بثره عذبا وكثيرا!

ويحاور (ع) عبدالله بن جعفر وابن عباس حوارا يختلف كثيرا عن حوار مع عبدالله بن عمر صاحب الموقف والرأى المريب! الذي كان لا يرى إلّا:

(أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل). «١»

حتى ضاق الامام (ع) ذرعا به وباقتراحاته المريبة فقال له:

(أف لهذا الكلام أبدا مادامت السموات والارض ...). «٢»

وإذا تاءمل الباحث في جميع نصوص هذه الفترة المهمة لوجد أثر نوع المخاطب في نوع كل منها بينا جليا، وممن انتبه إلى هذه النقطة المهمة المؤرخ المحقق السيد المقرم حيث قال:

(وإنما لم يصارح بما عنده من العلم لكل من رغب في إرضاه عن السفر إلى الكوفة لعلمه بقاء الحقائق لاتفاض لاى متطلب بعد اختلاف الاوعية سعة وضيقا وتباين المرامي قريبا وبعدا، فلذلك (ع) يجيب كل أحد بما يسعه ظرفه وتحمّله معرفته وعقليته، فإن علم أهل البيت (ع) صعب مستصعب لا يتحمّله إلا النبي مرسل أو ملك مقرّب أو مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان). «٣»

كما أن تاءثير نوع المخاطب على درجة صراحة ووضوح محتوى النص يفرض أن تؤخذ مجموعة هذه النصوص كوحدة في مجموعها، لأن النظر إلى بعض هذه النصوص وقد تكون مبهمه ومتشابهة أو غير صحيحة دون البعض الاخر قد يؤدى بالباحث إلى استنتاج نظرة تكون في الغالب قاصرة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٠

أو خاطئه.

كما لو نظر الباحث فقط إلى مثل هذا المقطع من المحاورات الواردة بين الامام (ع) وبين الشاعر الفرزدق حين ساءله: (ما أعجلك عن الحج؟! «١»

حيث أجابه (ع): (لو لم أعجل لا خذت). «٢»

أو مثل هذه المحاوره الواردة بين الامام (ع) وبين أبي هرّة الازدي في منطقة الثعلبية، تقول الرواية:

(فلما أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكتى أبا هرّة الازدي، أتاه فسلم عليه

ثم قال: يا ابن بنت رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمّد (ص)؟!)

فقال الحسين: يا أبا هرّة، إن بنى أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتماوا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله يا أبا هرّة لتقتلني الفئة الباغية، ويلبسهم الله ذلا شاملا وسيفا قاطعا، وليسلمن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سباء إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم). «٣»

إن ظاهر مثل هذه النصوص يوحى بآن الامام (ع) كان همه الاكبر النجاة بنفسه!! فقد صبر على أخذ ماله وشتم عرضه، وحين أرادوا قتله هرب لينجو

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥١

بنفسه!! هذه حدود مظلوميته لا أكثر!! وكأني لست هناك رفض بيعه لا طلب اصلاح وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولا قيام!! ولقد انطلى هذا الاستنتاج الخاطي على بعض الناس، فتوهموا أن أساس حركة الامام (ع) هو طلب النجاة والفرار من الاغتيال والقتل!! كذلك إذا اقتصر نظر الباحث على مثل رده (ع) على المسور بن مخرمة حينما كتب إليه ألا يغتر بكتب أهل العراق حيث قال الامام (ع): (أستخير الله في ذلك). «١»

وقوله (ع) لا خيه محمد بن الحنفية: (يا أخي، ساء نظر فيما قلت). «٢»

أو قوله (ع) لعبدالله بن مطيع العدوي: (أما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك). «٣»

أو قوله (ع) لعبدالله بن عباس حين حذره من التوجه إلى العراق: (وإني أستخير الله، وأنظر ما يكون). «٤»

أو قوله (ع) لعبدالله بن الزبير: (والله لقد حدثت نفسي يا تيان الكوفة، ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشرف أهلها، وأستخير الله). «٥»

ذلك لأن ظاهر مثل هذه النصوص يوحي بقاء الامام (ع) لم تكن لديه خطة على الارض في مسار النهضة منذ البدء، ولا علم له بما هو قادم عليه في مستقبل أيامه من مصير، بل كانت توجه حركته بوسيلة الاستخارة!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٢

الامر الذي يعارض وينافي كثيرا من النصوص الواردة عنه (ع) في نفس هذه الفترة، فضلا عن منافاته للاعتقاد الصحيح بعلم الامام (ع)!

كذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث مثلا على النصوص المتعلقة برسائل أهل الكوفة إلى الامام (ع)، خصوصا النصوص الواردة عنه (ع) في ذلك، لأن نتيجة مثل هذا النظر ستكون اعتبار رسائل أهل الكوفة هي سبب قيام الامام (ع)، وهذا من أشهر الاشتباهات الحاصلة في مجرى النظر إلى قيام الامام الحسين (ع)!

وكذلك لا يكون الاستنتاج سديدا إذا اقتصر مثلا على النصوص المتعلقة بالرؤيا التي رأى فيها الامام (ع) جدّه رسول الله (ص) وأمره فيها بأمير لا بد أن يمضي إليه!

وكذلك لا يكون الاستنتاج سديدا إذا اقتصر مثلا على النصوص التي توحى بآئته (ع) كان يامل النصر والنجاح وتسلم زمام الامور، وأنه كان يتوقع ذلك ويرجوه، وأنه لم يكن يعلم المصير!.

كل تلك النتائج القاصرة أو الخاطئة إنما تنشأ نتيجة الاخذ الجزئي المفكك، أما أخذ جميع النصوص المتعلقة بهذه الفترة كمجموعة واحدة أخذنا كليا موّحدا فهو أحد عناصر عصمة الاستنتاج من القصور والخطأ.

هذا، وكما يُردّ متشابه القرآن إلى محكمه، كذلك يردّ متشابه قول أهل البيت (ع) إلى محكم قولهم.

وفي مجموعة هذه النصوص هناك متشابهات لا يتجلى معناها الحق للنظر

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٣

الاولى، ويؤدّي الاقتصار عليها في النظر إلى نتائج قاصرة أو خاطئة أيضا.

كما لو اقتصر النظر مثلا- على مثل قوله (ع) لعمر بن لوذان حينما أشار عليه بعدم التوجه إلى الكوفة لأن أهلها لم يتحرّكوا عملنا لنصرته ولم يغيروا شيئا من أمورهم استقبالا لمقدمه، حيث قال (ع): (يا عبدالله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره). «١»

أو إلى مثل قوله (ع) بعد أن قرأ كتاب عمرة بنت عبد الرحمن، وكانت في كتابها هذا (تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتامر به بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لحدّثتي عائشة أنها سمعت رسول الله (ص) يقول: (يقتل حسين باعرض بابل)، حيث قال (ع): (فلا بد لي إذن من مصرعي!). «٢»

وإلى مثل إجابته (ع) حين أشار عليه عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بعدم التوجه إلى العراق، حيث قال (ع): (جزاك الله خيرا يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته!). «٣»

أو إلى مثل قوله (ع) لا م سلمة رضى الله عنها: (يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يرانى مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا، وقد شاء أن يرى حرمى ورهطى ونسائى مشرّدين، وأطفالي مذبحين مظلومين ماءسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا...). «٤»
وإلى مثل قوله (ع) لعمته أمّ هانى رضى الله عنها: (يا عمّة، كلّ الذى مقدّر مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٥٤
فهو كائن). «١»

وإلى قوله (ع) للا وزاعى: (مرحبا بك يا أوزاعى، جئت تنهانى عن المسير، ويأبى الله إلّا لك!). «٢»
وإلى قوله (ع) لاخته زينب (س): (يا أختاه، المقضى هو كائن). «٣»

ذلك لا- نّ هذه النصوص تطوى على إبهام وتشابه يوحى للنظرة الاولى باءنّ هناك جبرا وقهرا لم يكن الامام (ع) إزاه يملك أى اختيار فى كلّ ما جرى عليه! وهذا خلاف واقع الحال، وخلاف الاعتقاد الصحيح!
إنّ من لم يطلع على معنى القدر والقضاء وأقسام القضاء بما ورد عنهم (ع) لا يؤمنّ عليه من الوقوع فى مزالق الفهم الخاطىء لمعانى مثل هذه النصوص د المتشابهات.

إنّ فهم الاشارات الكامنة فى مثل هذه النصوص يفرض على الباحث أن يعرض د متشابهات هذه النصوص على محكمات براهين الاعتقاد الحقّ، وعلى نظائرها من النصوص الاخرى المحكمه حتّى يتجلّى له معناها الحقّ تماما.
مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٥٥

مما سبق تتجلّى لنا هذه الحقيقة وهى: أن قرأه معمّقه للنصوص الواردة عن الامام الحسين (ع) فى هذه الفترة، قرأه واعيه لحقائق هذه النقاط الثلاث التى قدّمناها، لا بدّ أن تصل إلى هذه النتيجة وهى:

أنّ الامام الحسين (ع) كان قد تعامل فى العمق مع كلّ قضيه فى مسار النهضة المقدّسه بمنطق (الشهيد الفاتح)، وخاطبها بلغة الشهادة التى هى عين الفتح، وإن كان فى نفس الوقت قد تعاطى مع ظواهر القضايا بمنطق الحجج الظاهرة ولا منافاة بين المنطقين بل هما فى طول بعضهما البعض.

فكان صحيحا مثلا أن الامام (ع) أراد أن (ينجو) من أن يُقتل فى المدينة أوفى مكّة خاصيه، قتله يقضى بها على ثورته فى مهدها، وتُهتك بها حرمة البيت: (يا أخى، قد خفت أن يغتالى يزيد بن معاوية فى الحرم، فاء كون الذى يستباح به حرمة هذا البيت). «١»
حيث يتمكن الامويون فى كلّ ذلك أن يدعوا أنّهم بريئون مّا جرى على الامام (ع) سواء فى المدينة أو فى مكّة أو فى الطريق، فيحافظو بذلك على الاطار الدينى لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوءا حين يطالبون هم بدم الامام (ع) ويقتلون من أمره بقتله، فيخدعون الناس بادعائهم أنّهم أصحاب دمه الاخذون بئاره، فيزداد الناس انحداعا بهم ومحبة لهم وتصديقا بما يستظهرون من التدين والالتزام، فتكون المصيبة على الاسلام والامة الاسلاميه أدهى وأمر!

وصحيح فى العمق أيضا أن الامام (ع) كان قد تحرّك على علم منذ البدء نحو المصراع المختار على الارض المختارة التى تنفرج وقائع المصراع فى ساحتها عن الفتح المنشود:

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٥٦

(وخيرلى مصرع أنا لاقيه). «١»

(الموعد حفرتى وبقعتى التى أستشهد فيها وهى كربلا). «٢»

(لا سبيل لهم علي ولا يلقونى بكرهه أو أصل إلى بقعتي). (٣)

(ولكن أعلم يقينا أن هناك مصرعى ومصرع أصحابى ...). (٤)

فحيث إن لم يبايع (ع) يُقتل، فقد سعى (ع) ألا يقتل في ظروف زمانية ومكانية وبكيفية يختارها ويخطط لها ويعدها العدو، وسعى (ع) بمنطق الشهيد الفاتح أن يتحقق مصرعه الذي لا بد منه على أرض يختارها هو، لا يتمكّن العدو فيها أن يعتم على مصرعه، فتختنق الاهداف المرجوة من ورأ هذا المصرع الذي سيهزّ الاعماق في وجدان الامة ويحرّكها بالا تجاه الذي أراده الحسين (ع)، كما سعى (ع) أن تجرى وقائع الماء ساء في وضح النهار لا في ظلمة الليل، ليرى جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلا يتمكّن العدو من أن يعتم على هذه الوقائع الفجيعة ويغطى عليها، وهذا هو الهدف المنشود من ورأ العامل الاعلامي والتبليغي في طلب الامام (ع) عصر تاسوعاء أن يمهلوه إلى صبيحة عاشوراء!

وكان صحيحا مثلا أن رسائل أهل الكوفة كانت حجة لهم على الامام (ع)، وحجة له عليهم وعلى الامة في وقت معا، وكانت حجة هذه الرسائل تقضى أن يتوجه الامام (ع) بعدها إلى الكوفة، خصوصا بعد أن كتب إليه مسلم بن

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٧

عقيل (ر) يخبره بانه قد بايعه منهم ثمانية عشر ألفا ويطلب منه القدوم. (١)

وذلك وفاء بالوعد الذي قطعه لهم الامام الحسين (ع) على نفسه:

(... فإن كتب إلى أنه قد أجمع رأى مثلكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ...). (٢)

ولو لم يتوجه الامام (ع) إلى الكوفة بعد هذه الرسائل لقال التاءريخ والناس إلى يومنا هذا إنه (ع) قد أخلف الوعد، وإخلاف الوعد قبيح! وضيع الفرصة التي لا تعوض د وفوتها تفويتا، وفوط في الامر خلافا للحكمة السياسية!

لكن حجة أهل الكوفة على الامام (ع) كانت قد انتفت بالفعل بعد انقلاب الكوفة على مسلم بن عقيل (ع) وخذلان أهلها له، ونكولهم عن نصرته والوفاء ببيعته، وتفرق بقيّة المخلصين من الشيعة وهم قليل جدا تحت جنح التستر والتخفي خوفا من بطش ابن زياد بهم، بعد أن سجن جمعا منهم، ووصول الخبر بذلك إلى الامام (ع).

فلم يعد في الظاهر ثمة إلزام يقضى بضرورة مواصلة التوجه إلى الكوفة.

فلماذا لم ينش الامام (ع) عن المسير إليها والتوجه نحوها؟!

لعل هناك من يتصور أن إصرار الامام (ع) على التوجه إلى الكوفة كان بسبب إصرار بنى عقيل على الاخذ بئاء مسلم (ع) بعد وصول خبر مقتله، كما هو ظاهر الرواية الواردة عن عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعل

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٨

الاسديين الذين نقلوا خبر مقتل مسلم (ع) عن طريق أسدي آخر شهد مقتله في الكوفة، ثم قالوا للامام (ع): (نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك ...). (١)

تقول الرواية:

(فنظر إلى بنى عقيل فقال: ما ترون، فقد قتل مسلم (ع)؟ فقالوا: والله لانرجع حتى نصيب ثاءرنا أو نذوق ما ذاق. فاقبل علينا الحسين (ع) وقال: لا خير في العيش د بعده ولاء!). (٢)

معنى ذلك أن الامام (ع) أصر على التوجه إلى الكوفة نتيجة لا صرار بنى عقيل على الاخذ بئاء مسلم (ع)!! وإلا لكان الامام (ع) قد رجع من حيث أتى. أو كان قد انصرف عن وجهته، وما كانت لتقع عاشوراء!! وهذا ما تاءباه ماهية النهضة الحسينية وياءباه تاءريخها الوثائقي.

فمما يدلّ على أنّ القضية عند الامام (ع) هي قضية نجاه الاسلام التي هي أكبر من دم مسلم (ع) ومن كلّ دم. قول الامام (ع) لمسلم (ع) وهو يودّعه، موجّها إياه إلى الكوفة ومبشّرا إياه بالشهادة:

(إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقتضى الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهيد، فامض على بركة الله...). (٣)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٩

وقوله (ع) للفرزدق حين ساءله: (كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟! «١») حيث قال (ع):

(رحم الله مسلما، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا...). (٢)

وفي إطار نقطة الانتباه إلى نوع المخاطب في معرفة المراد من النصوص الواردة عن أهل البيت (ع)، يحسن هنا أن نذكر بقاء الرجلين الاسديين الذين رويّا تلکم القصيدة والرواية تاءتى في موضعها من هذا الكتاب لم يكونا ممّن عزم على نصره الامام (ع) والالتحاق بركبه!!

كلّ ما في أمرهما هو أنّ الفضول دفعهما إلى معرفة ما يكون من أمر الامام (ع) فقط هذا باعترافهما كما في الرواية وقد تخلّيا عنه أخيرا وفارقاه!!

والممتنع لما ورد في هذه الفترة من نصوص محاورات الامام (ع) خاصّة، يجد أنّ الامام (ع) كان لا يخاطب هذا النوع من الرجال بمُرّ الحقّ وصريح القضية، بل كان (ع) يسلك إلى عقولهم في الحديث عن مراميه سبلا غير مباشرة يعرض فيها سببا أو أكثر من الاسباب التي تقع في طول السبب الرئيس بما يناسب المقام والحال.

فقوله (ع) صدقٌ وحقٌّ: (لا خير في العيش بعد هؤلأ!).

لكنّ هذا لايعنى أنّ مواساة بنى عقيل كانت هي السبب الرئيس في إصرار

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٠

الامام على التوجّه إلى الكوفة.

يضاف إلى ذلك أنّ الامام (ع) لم يعلّل في أيّ موقع أو نصّ آخر إصراره على التوجّه إلى الكوفة بطلب الثاءر لمسلم (ع)! بل كان يعلّل ذلك في أكثر من موقع ونصّ بحجّة رسائل أهل الكوفة وبيعتهم، وظلّ (ع) يؤكّد التزامه بالوفاء بالعهد والقول الذي كان بينه وبين أهل الكوفة حتّى بعد أن منعه جيش الحرّ بن يزيد الرياحي عن الكوفة وحال بينه وبينها (وعن الرجوع إلى المدينة على بعض الروايات). (١)

فقد قال (ع) للطّرمّاح الذي عرض عليه اللجوء إلى جبل (أجاء) المنيع بعد مضايقات جيش الحرّ:

(جزاك الله وقومك خيرا، إنّه قد كان بيننا وبين هؤلأ القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف...). (٢)

وفي نصّ آخر:

(إنّ بيني وبين القوم موعدا أكره أن أخلّفهم، فإن يدفع الله عنّا فديما ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله). (٣)

كما خاطب (ع) جيش الحرّ بن يزيد الرياحي بهذه الحجّة أيضا حيث قال:

(أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦١

علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ...). (١)

وما فناء الامام (ع) يحتج بذلك على أهل الكوفة ويذكر به حتى استشهد!

وعلى ضوء مثل هذه النصوص، يكون صحيحا القول: إن الامام (ع) واصل التزامه بالوفاء بهذا الموعد والقول، وأصر على التوجه إلى الكوفة لا لأن لا أهل الكوفة حجة باقية عليه في الواقع، بل لأنه (ع) لم يشاء أن يدع أي مجال لا مكان القول بانه (ع) لم يف تماما بالعهد لو كان قد انصرف عن التوجه إلى الكوفة في بعض د مراحل الطريق، حتى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها، ذلك لأن الامام (ع) مع تمام حجته البالغة على أهل الكوفة أراد في المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل وجه فيما قد يتصور أن لهم حجة باقية عليه، بحيث لا يبقى ثمة مجال للطعن في وفائه بالعهد!

هذا، وإذا انتبهنا إلى أن الامام (ع) بعد أن أختار موقفه المبدئي برفض البيعة ليزيد وبالقيام، كان يعلم منذ البدء أنه مقتول لامحالة، خرج إلى العراق أو لم يخرج، وهذا ما تؤكده كثير من النصوص الواردة عنه (ع)، منها:
(إني والله مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضا ..) «٢»
لو كنت في جحر هامة من هوام الارض لاستخرجوني منه حتى يقتلونني «٣»
يتضح لنا أن من الحكمه أن يختار الامام (ع) لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والنفسية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٢

وفضح أعدائه ونشر أهدافه، وأن يتحرك باتجاه تحقيق ذلك ما وسعته القدرة على التحرك.

وبما أن الامام (ع) كان يعلم منذ البدء أيضا أن أهل الكوفة لا يفون له بشي من عهدهم وبيعتهم وأنهم سوف يقتلونهم:

(هذه كتب أهل الكوفة إلي ولا أراهم إلّا قاتلي ...) «١»

إذن فهو (ع) بمنطق الشهيد الفاتح كان يريد العراق ويصر على التوجه إليه لأنه أفضل أرض للمصرع المختار، ذلك لما ينطوي عليه العراق من استعدادات للتأثر بالحدث العظيم (واقعه عاشورا) والتغير نتيجة لها.
وذلك لأن الشيعة في العراق آنئذ أكثر منهم في أي إقليم إسلامي آخر ولا ن العراق لم ينغلق إعلاميا ونفسيا لصالح الامويين كما هو الشام، بل لعل العكس د هو الصحيح.

وهذه الحقيقة أكدتها الوقائع التي تلت واقعه عاشورا، وأثبتت أيضا صحة هذا المنطق، ولعل هذا هو السرّ المستودع في قوله (ع) لما ساءله عبدالله بن عياش: أين تريد يا ابن فاطمة؟ حيث أجاب (ع): (العراق وشيعتي). «٢»

وقوله (ع) بعبدالله بن عباس (رض): (لابد من العراق). «٣»

وعلى ضوء هذا يُفسر رفض الامام (ع) اقتراحات في المدينة طلبت إليه عدم التوجه إلى العراق، وأن يتوجه إلى اليمن أو إلى شعاب الجبال الامنة (وذلك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٣

قبل رسائل أهل الكوفة إليه)، كان قد اقترحها عليه مثل محمد بن الحنفية (ر) وأم سلمة وغيرهم.

وفي هذا الاتجاه أيضا يمكن أن نفسر رفض الامام (ع) لاقتراح الطرمّاح عليه باللجوء إلى جبل (أجاء) المنيع بعد اللقاء بجيش الحرّ بن يزيد الرياحي.

وكذلك إعراض الامام (ع) عن استثمار الفرصة التي أتاحها له الحرّ (ر) ليرجع من حيث أتى أو يمضي إلى حيث شاء كما في الرواية الالية وإصراره على التوجه إلى الكوفة، وذلك قبل وصول الرسالة الصارمة التي بعث بها عبيدالله بن زياد إلى الحرّ والتي أمره فيها أن يجتمع بالامام (ع).

ففي الاثر أنّ حوارا ساخنا دار بين الامام (ع) وبين الحرّ بن يزيد الرياحي: فقال الامام (ع): (فذر إذن أصحابك وأصحابي، وبرز إلي،

فإن قتلتنى حملت رأسى إلى ابن زياد، وإن قتلتك أرحت الخلق منك!

فقال الحرّ: إنى لم أو مر بقتالك، وإنما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على الامير، وأنا والله كاره أن يبتلىنى الله بشي من أمرك، غير أنى أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنه ما يوافى القيامة أحد من هذه الامة إلا وهو يرجو شفاعه جدك، وإنى والله لخائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والاخرة، ولكن أما أنا يا أبا عبد الله فلست أقدر على الرجوع إلى الكوفة فى وقتى هذا، ولكن خذ غير الطريق وأمض حيث شئت، حتى أكتب إلى الامير أن الحسين خالفنى الطريق فلم أقدر عليه ...». (١)

فالحز على ضوء هذه الرواية كان قد سمح للامام (ع) عدا الكوفة أن

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٦٤

(... وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولى وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد ...). (١)

وصحيح فى العمق أيضا بمنطق الشهيد الفاتح أن الامام (ع) كان يعلم أن النصر الظاهرى وتسلم الحكم حتى لو تحقق له على فرض الاحتمال فإنه قد يتحقق فى إقليم (العراق مثلا) أو أكثر من إقليم على أحسن احتمال، لكن الشام وما تبعها من الاقاليم الاخرى تبقى آنشد فى يد الحكم الاموى، ويعود الصراع بين الحق والباطل إلى سابق حلباته ومعاركه غير الحاسمة، فى مثل (صفين) مرة أخرى، وتبقى قدرة الامويين على تضليل الامة كما هى، وتبقى مأساة الاسلام على حالها، ويبقى الامر دون مستوى الفتح المنشود.

فلا بد إذن من (واقعة حاسمة) تفصل تماما بين الحق والباطل، وتحيل شلل الامة ومواتها حركة وحياء، وتشل الباطل فلا تبقى له بعدها أية قدرة على التلبس بلباس د الحق وتضليل الناس على الصعيد الدينى والنفسى والسياسى والاعلامى.

(واقعة حاسمة) تنتهى بكل نتائجها لصالح الحق ولو بعد حين، فلا تنتهى كما انتهت صفين مثلا!

(واقعة حاسمة) تكتب بمداد من الدم المقدس كل البلاغات والبيانات اللازمة فى طريق الكمال الانسانى على هدى الاسلام المحمدي الخالص!

(واقعة حاسمة) تمنح مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (قيمة إثباتية) عليا تضاف إلى قيمته الثبوتية العالية فى الشريعة المقدسة!

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٦٦

(واقعة حاسمة) لا يكون بعدها الاصلاح فى الامة إلا فى ظلها وبركتها وتحت شعارها!

(واقعة حاسمة) تمتد فى الزمان فيكون كل يوم يومها، وتمتد فى المكان فتكون كل أرض أرضها!

وحيث إن كل منطق آخر غير منطق الشهيد الفاتح لا يؤدى آنشد إلى هذا الحسم المنشود، من هنا رأينا الشهيد الفاتح (ع) يرفض كل نصر دون مستوى ذلك الحسم، ويختار لقاء الله تعالى شهيدا فاتحا!

وفى هذا البعد بعد منطق الشهيد الفاتح يكون يا مكاننا أن نفهم السر فى الرواية القائلة إنه: (لما التقى الحسين (ع) وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب، انزل النصر حتى رفر على رءس الحسين (ع)، ثم خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله تعالى، فاختر لقاء الله تعالى). (١)

وهذا البعد أيضا أحد الابعاد التى يمكن على ضوءها أن نفهم سرّ عدم إذنه (ع) للملائكة والجنّ الذين أظهروا له استعدادهم لنصرته أن ينصروه فعلا، فقال للملائكة:

(الموعده حفرتى وبقعتى التى استشهد فيها وهى كربلاء)

وقال للجنّ:

(أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدى رسول الله (ص) فى قوله: (قل لو كنتم

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٦٧

في بيوتكم لبرز الذين كُتِب عليهم القتل إلى مضاجعهم). «١»

وعلى ضوء هذا المنطق منطق الشهيد الفاتح نفهم أيضا سرّ موقف الامام الحسين (ع) من الاقتراحات والمشورات الصحيحة والنصائح الصائبة (بمقياس هدف النصر الظاهري وتسلّم الحكم) التي اقترحها عليه كلُّ من محمّد بن الحنفية، وعمر بن عبدالرحمن وعبدالله بن عباس وعمر بن لوذان ...

فقد قال له أخوه محمّد:

(أخرج إلى مكّة، فإن اطمأنت بك الدار فذاك الذي تحبّ وأحبّ، وإن تكن الاخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأخيّك وأبيّك، وهم أرف الناس، وأرقهم قلوبا، وأوسع الناس بلادا، وأرجحهم عقولا، فإن اطمأنت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين). «٢»

وقد أقرّ الامام (ع) أنّ هذه النصيحة صواب! إذ قال له:

(... جزاك الله يا أخي عنّي خيرا، ولقد نصحت وأشرت بالصواب ...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٨

وقال له عمر بن عبدالرحمن:

(... قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّي مشفق عليك، إنّك تاءتي بلدا فيه عمّاله وأمراؤه ومعهم بيوت الاموال، وإنّما الناس عبيد الدنيا والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه). «١»

وقد أثنى الامام (ع) على رأيه هذا، إذ قال له:

(جزاك الله خيرا يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل ...). «٢»

وفي هذا المجرى قال له ابن عباس أيضا:

(أخبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم؟! فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسير إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهرٌ لهم، وعمّاله تجبى بلادهم، فإنّهم إنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغزوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك). «٣»

وقال له عمرو بن لوذان في هذا الاتجاه أيضا:

(أشذك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الاسنة وحدّ السيف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنّ القتال، ووطأوا لك الاشياء،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٩

فقدت عليهم كان ذلك رأيا، فاء ما على هذه الحال التي تذكر فإنّي لأرى لك أن تفعل). «١»

ويجيئه الامام (ع):

(يا عبدالله، ليس يخفى علىّ الرأى، ولكنّ الله تعالى لا يغلب على أمره). «٢»

وفي هذا الاجابة إقرار بعقلانيته هذا الرأى وصوابه!

لكنّ الامام (ع) مع إقراره بصحّة وصواب تلكم النصائح والاقتراحات كان يؤكّد لكلّ من هؤلاء الرجال بطريقة تناسب ونوع المخاطب أنّه لا بدّ له من عدم الاخذ بتلكم النصائح والاقتراحات!!

وذلك لأنّ منطق هؤلاء وإن كان صحيحا بمقياس حدود الظاهر إلاّ أنّه لا يتعدّى التفكير بالسلامة والمنفعة الذاتية والنصر الظاهري وإن كان جزئيا وعلى نحو الاحتمال!

في حين أنّ الاسلام كان آتنيذ يمرّ بمنعطف حرج حاسم النتيجة في أن يبقى أو لا يبقى، وقد لخصّ الامام (ع) حال الاسلام الحرجة

هذه بقوله لمروان بن الحكم:

(وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الائمة براع مثل يزيد!). «٣»

كان الاسلام آتئذ في حالة كما المريض الذي لا ينفع في علاجه إلا الكئي! وقديما قيل في المثل: (آخر الدوا الكئي)، لما يترتب عليه من علاج حاسم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٠

حال الاسلام آتئذ لم يكن ينفع في علاجها منطق السياسة والمعاملة السياسيّة، والدهاء السياسي ورعاية المصالح الذاتية، والتفكير بالسلامة، وحسابات الاستفادة والمنفعة والربح والخسارة الشخصية، ومنطلقات التخطيط للسيطرة على الحكم!

حال الاسلام آتئذ ما كانت لتصل إلى علاجها الحاسم وتبلغ الشفاء التام إلا بمنطق الشهيد الفاتح الذي جاء من قلب (المدينة) يسعى، يحدو به الشوق إلى المصراع المختار:

(وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف). «١»

في ركب من العشاق (ومصارع عشاق شهداء...) «٢» لاتنبيهم عن الغاية عقلائية عقلاء الظاهر، ولا نصائحهم، ولا ملامة المحجوب عن المحجوب.

حتى إذا قيل: هذه كربلاء!

تنفس الشهيد الفاتح الصعداً!

فهاهنا: أرض المصراع المختار وبقعة الفتح!

آفاق الفتح الحسيني: ص : ١٧٠

إشارة

يحدّثنا التاءريخ في واحدة من روائع وثائقه (المعتبرة): أن الامام أباعبدالله الحسين (ع) بعث بهذه الرسالة إلى أخيه محمّد بن الحنفية ومن قبله من بنى هاشم:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧١

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(من الحسين بن علي إلى محمّد بن علي ومن قبله من بنى هاشم. أمّا بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح. والسلام). «١»

يقول المحقق السيد المقرم (ره) مشيراً إلى هذه الرواية:

(كان الحسين (ع) يعتقد في نهضته أنه فاتح منصور لما في شهادته من إحياء دين رسول الله (ص)، وإماتة البدعة وتفضيح أعمال المناوئين، وتفهم الائمة أنهم (ع) أحق بالخلافة من غيرهم، وإليه يشير في كتابه إلى بنى هاشم:

من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح. فأنه لم يرد بالفتح إلا ما يترتب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة وإقامة أركان العدل والتوحيد، وأنّ الواجب على الائمة القيام في وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الامام زين العابدين لا براهيم بن طلحة بن عبيدالله لما قال له حين رجوعه إلى المدينة: من الغالب!؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٢

فقال السَّجَاد (ع): إذا دخل وقت الصلاة فاءذّن وأقم تعرف الغالب! «١»

وقال المتتبع باقر شريف القرشي تعليقا على الرواية نفسها:

(لقد أخبر (ع) الاسرة النبوية بآن من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة، ومن لم يلحق به فإنّه لا ينال الفتح، فاءى فتح هذا الذى عناه الامام؟

إنّ الفتح الذى لم يحزره غيره من قادة العالم وأبطال التاريخ، فقد انتصرت مبادئه، وانتصرت قيمه وتاءلقت الدنيا بتضحيتها، وأصبح اسمه رمزا للحق والعدل، وأصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكا لا مية دون امية ولا لطائفه دون اخرى، وإنما هي ملكك للناسية الفذة في كل زمان ومكان، فاءى فتح أعظم من هذا الفتح، وأى نصر أسمى من هذا النصر؟؟) «٢»
ويمكننا هنا أن ننظر إلى أهم آفاق الفتح الحسيني - بما تتسع له صفحات هذه المقالة - فى المقاطع الزمانية الثلاثة التالية:

مقطع عصر عاشوراء: ص : ١٧٢

إشارة

وفى هذا المقطع هناك آفاق فتح حسينى عديدة، أهمها:

أ) الفصل بين الاموية والاسلام ص : ١٧٢

: مرّ بنا فى المقالة الاولى من مدخل هذا الكتاب: كيف أنّ معاوية بن أبى سفيان (الذى انتهت إليه قيادة حركة النفاق آنذاك) قد أضلّ جلّ هذه الائمة إضلالا بعنوان الدين نفسه! حيث عتم على ذكر أهل البيت (ع) وعلى ذكر فضائلهم تعتيما تاما، وافتعل من خلال وضاع الاحاديث - افتراء على النبى (ص) قداسة مكذوبة له ولبعض من مضى من الصحابة الذين قادوا حركة النفاق أو ساروا فى ركابها، وتآزروا على غضب أهل البيت (ع) حقهم الذى فرضه الله لهم، وخدّر معاوية بن أبى سفيان الائمة مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٧٣

المسلمة عن القيام والنهوض د ضدّ الظلم من خلال تاءسيس فرق ديتية تقدّم للناس تفسيرات دينية تخدم سلطة الامويين وتبرّر أعمالهم، كما فى مذهب الجبر ومذهب الارحاء وأعانه على ذلك ما بذله من جهد كبير فى تمزيق الائمة قبلينا وطبقيا، وفى اضطهاد الشيعة اضطهادا كبيرا.

ومع طول مدة حكمه، انخدع جلّ هذه الائمة بالتضليل الدينى الاموى، واعتقدوا أنّ حكم معاوية حكم شرعى، وأنّه امتداد للخلافة الاسلامية بعد رسول الله (ص)، وأنّ معاوية إمام هذه الائمة، وأنّ من ينوب عنه فى مكانه إمام لهذه الائمة وامتداد لائمتها الشرعيين!! ومن المؤسف حقّا أنّ جلّ هذه الائمة خضع خضوعا أعمى له ذا التضليل وانقادله، فلم يعد يبصر غيره، بل لم يعد يصدق أنّ الحقيقة شى آخر غير هذا!

هذا ابن زياد يخطب فى الناس فى خطبته التى خذلهم فيها عن مسلم بن عقيل (ع) فيقول فيها:

(إعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم!!). «١»

وهذا مسلم بن عمرو الباهلى يخاطب مسلم بن عقيل (ع) مفتخرا بضلاله قائلا:

(أنا ابن من عرف الحقّ إذ أنكرته!، ونصح لا مامه إذ غششته!، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت!) «٢»

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٧٤

وهذا عمرو بن الحجاج الزبيدى - من قادة الجيش الاموى فى كربلاء - صاح يحرض أهل الكوفة على الامام الحسين (ع) وأنصاره

قائلاً:

(يا أهل الكوفة، إزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تراتبوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام!) «١»

هذا في الكوفة والعراق! أما في الشام فقد كان أهل الشام يرون أنه ليس د لرسول الله (ص) قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أمية!! «٢»

وكان الحكم الاموي حريصاً كل الحرص في الحفاظ على هذا الاطار الديني الذي تلبس به عن طريق الجهد الطويل في المكر والخداع ..

ولقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الاطار الديني هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلّم به عند الائمة الاسلاميه، فتورثه مثل هذا الرجل كفيلاً بآءن تفضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الامويون، وأن تكشف هذا الحكم على حقيقته، وجاهليته، وبُعدته الكبير عن مفاهيم الاسلام، ولم يكن ه ذا الرجل إلّا الحسين (ع)، فقد كان له في قلوب الاكثريه القاطعه من المسلمين رصيد كبير من الحب والاحلال والتعظيم.

وكان معاوية منتبها لهذه الحقيقه، فكان يتحاشى أيه مواجهه علنيه مع الامام الحسين (ع)، وكان يجتهد في الحيلولة دون قيام الامام (ع) بالمراقبه الشديده والمداراه، وكان عازماً على الصفح (في الظاهر طبعاً) عن الامام (ع) إذا قام ثم ظفر به - على ما في بعض الروايات، كما سوف ياءت في متن هذا الكتاب - ذلك لان معاوية يُدرك جيداً أن سفك مثل هذا الدم المقدس حماقه كبرى تُعزى الحكم الاموي عن كل الزيف الذي تلبس به.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٥

لكن يزيد بن معاوية ارتكب هذه الحماقه الكبرى!! لا سباب عديده منها افتقاره إلى الدهاء والحنكه السياسيه اللذين كان يتمتع بهما أبوه معاوية!

وفي عاشوراء كربلاء لم يرض الجيش الاموي من الامام الحسين (ع) إلّا بالقتل، قتله وقتل أنصاره من أهل بيته وأصحابه الكرام في وضح نهار ذلك اليوم، بعد منعهم عن الماء، حتى مضوا عطاشى وفيهم حتى الطفل الرضيع!، ثم ما فعلوه بعد ذلك من رض أجسادهم بحوافر الخيل، وسبى بنات النبوه على الوجه المعروف، حاسرات بلا - غطاء ولا وطاء، ونقل رؤوس القتلى مع السبايا من كربلاء إلى الكوفة وإلى الشام ...

كل ذلك جرّد الامويين من كل صبغه دينيه وانسانيه، بل أظهرهم على حقيقتهم المضاده للدين والانسانيه. لقد كانت الرؤوس والسبايا، وأحاديث الجنود العائدين دلائل حيه، بليغه الاداء، قوّضت كل ركيه دينيه موهومه للحكم الاموي في نفوس المسلمين. ولقد زاد الامام الحسين (ع) موقف الامويين حراجة إذ لم يصّر على القتال ولم يبدأهم به، وقد أعطاهم (ع) الفرصه ليتقوا بها ارتكاب قتله وقتل آله وصحبه، ولكنهم أبوا إلّا ارتكاب قتلهم وأصروا على ذلك، فزادهم ذلك فضيحه في المسلمين.

لقد عمى الجيش الاموي في حماقته الكبرى في كربلاء يوم عاشوراء عن أنه يقا تل شخص رسول الله (ص) في شخص الحسين (ع). هذه الحقيقه التي فطن لها - في من فطن - الحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه، فتعذب بها العذاب الاكبر، حتى دفعته في يوم عاشوراء إلى اختيار الجنه على النار، فتحوّل إلى صف الامام (ع) واستشهد بين يديه!

لقد تحوّل الجيش الاموي في إصراره على قتل الامام الحسين (ع) إلى متمرد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٦

على الاسلام نفسه! وقد استغلّ الامام الحسين (ع) إصرارهم على قتله وامتناعهم عن الاستجابة لاقتراحاته استغلالاً رائعاً في احتجاجاته يوم عاشوراء، لفضحهم ولكشف عدايتهم للاسلام نفسه! فاء ظهر لكل مشاهد من ذلك الملا الكبير الحاضر على أرض الواقعة حقيقه نفاق الامويين، ثم انتشرت بعد ذلك أنباء فجاج وقائع يوم عاشوراء في كل الامة، ليتحقق بذلك هذا الافق الكبير من آفاق الفتح

الحسيني في فصل الاموية عن الاسلام.

ولو لم تكن واقعة كربلاء لكان الامويون قد وصلوا حكم الناس باسم الدين حتى يترسخ في أذهان الناس بمرور الايام والسنين أنه ليس هناك إسلام غير الاسلام الذي يتحدث به الامويون ويؤخذ عنهم!! وعلى الاسلام السلام!

لو لم تكن واقعة عاشوراً لما كان بالا مكان فصل الاسلام والاموية عن بعضهما البعض، مما يعنى أن زوال الاموية يوما ما كان سيعنى زوال الاسلام أيضاً، ولكانت جميع الانتفاضات والثورات التي قامت على الظلم الاموي تقوم حين تقوم على الاسلام نفسه! لكنّ الفتح الحسيني في عاشوراً هو الذي جعل كل هذه الانتفاضات والثورات التي قامت بعد عاشوراً إنما تقوم باسم الاسلام على الاموية! «١» وعند هذه النقطة - فصل الاموية عن الاسلام - تكون عاشوراً قد أعادت مساعي حركة النفاق - منذ وفاة النبي (ص) حتى سنة ستين للهجرة - إلى نقطة الصفر! فلو لم تكن عاشوراً لتمكّنت حركة النفاق المتمثلة بالحزب

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٧

الاموي أنتد من القضاء على الاسلام المحمدي الخالص تماما، ولما بقي منه الا عنوانه!

فأى أفق في الفتح أوضح وأكبر من أفق الحفاظ على الاسلام المحمدي الخالص د من خلال فصل الاموية بكل عواقبها عن هذا الاسلام؟!

(ب) - عاشوراً، بداية نهاية الحكم الاموي ص : ١٧٧

إشارة

: لقد أثارت واقعة عاشوراً موجة رهيبه من الانكار والرفض والقلق النفسى والشعور بالاثم، وقد سيطرت هذه الموجة على نفوس المسلمين أفراداً وجماعات، ودفعتهم إلى العمل السياسى والتكتل الاجتماعى للاطاحة بالحكم الاموي. ومنذ عاشوراً إلى سقوط الحكم الاموي حفل تاريخ الامة الاسلامية بانتفاضات وثورات، فردية وجماعية، قامت ضد الحكم الاموي، وكان لثورة الامام الحسين (ع) أثر مباشر أو غير مباشر فى كل منها. وبذلك تكون عاشوراً قد رسمت بداية نهاية الحكم الاموي. ومن الانتفاضات والثورات التي كان لثورة الامام الحسين (ع) أثرها المباشر فى اندلاعها:

١- إنتفاضة عبدالله بن عفيف الأزدي (رض) ص : ١٧٧

وقد قام هذا المؤ من المجاهد فى وجه ابن مرجانة انتصارا لا- هل البيت (ع)، وأحال نشوة ابن مرجانة بالنصر الظاهرى إلى غصية بانكسار أليم حينما ردّ عليه وعنفه منكرها عليه سوء ما فعل بذرية النبي (ص) ففضحه أمام الملا العام، وكان للمواجهة السافرة بينه وبين ابن مرجانة أثر بالغ فى كسر حاجز الخوف فى قلوب الناس، وتشجيعهم على التمرد، ويأتى ذكر هذه الانتفاضة الشجاعة فى موقعها من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٨

هذا الكتاب.

وهناك انتفاضة فردية أخرى ضبطها التاءريخ، إذ روى أن رجلا- من بكر بن وائل يقال له جابر كان حاضرا فى مجلس ابن زياد، وحينما عرف أن الرأس الذى بين يدي ابن زياد هو رأس ابن بنت رسول الله (ص) انتفض وهو يقول مخاطبا ابن زياد:

(لله على أن لأصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك ألا خرجت معهم). «١»

٢- ثورة المدينة: ص : ١٧٨

وهي من أحداث سنة ثلاث وستين للهجرة، حيث انتفض أهل المدينة فيها وأخرجوا عنها عامل يزيد بن معاوية فيها وهو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وأظهروا خلع يزيد بن معاوية، في قصة مفصّلة انتهت بوقعة الحرّة الاليمّة على يد مسلم بن عقبة المرّي الذي أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من أهلها خلقا كثيرا، ناف عدد ما أخصى منهم على الأربعة آلاف، حتّى لُقّب هذا المرّي اللعين ب (مسرف)! وكان لهذه الفاجعة أيضا أثر بالغ في تاءجيج مشاعر الناس ضدّ الحكم الامويّ.

والذي أوجج شعله هذه الثورة أسباب كان أهمّها مقتل الامام الحسين (ع) فإنّ زينب بنت علي (ع) دأبت بعد وصولها إلى المدينة على العمل للثورة، وعلى تعبئة النفوس لها وتاليب الناس على حكم يزيد، وقد تعاطم أمر نشاطها وتاءثيرها في أهل المدينة حتّى خاف والي المدينة آنذاك عمرو بن سعيد الاشدق من انفلات الامر وانتفاضه عليهم فشكاها إلى يزيد، وأتاه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ١٧٩

كتاب يزيد باءن يفرّق بينها وبين الناس. «١»

٣- ثورة التوابين ص : ١٧٩

: وكانت هذه الثورة ردّ فعل خالصا لثورة الامام الحسين (ع)، إذ لم يكن لغير ثورة الامام الحسين (ع) أثر فيها، وقد انبعثت نتيجة الشعور بالاثم والندم والحسرة على عدم نصره الامام الحسين (ع)، وقد رأى الثوّار فيها أنّه لا يغسل عارهم والاثم عنهم إلّا قتل من قتل الامام (ع) أو القتل في هذا الامر، وكان زعيم هذه الثورة سليمان بن صرد الخزاعي، وقد ابتداء الاعداد لهذه الثورة اجتماعيا وعسكريا بعد عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة، وكان هذا الاعداد سرّيا حتّى مات يزيد، فخرجوا بعد موته من السر إلى العلن، فتوجّهوا سنة خمس د وستين للهجرة إلى قبر الامام الحسين (ع)، فلما وصلوا إليه صاحوا صيحة واحدة، فما رُئي أكثر باكيا من ذلك اليوم، وكان من قولهم عند تربته:

(اللهم ارحم حسيننا الشهيد ابن الشهيد، المهديّ بن المهديّ، الصديقّ بن الصديقّ، اللهمّ إنّنا نشهدك أنّا على دينهم وسيلهم، وأعدأ قاتليهم وأولياء محبيهم، اللهمّ إنّنا خذلنا ابن بنت نبينا (ص)، فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا، وارحم حسيننا وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنّا نشهدك أنّا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. «٢»

ثمّ توجّهوا إلى الشام، والتحموا مع كتائب الجيش الامويّ في منطقة (عين الوردة) في وقعة دمويّة رهيبه هزّت نتائجها الفادحة أركان الحكم الامويّ هزا عنيفا!

(ولقد اعتبر التوابون أنّ المسؤول الاوّل والاهمّ عن قتل الحسين (ع) هو النظام وليس الاشخاص، وكانوا مصيبين في هذا الاعتقاد، ولذا نراهم توجّهوا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ١٨٠

إلى الشام، ولم يلقوا بالا إلى من في الكوفة من قتله الحسين (ع). «١»

ولقد شهد المجتمع الاسلامي في هذه الثورة ظاهرة جماعية جديدة انبعثت بعد خمود طويل، وهي ظاهرة رويّة الفداء والتضحية وطلب الموت، بعد وهن غامر تمثّل في حبّ الدنيا وكرهية الموت، هذا الوهن الذي جثم على قلب هذه الائمة نتيجة الافساد الامويّ المتعمّد.

انّ من يتاءمّل في خطب قادة ثورة التوابين يكتشف بوضوح كيف أنّ ثورة الامام الحسين (ع) كانت قد عصفت بكلّ ركاب معاني العجز والوهن والانهار والتلوّن، وأحلت محل ذلك الرغبة في الاستقامة والتحرّر والاستشهاد.

٤- ثورة المختار (ه) ص : ١٨٠

: وفي سنة ستّ وستين للهجرة ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي بالعراق طالبا ثاء الحسين (ع). وقد نال تاييدا جماهيريًا واسعاً في العراق، فقد أقبل الناس عليه وأدبروا عن ابن الزبير الذي لم يحقق لهم ما كانوا ياءملونه منه في الانتقام لمظلوميّة الحسين (ع)، والاصلاح الاجتماعيّ.

لقد أخرج ابن الزبير الامويين عن سلطانهم في العراق، لكنّ سلطانه لم يكن خيراً من سلطان الامويين بالنسبة إلى أهل العراق لانّ قتله الامام الحسين (ع) ظلّوا مقرّبين إلى سلطه بن الزبير كما كانوا في العهد الامويّ، مثل شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وعمر بن سعد، وعمر بن الحجاج، وغيرهم. كما أنّه لم يحقق لهم العدل الاجتماعيّ الذي كانوا يطلبونه، فقد كانوا يريدون سيره على أبي طالب (ع) فيهم، تلك السيرة التي كانوا لازلوا يذكرونها ويحتون إليها، في حين أنّ عبد الله بن مطيع العدوي عامل ابن الزبير على الكوفة كان يريد أن يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان، الامر الذي كانوا لا يريدونه. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨١

كان هذا سبباً في إديار الناس عن ابن الزبير، وتأييدهم لثورة المختار الذي نادى بشعار: (يا لثارات الحسين (ع)). وقد تتبع المختار قتله الامام الحسين (ع) وآله وصحبه الكرام، فقتل جلّ ه و لاء القتلة، حتّى أنّه قتل منهم في يوم واحد مائتين وثمانية وأربعين رجلاً، «١» ولم يفلت من قادتهم وزعمائهم أحد.

٥- قيام زيد بن علي ص : ١٨١

ولم يؤدّ القضاء على ثورة المختار من قبل ابن الزبير إلى خمود الروح الثوريّة عند الشيعة، فلقد قامت بعده ثورات أخرى، كثورة زيد بن علي (ر) في سنة مائة واثنين وعشرين للهجرة، وقيام ابنه يحيى بن زيد (ر) من بعده.

ولم يزل يتسع الخرق على الحكم الامويّ ويزداد ضعفاً على ضعف حتّى أطاحت جيوش أبي مسلم الخراساني بالحكم الامويّ إطاحة تامّة في سنة مائة واثنين وثلاثين للهجرة.

من كلّ ما مضى تتجسّد لنا حقيقة أنّ واقعه عاشوراً كانت بداية نهاية الحكم الامويّ، بل لنا أن نقول: إنّ عاشوراً هي التي قضت على الحكم الامويّ حيث نجحت نجاحاً تاماً في فصل الامويّة عن الاسلام!

وأما الثورات التي لم يكن لثورة الامام الحسين (ع) أثر مباشر فيها، كثورة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٢

عبد الله بن الزبير، وثورة مطرف بن المغيرة، وثورة عبدالرحمن بن محمّد بن الاشعث، فلم تخلّ من أثر غير مباشر لثورة الامام (ع) فيها، إذ إنّها استمدت الجرأة على الحكم الامويّ من جرأة قيام الامام (ع)، ولم تجد لها متنفساً للقيام إلّا بعد أن نجحت عاشوراً في فصل الامويّة عن الاسلام، ومزّقت عن الحكم الامويّ إطاره الديني الموهوم، الامر الذي مكّن مثل ه ذه الثورات أن تجد في هذه الامّة مدداً جماهيرياً لقيامها.

مقطع ما بعد عاشوراً إلى عصر الظهور: ص : ١٨٢

إشارة

وفي هذا المقطع يتجلّى لنا أفق مبين من آفاق الفتح الحسيني وهو:

الاسلام حسينى البقاء ص : ١٨٢

: قلنا فيما مرّ- تحت عنوان الشهيد الفاتح من الخصائص د الحسينية- إنّ عاشوراً قد كشفت عن وحدة وجودية لا انفكاك لها بين الاسلام المحمديّ الخالص وبين الحسين (ع)، فصارت الدعوة إلى هذا الاسلام بعد عاشوراً هي عين الدعوة إلى الحسين (ع)، وبالعكس، وصارت مواجهة الحسين (ع) ومعاداته بعد عاشوراً هي عين مواجهة هذا الاسلام ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء هذا الاسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراً الحسين (ع)، فالاسلام محمديّ الوجود حسينى البقاء.

ذلك لا ننهضة الامام الحسين (ع) في هدفها وشعارها ورسائلها وبياناتها وأخلاقياتها هي عين نهضة الاسلام المحمديّ الخالص للتحزّر من كلّ رواسب الجاهلية التي علقّت به نتيجة (السقيفة) التي مكّنت حركة النفاق من التحكم في رقاب المسلمين! ونتيجة لهذه الوحدة الوجودية بين الحقيقة الاسلامية والحقيقة الحسينية امتدت عاشوراً في الزمان فكان (كلّ يوم عاشوراً) وانتشرت كربلاء في

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٣

المكان فكانت (كلّ أرض كربلاء).

وغدت كلّ نهضة إسلامية حقّة بعد عاشوراً تجد في ثورة الحسين (ع) نبراسها وتجد نفسها إمتداداً لتلك الثورة المقدّسة. كما غدت كلّ نهضة تدعو إلى الضلال السفينائيّ تجد نفسها عدوّاً للحسين (ع) وعدوّاً للاسلام المحمديّ الخالص، وفي التاءريخ الماضي والحاضر شواهد على ه ذه الحقيقة!

وفي إطار هذه الوحدة الوجودية بين الاسلام المحمديّ الخالص وبين الحسين (ع) يتجلّى لنا سرٌّ كبيرٌ من أسرار تركيز أئمة أهل البيت (ع) على عاشوراً وعلى تثبيت دعائمها ونشر آفاقها ما وسعتهم الفرصة وتراخي عن منعهم الظرف الخانق، وذلك بتوجيه الائمة توجيهها مركزاً وشدها شداً محكماً إلى سيّد الشهداء الامام أبي عبدالله الحسين (ع)، من خلال تاء كيداتهم المتواصله على (عزاً الحسين (ع) وعلى (زيارة الحسين (ع)).

سرّ تاء كيد الائمة (ع) على عزاً الحسين (ع) وزيارته ص : ١٨٣

: إنّ العناية الفائقة التي خصّ أئمتنا (ع) بها عزاً الحسين (ع)، وتاء كيداتهم المتلاحقة على زيارة قبره المقدّس د لا يصحّ تفسيرها بلحاظ المثوبات العظيمة الموعودة عليها كعمل تعديديّ فقط- وإن كان لسان جلّ الروايات المتعلقة بهذه المسألة يقتصر على ذكر المثوبة فقط- بل لابدّ في تفسيرها من النظر أيضاً إلى الاثار الاخرى المترتبة على عزائه (ع) وعلى زيارته. «١»

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٤

ومن أهمّ تلك الاثار: الاثر التربويّ المنشود من ورأ العزأ والزيارة خاصية، ومن ورأ الشعائر الحسينية الاخرى عامية، إذ إنّ صناعة (الانسان الحسيني):

المؤ من الحرّ الابيّ البصير القاطع الصلب المتأسّى بمناقية الامام الحسين (ع) وأنصاره الكرام لاتكون إلّا في (مصنع عاشوراً). ومن تلك الاثار: الاثر السياسي والاجتماعي، والتغيّر الفكري والروحي في الائمة الناشى عن العزأ والزيارة خاصه وعن الشعائر الحسينية الاخرى عامية، خصوصاً في فترة ما بين مقتله (ع) إلى أيام الغيبة الصغرى، حيث كان العزأ والزيارة مثلاً يعينان في بعض مقاطع تلك الفترة رفض الناس للسلطات الحاكمة آنذاك، وإعلان البرأه منها، والخروج عليها والتصدي لا نواع نكالها وبطشها، إذ صار (... أهل السواد يجتمعون باعرض نينوى لزيارة قبر الحسين (ع)، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير ...) «١»

ثمّ صاروا يصرون على زيارته (ع) ويقولون:

(.. لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقى مّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا ... حتّى كثر جمعهم، وصار لهم

ويرى المتأمل في هذه الروايات الشريفة بوضوح أنّ قيام الامام المهديّ (ع) امتداد حقيقى لقيام الامام الحسين (ع)، وأنّ عاشوراً سنة إحدى وستين للهجرة كانت المعركة الاولى من معارك الامام الحسين (ع)، وإن كان قد استشهد فيها، وأنّ الفترة ما بين عاشوراً وبين الظهور فترة مليئة بمواجهات ومعارك عديدة أخذ الامام الحسين (ع) فيها بخناق جميع طواغيت تلك الفترة لا بخناق يزيد بن معاوية وحده! وأنّ العالم إنّما يشهد في عصر الظهور الفصل الاخير من قيام الامام الحسين (ع) بقيادة ابنه الامام المهديّ (ع)، الذى يقتل ذرارى قتله الامام الحسين (ع) في كلّ فترة ما بين عاشوراً والظهور لرضاهم بفعال آبائهم! وأنّ الفتح العالمى هو الحلقة الاخيرى من حلقات الفتح الحسينى في عاشوراً.

دلائل روائية ص : ١٨٧

: وإثباتاً لكلّ ما قدّمناه هنا، نتبرّك بذكر بعض هذه الروايات الشريفة على سبيل المثال لا الحصر:
صاحب الفتح العالمى من ذريّة الحسين (ع):

قال رسول الله (ص):

(ومن ذريّة هذا- وأشار إلى الحسين (ع) رجل يخرج في آخر الزمان يملا الارض د عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...). «١»
وقال الامام الحسين (ع):

(منّا اثنا عشر مهدياً، أولهم اميرالمؤمنين على بن أبى طالب، وآخرهم

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٨٨

التاسع من ولدى، وهو القائم بالحقّ، يحيى الله به الارض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدين كلّه ولو كره المشركون...). «١»
امتداد المواجهة في فصول بين أهل الحقّ وأهل الباطل:

قال الامام الصادق (ع):

(إنّا وآل أبى سفيان أهل بيتين تعادينا فى الله، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. قاتل أبوسفيان رسول الله (ص)، وقاتل معاوية على بن أبى طالب (ع)، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن على (ع)، والسفيانى يقاتل القائم (ع). «٢»

المهدى (عج) النائر للحسين (ع):

قال الامام الصادق (ع):

(لما ضرب الحسين بن علىّ (ع) بالسيف ثم ابتدر ليُقطع رأسه نادى منادٍ من قبل ربّ العزّة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال: ألا أيتها الائمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها، لا وفّقكم الله لا ضحى ولا فطر. قال: ثم قال أبو عبد الله (ع): لاجرم والله ماوقفوا ولا يوقفون أبداً حتى يقوم نائر الحسين (ع). «٣»

وقال الامام الباقر (ع):

(لما قُتل جدى الحسين (ع) ضجّت الملائكة إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيدنا، أتصفح عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فاءوحى الله عزّ وجلّ إليهم قُروا ملائكتى، فوعزّتى

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٨٩

وجلالى، لا نتقمّن منهم ولو بعد حين. ثم كشف الله عزّ وجلّ عن الائمة من ولد الحسين (ع) للملائكة، فسرتّ الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلى، فقال تعالى: بذلك القائم أنتقم منهم). «١»

القائم (عج) الطالب بدم المقتول في كربلاء:

وعن الامام الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون باءنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير)

(إنّ العامّة يقولون نزلت في رسول الله (ص) لَمّا أخرجته قريش من مكّة، وإنّما هي للقائم (ع) إذا خرج يطلب بدم الحسين (ع)، وهو قوله: نحن أولياء الدم، وطلّاب الدّية...). «٢»

خروج القائم (عج) يوم عاشوراء!:

قال الامام الباقر (ع): (يخرج القائم (ع) يوم السبت، يوم عاشوراء، يوم الذي قتل فيه الحسين (ع). «٣»
وشعارهم: (يالثارا الحسين):

قال الامام الرضا (ع): (يا بن شبيب، إن كنت باكيا لشي فابك للحسين بن عليّ ابن أبي طالب (ع) فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا مالهم في الارض شبيهون، ولقد بكت السموات السبع والارضون لقتله، ولقد نزل إلى الارض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٠

فهم عند قبره شعثٌ غبرٌ إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارا الحسين). «١»
القائم (عج) يقتل ذراري قتله الحسين (ع) لرضاهم بفعال آبائهم:

عن عبد السلام بن صالح الهرويّ قال: (قلت لا بى الحسن عليّ بن موسى الرضا (ع): يا ابن رسول الله، ما تقول في حديث روى عن الصادق (ع) أنّه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتله الحسين (ع) بفعال آبائها؟ فقال (ع): هو كذلك. فقلت: فقول الله عزّ وجلّ (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ما معناه؟ فقال:

صدق الله في جميع أقواله، لكنّ ذراري قتله الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضى شيئا كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلا قتل في المشرق فرضى بقتله رجل في المغرب لكان الراضى عند الله شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٣

الفصل الاول: الامام الحسين (ع) بعد اخيه الامام الحسن (ع) ص : ١٩٣

مكانة الامام الحسين (ع) في الامة: ص : ١٩٣

--- امتاز الحسنان (ع) بمكانتهما السامية وقد استهما الخاصّة في وجدان هذه الامة الاسلاميّة منذ عهد جدّهما الرسول الاكرم (ص) وإلى يوم تقوم الساعة.

فهما من أهل آية المبالهه وآية التطهير وآية المودّة وآية الابرار ...

وهما ريحاننا رسول الله (ص)، والامامان إن قاما وإن قعدا، وسيدا شباب أهل الجنّة، وهما السبطان، وهما ابنا رسول الله (ص). «١»
وفي البيانات النبويّة الكثير في الدعوة إلى حبّهما والتحذير من بغضهما .. وقد عرف لهما الصحابة موقعهما الخاصّ من قلب رسول الله (ص)، فعظم عند المخلصين من الصحابة قدرهما وتنافسوا في تكريمهما وتقديسهما ..

اعترض مُدرّك بن زياد على ابن عباس، وقد أمسك ابن عباس للحسن والحسين بالركاب وسوّى عليهما

قائلا: أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب!؟

فقال: يالكع، وتدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله (ص)، أوليس ممّا أنعم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٤

الله به عليّ أن أمسك لهما واءسوّى عليهما؟! «١»

وبلغ من تعظيم المسلمين وتكريمهم لهما، أنّهما لما كانا يحجّان إلى بيت الله الحرام ماشيين والنجائب تقاد بين أيديهما، يترجل كلّ راكبٍ يجتاز الطريق عليهما إكباراً لهما وتعظيماً لشاءنهما، حتّى شقّ المشى على كثير من الحجّاج، فكلموا أحد أعلام الصحابة، وطلبوا منه أن يعرض عليهما الركوب أو التنكّب عن الطريق، فعرض عليهما ذلك، فقالا: (لانركب، قد جعلنا على أنفسنا المشى إلى بيت الله الحرام على أقدامنا، ولكننا تنكّب عن الطريق). «٢»

(وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما ممّا يزدحمون عليهما للسلام عليهما ..) «٣»

ومابرح الحسنان (ع) فرقدى سماء هذه الائمة، تتطلّع إليهما قلوب المؤمنين حباً وإكباراً وتقديساً، حتّى غاب أبو محمد الحسن المجتبي عن هذه الدنيا منتقلاً إلى جوار ربّه تبارك وتعالى وجدّه (ص) وأمه وأبيه (ع) ...
وبقى الامام أبو عبد الله الحسين (ع) وحده ...

فصارت الائمة ترى فيه فضلاً عن قدسيته الخاصّة بقيّة أهل الكساء وآية التطهير وآية المودّة وآية الابرار وأهل البيت وتذكار الرسول وعلى وفاطمة والحسن صلوات الله عليهم أجمعين، فكان (أعظم الخلف ممّن مضى) كما عبّرت عن ذلك إحدى رسائل التعزية التي وصلته من الكوفة. «٤»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٥

وكان محلّه من الناس محلّ جدّه النبيّ (ص)، تجد فيه الارواح الحائرة القلقة ما تشتهي من طمأنينة وسكينة، حتّى النفوس المنحرفة عن هدى أهل البيت (ع) لم تكن تملك أمام أبي عبد الله (ع) إلّا أن تُجلّه وتظهر له فائق الاكبار وتعترف له بسمو القدر والمنزلة.
تقول الرواية: (.. أعينى الحسين (ع) فقعد فى الطريق، فجعل أبوهريرة ينفذ د التراب عن قدميه بطرف ثوبه ...
فقال الحسين (ع): يا أباهريرة، وأنت تفعل هذا!؟

قال أبوهريرة: دعنى، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم). «١»

وكان (ع) فى المدينة الشمس التى تفيض على الناس نورا وهدىً وأمنه وطمأنينة، وكان (ع) إذا خطب فى مسجد جدّه (ص) أو تحدّث إلى حضّاره انبهرت له القلوب وتسمّرت إلى محيائه الاعين، وكاءنّ على رؤوس الناس الطير.
هذا معاوية العدو اللدود يقول لرجل من قريش:

(إذا دخلت مسجد رسول الله (ص) فرأيت حلقة فيها قومٌ كاءنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله، مؤتراً على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهزبلى «٢» شئٌ «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٦

ويجتاز الامام الحسين (ع) فى مسجد جدّه رسول الله (ص) على جماعة فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص، فيسلم الامام عليهم، فيردون عليه السلام، ثمّ ينبرى عبد الله بن عمرو بن العاص فيرد السلام بصوت عالٍ، (....) ثمّ أقبل على القوم.
فقال: ألا أخبركم باءحبّ أهل الارض إلى أهل السماء؟
قالوا: بلى.

قال: هو هذا المُقفى، والله ما كلمته كلمة ولا كلمنى كلمة منذ لىالى صفين، والله لا ن يرضى عنى أحبّ إلى من أن يكون لى مثل اءحُد! (...). «١»

وكان (ع) سيّد أهل الحجاز وسيّد العرب فى دهره، وسيّد المسلمين ...

قال ابن عباس فى إحدى محاوراته مع الامام (ع): (إنّ أهل العراق قوم غدردٌ فلاتقرّبنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز ..). «٢»

وممّا قال له عبد الله بن مطيع العدو وهو يحذّره ألا يغرّه أهل الكوفة: (فالزم الحرم فإنك سيّد العرب فى دهرك هذا ..). «٣»

وكان هذا العدو يعلم أن أباعبدالله الحسين (ع) من مساكن بركة الله ووسائط فيضه، فقال للامام (ع): (إن بئرى هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أو أن ما خرج إلينا في الدلو شى من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة!! فقال له الامام (ع): (هات من مائها).

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٩٧

فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه ثم تمضمض ثم رده في البئر فاعذب وأمهى. «١»

وأقام (ع) بمكة المكرمة (فكف الناس على الحسين يقدون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حوالبه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافه يزيد، وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة، وجعل يتردد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس، ولا يمكنه أن يتحرك بشى مما في نفسه مع وجود الحسين، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ... بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لا- نه السيد الكبير، وابن بنت رسول الله (ص)، فليس على وجه الارض د يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ...). «٢»

وفي فقرات رسائل أهل الكوفة إليه ما يكشف عن مكانته (ع) في قلوبهم، كمثّل قولهم:

(إنه ليس علينا إمام، فاقبل لعلاالله أن يجمعنا بك على الهدى). «٣»

وقولهم (أما بعد: فحى هلم، فإن الناس ينتظرونك، ولا رأى لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك). «٤»

وقام يزيد بن مسعود النهشلى (ره) وهو من أشرف البصرة خطيباً في جموع بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد في البصرة، يدعوهم إلى نصره الحسين (ع)، فكان مما قاله لهم في التعريف بمكانة الامام (ع):
.. وهذا الحسين بن على، ابن بنت رسول الله (ص) ذوالشرف الاصيل،

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٩٨

والرأى الاثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الامر لسابقته وسنه وقدمته وقربته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فاءكرم به راعى رعيته، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة ..). «١»

ولم تخل قلوب بعض بنى أمية من استشعار حرمة ومكانة أبى عبدالله الحسين (ع)، ويبدو أن قلب الوليد بن عتبة والى المدينة عند موت معاوية كان من تلك القلوب، فقد قال لمروان بن الحكم الذى أشار عليه بحبس الحسين (ع) حتى يبايع أو تضرب عنقه:

(ويحك إنك أشرت على بذهاب دينى ودنياى، والله ما اءحب اءن ملك الدنيا باءسرها لى وأنتى قتلت حسينا، والله ما أظن أحدا يلقى الله بدم الحسين (ع) إلا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم). «٢»

وهذا يحيى بن الحكم أخو مروان يعترض مستكراً قتل الامام الحسين (ع) فى بلاط يزيد قائلاً:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذى الحساب الوغل

سمية امسى نسلها عددالحصى وليس لال المصطفى اليوم من نسل) «٣»

ولما استشعر المجرمون سخط الامة لقتل الامام (ع) حتى فى بيوتهم، حاولوا التهرب من مسؤ وليته قتله، وصار بعضهم يلقى بالمسؤ وليته على بعض! فهذا

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٩٩

الطبرى يروى أنه لَمّا وضع رأس الامام (ع) بين يدى يزيد، وسمعت بذلك زوجة يزيد هند بنت عبدالله بن عامر، تقنعت بثوبها فخرجت ..

(وقالت: يا اميرالمؤمنين، رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله!؟)

قال: نعم، فاعولى عليه، وحدى على ابن بنت رسول الله (ص) وصرخة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله!!!). «١»

وأراد عبيدالله بن زياد بعد قتل الامام (ع) أن ياءخذ من عمر بن سعد الكتاب الذي أمره فيه بقتل الامام (ع) .. فقال: (يا عمر! أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين!؟) قال: مضيتُ لا مرك، وضاع الكتاب.

قال: لتجسّن به!

قال: ضاع.

قال: والله لتجسّن به!

قال: تُرك والله يُقرأ على عجائز قريش إعتذارا إليهنّ بالمدينة! أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أديتُ حقه.

قال عثمان ابن زياد أخو عبيدالله: صدق، والله لوددت أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلّا وفي أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يقتل (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٠

الايخار بمقتله (ع): ص : ٢٠٠

و من أبعاد مكانته في الائمة، بعد معرفتها بآءنه سيّد الشهداء الذي يقتل مظلوما مع كوكبه من أهل بيته وأصحابه عند شاطئ الفرات في أرض كربلاء من العراق، وأنّ شفاعته النبيّ (ص) لاتنال قتله الحسين (ع)، وكانت الائمة تعرف أيضا أيّ طاغية ياءمر بقتل الامام (ع)، ومن يتولّى قيادة الجيوش التي تخرج لقتاله، وتعرف أيضا كثيرا من تفاصيل تلك الفاجعة المرتقبة!! وقد عرفت الائمة كلّ ذلك لما شاع فيها من الاخبارات الكثيرة عن رسول الله (ص) وعن علي (ع) وعن الحسين نفسه (ع) حول مصرعه ومصرع أنصاره وزمان ومكان ذلك.

فلقد نعى رسول الله (ص) سبطه الحسين (ع) منذ يوم ولادته، وأقام عليه العزاء فبكى وأبكى من حوله في مناسبات متعدّدة، وكذلك كان اميرالمؤمنين عليّ (ع) يبكي ويُبكي من معه كلّما تذكّر ما يجرى على مولانا الحسين (ع). فكان الامام الحسين (ع) الشهيد الحيّ في الائمة، تتطلّع إليه أعين المؤمنين، وقلوبهم المنشدّة إليه يعتصرها الاسى حسرة عليه وحزنا لمصابه وعظمة رزيته، ويغمر أرواحهم خشوع الاجلال والاكبار لمقام سيّد الشهداء (ع) ومقام أنصاره الذين لايسبقهم سابق ولايلحق بهم لاحق.

وقد وردت هذه الاخبارات في كتب الخاصّة والعامّة، ننتقى هنا نماذج منها:

(.. قالت أسماء: فلمّا ولدت فاطمة الحسين (ع) نفّستها به، فجاءني النبيّ فقال: هلّم ابني يا أسماء. فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن، قالت: وبكى رسول الله، ثمّ قال: إنّه سيكون لك حديث. أللهمّ العن قاتله. لاتعلمي فاطمة بذلك.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠١

قالت أسماء: فلمّا كان في يوم سابعه جاءني النبيّ فقال: هلّمى ابني. فآءتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن وعقّ عنه كما عقّ عن الحسن ... ثمّ وضعه في حجره ثمّ قال: يا أبا عبدالله، عزيزٌ عليّ، ثمّ بكى.

فقلت: باءبى أنت وأمّي، فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الاوّل فما هو؟ قال:

أبكى عليّ ابني هذا تقتله فئه باغيه كافره من بني أمية لعنهم الله، لأنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلّم الدين ويكفر بالله العظيم (...). «١»

ولمّا بلغ عمر الحسين (ع) عامين (خرج النبي إلى سفر فوقف في بعض الطريق، واسترجع ودمعت عيناه، فسُرّيل عن ذلك فقال: هذا

جبرئيل يخبرني عن أرضِ بَشَطِ الفرات يقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدى الحسين، وكاءنّي أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكاءنّي أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا، وقد أهدى راءس ولدى الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر احد إلى رأس الحسين ويفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه وعذبه الله عذابا أليما.

ثمّ رجع من سفره مغموما مهموما كئيبا حزينا، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين، وخطب ووعظ الناس، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس د الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين، وقال: اللَّهُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَهَذَانِ أَطَائِبُ عَتْرَتِي وَخِيَارُ أُرُومَتِي وَأَفْضَلُ ذُرِّيَّتِي وَمَنْ أَعْتَقَهُمَا فِي أُمَّتِي، وَقَدْ أَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ أَنَّ وَلَدِي هَذَا مَقْتُولٌ بِالسَّمِّ، وَالْآخِرُ شَهِيدٌ مُضْرَجٌ بِالْدمِ، اللَّهُمَّ فَبَارِكْ لَهُ فِي قَتْلِهِ، وَاجْعَلْهُ مِنْ سَادَاتِ الشَّهَدَاءِ، اللَّهُمَّ وَلَا تَبَارِكْ فِي قَاتِلِهِ وَخَاذِلِهِ، وَأَصْلِهِ حَرَّ نَارِكَ وَاحْشِرْهُ فِي أَسْفَلِ دَرَكِ الْجَحِيمِ.

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعيول، فقال لهم النبي: أيها الناس، أتبكونه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٢

ولا تنصرونه، اللَّهُمَّ فكن أنت له وليا وناصرا (...). «١»

(ولما اشتد برسول الله (ص) مرضه الذي مات فيه، وقد ضمّ الحسين (ع) إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يوجد بنفسه، ويقول: مالي وليزيد، لا بارك الله فيه، اللَّهُمَّ العن يزيد. ثم غشى عليه طويلا وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: أما إن لي ولقاتلك مقاما بين يدي الله عز وجل). «٢»

وعن أمّ سلمة قالت: قال رسول الله (ص): (يُقتل الحسين راءس ستين من مهاجري). «٣»

وعن عائشة أنّ رسول الله (ص) قال لها: (يا عائشة إنّ جبرئيل أخبرني أنّ ابني حسينا مقتول في أرض الطف، وأنّ أمّتي ستفتن بعدى ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم عليّ، وأبو بكر، وعمر، وحذيفة، وعمّار، وأبوذرّ، وهوبكي، فقالوا: ما بيكيك يا رسول الله؟! فقال: أخبرني جبرئيل (ع) أنّ ابني الحسين يُقتل بعدى باءرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أنّ فيها مضجعه). «٤»

وعن ابن عتيّاس قال: (كنت مع اميرالمؤمنين (ع) في خرجته إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو بَشَطُ الفرات قال باءعلا صوتته: يا ابن عتيّاس، أتعرف هذا الموضوع؟ قلت له: ما أعرفه يا اميرالمؤمنين. فقال (ع): لوعرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي بككائي. قال: فبكي طويلا حتّى اخضلت لحيته،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٣

وسالت الدموع على صدره، وبكينا معا وهو يقول: أوّه أوّه، مالي ولا ل أبي سفيان؟ مالي ولا ل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر؟! صبرا يا أبا عبد الله، فقد لقي أبو بكر مثل الذي تلقى منهم). «١»

و (روى عن أبي جعفر عن أبيه (ع) قال: مرّ عليّ (ع) بكربلاء فقال لهما مرّ به أصحابه وقد أغرورقت عيناه بيكي ويقول: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، هاهنا مراق دمائهم، طوبى لك من تربة عليها تراق دماء الاحبة.

وقال الباقر (ع): خرج عليّ يسير بالناس حتّى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتّى طاف بمكان يقال لها المقذفان، فقال: قُتل فيها مائتا نبيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم). «٢»

وعن حذيفة قال: (سمعت الحسين بن عليّ يقول: والله ليجتمعنّ على قتلى طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد. وذلك في حياة النبيّ (ص)!

فقلت: أنباءك بهذا رسول الله؟

قال: لا.

فأنت النبي فاء خبرته فقال: علمى علمه، وعلمه علمى، وإنا لنعلم بالكائن قبل كينونته). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٤

ويقول ابن عباس: (ما كنا نشكُّ، وأهل البيت متوافرون، أن الحسين بن علي يقتل بالطف). «١»

وروى عبدالله بن شريك العامري قال: (كنت أسمع أصحاب علي (ع) إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي (ع)).

وذلك قبل أن يقتل بزمان). «٢»

وروى أن عمر بن سعد قال للحسين (ع): يا أبا عبد الله، إن قَبَلْنَا ناسا سفهاء يزعمون أنني أقتلك.

فقال له الحسين (ع): إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم حلماء، أما إنّه تقرّ عيني أن لاتاء كل من برّ العراق بعدى إلّا قليلاً!). «٣»

وعُنف ابن عباس على تركه الحسين فقال: (إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً نعرفهم بآسمائهم من قبل شهودهم!!) «٤»

وقال محمد بن الحنفية: (وإن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم!!). «٥»

إن أخبار الملاحم والفتن الماء ثورة عن أهل بيت العصمة (ع) عامّة وعن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٥

رسول الله (ص) خاصّة فضلاً عن أنها تؤكّد على أن علم هؤلاء المصطفين الاخيار (ع) علمٌ لدنّي ربّانيّ كاشف عن مكانتهم الالهية الخاصية المنصوص عليها من قبل الله تعالى، تؤكّد أيضاً على مدى حرصهم الكبير على رعاية هذه الامة وإنقاذها من هلكات مدلهّمات الفتن التي أحاطت بها منذ بداية التيه في يوم السقيفة.

لقد كان رسول الله (ص) يعلم مدى الانحراف الذي سيصيب الامة من بعده ويلقى بها في متاهات تنعدم فيها القدرة على الرؤية السديدة إلّا على قلبه من ذوى البصائر، ويصعب فيها تشخيص الحق من الباطل إلّا على من تمسك بعروة الثقلين، وكان (ص) يعلم خطورة حالة الشلل النفسي والازدواجية في الشخصية التي ستتعاظم في الامة من بعده حتّى لا يكاد ينجو منها إلّا أقلّ القليل.

لذا لم يألُ جهداً في تبيان سبل الوقاية والنجاة من تلك الهلكات، ومن جملة تلك السبل سبيل إخبار الامة بملاحمها وبالفتن التي ستتعرض لها إلى قيام الساعة، فكشف لها (ص) عن كلّ الملاحم والفتن وأوضح لها مزالق وعثرات الطريق إلى أن تنقضى الدنيا، يقول حذيفة بن اليمان (ره): (.. والله ما ترك رسول الله (ص) من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا بلغ من معه ثلثمائة فصاعداً إلّا لقد سمّاها لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته). «١»

وذلك لكي لا تلتبس على الامة الامور، ولا تقع في خطاء الرؤية أو انقلابها فترى المنكر معروفاً والمعروف منكراً، إضافة إلى ما يتضمّنه بيان الملاحم للامة من دعوة إلى نصره صفّ الحق وخذلان صفّ الباطل بعد تشخيص كلّ من الصفيين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٦

وعلى هذا النهج، ولهذه الغاية أيضاً، كانت أخبار الملاحم والفتن التي وردت عن أئمّة أهل البيت (ع).

وقد اختصّ قتل الحسين (ع) بنصيب وتركيز أكبر في الاخبار الواردة عن النبي (ص) وعن اميرالمؤمنين (ع)، وذلك لعظيم حرمة الامام الحسين (ع)، ولنوع مصرعه المفجع ومصارع أنصاره، ولشدّة مصابهما بتلك الواقعة الفظيعة والرزئية العظيمة، ولا همية واقعة عاشوراً بلحاظ ما يترتب عليها من حفظ الاسلام وبقائه، ولا همية المثوبة العظيمة والمنزلة الرفيعة المترتبة على نصره الحسين (ع)، واللعة الدائمة والعقوبة الكبيرة التي تلحق من يقاتله ويخذله.

ولعلّ قرب عاشوراً الزمنى من عهد النبي (ص) وعليّ (ع) عامل أيضاً من عوامل هذا التركيز، لأن النبي (ص) ووصيّه (ع) يعلمان أن جماعة غير قليلة من الصحابة والتابعين سوف يدركون يوم عاشوراً، فالتركيز على الاخبار بمقتله (ع) ومخاطبة هؤلاء مخاطبة مباشرة

بذلك يؤثّران التاءثير البالغ في الدعوة إلى نصرته (ع)، والتحذير من الانتماء إلى صف أعدائه، مع ما في ذلك من إتمام الحجّة على هؤلاء الناس آنئذٍ.

ولذا كان رسول الله (ص) يخاطب الباكين معه لبكائه على الحسين (ع) خطابا مباشرا، فيقول لهم: (أيها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه؟! «١»)

ويخاطب عليّ (ع) البراء بن عازب قائلا: (يا براء، يُقتل ابني الحسين واءنت حتى لا تنصره). فلما قتل الحسين (ع) كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليّ بن أبي طالب، قتل الحسين ولم أنصره، ثم أظهر على ذلك الحسرة والندم. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٧

وفي المقابل فقد انتفع بهذا الاخبار جمع من أهل الصدق والاخلاص من الصحابة والتابعين، فقد روى الصحابي الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه عن النبي (ص) أنه قال: (إنّ ابني هذا- وأشار إلى الحسين - يُقتل باعرض د يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره). ولما خرج الامام الحسين (ع) إلى كربلاء خرج معه الصحابي الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه، واستشهد بين يدي الحسين (ع). «١»

ولعلّ سرّ التحوّل في موقف زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه ما كان يحفظه من قول سلمان الفارسيّ رضوان الله تعالى عليه وإخباره عن بشرى نصره الامام الحسين (ص)، يقول زهير: (ساء حدّثكم حديثا، إنّنا غزونا البحر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسيّ (ره): أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم.

فقال: إذا أدرتكم سيّد شباب آل محمّد (ص) فكونوا أشدّ فرحا بقتالكم معهم ممّا أصبتم اليوم من الغنائم). «٢»

و (قال العريان بن الهيثم: كان أبي يتبدّى «٣»، فينزل قريبا من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لانبدو إلّا وجدنا رجلا من بني أسد هناك.

فقال له أبي: أراك ملازما هذا المكان!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٨

قال: بلغني أنّ حسينا يقتل هاهنا، فاءنا أخرج إلى هذا المكان لعلّي أصادفه فاءقتل معه!!

قال ابن الهيثم: فلما قتل الحسين قال أبي: انطلقوا بنا ننظر هل الاسديّ فيمن قتل مع الحسين؟

فاءتينا المعركة، وطوّفنا، فإ ذا الاسديّ مقتول!! «١»

زوبعة اليوم الأوّل: ص : ٢٠٨

لم ينطو معاوية إلّا على الخيانة ونقض العهد من اليوم الأوّل للصّليح بل منذ أن فكّر في الصلح، وقد أعلن عن غدره في الايام الاولى بعد الصلح، ولا أوضح من قوله في خطبته الاولى بعد الصلح:

(ألا وإنّ كلّ شئ أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به!!). «٢»

وقوله:

(يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكنّي قاتلتكم لا تاءمرّ عليكم وألّى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون!، ألا إنّ كلّ دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت

قدميّ هاتين!!). «٣»

ومع أنّ معاوية لم يفّ بآبئ بندٍ من بنود المعاهدة، لكنّه لم يجد الراحة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٩

والاستقرار في نفسه والاطمئنان على مستقبل خلافة يزيد من بعده وهو يرى أبا محمّد الحسن (ع) حيا، فمكر لقتله مرارا لكنّه لم ينجح في ذلك إلّا أخيرا على يد جعدة بنت الاشعث بن قيس الكنديّ التي سمّت الامام (ع) طمعا في الزواج من يزيد بعد أن أغراها معاوية بذلك وخطّط لها المكيدة.

وانتقل الامام المظلوم أبو محمّد الحسن المجتبي إلى جوار ربّه وجدّه وأبيه وأمه بعد أن كابد مرارة السم وآلامه أربعين يوما، وكانت شهادته في السابع من صفر سنة خمسين، أوفى آخر صفر سنة تسع وأربعين للهجرة. «١» فابتدأت في ذلك اليوم إمامة سيّد الشهداء (ع) ...

وكانت زوبعة اليوم الاوّل من امامته (ع) مشكلة دفن أخيه الحسن (ع)، تلك المشكلة التي أثارها عائشة بتخطيط وتحفيز من مروان بن الحكم.

وفي قصّة هذه الزوبعة روايات كثيرة متفاوتة رواها الفريقان، ننتقى هنا هذه الرواية منها، وفيها أنّ الحسن (ع) قال لا أخيه الحسين (ع): إذا متّ فغسّلي، وحطّني، وكفّني، وصلّ عليّ، واحملي إلى قبر جدّي حتّى تُلحدني إلى جانبه، فإن مُنعت من ذلك فبحقّ جدّك رسول الله (ص) وأبيك اميرالمؤمنين وأمّيك فاطمة، وبحقّي عليك إن خاصمك أحدٌ ردّني إلى البقيع، فادفني فيه ولا تهرق فيّ محجمة دم.

فلما فرغ من أمره، وصلّى عليه، وسار بنعشه يريد قبر جدّه رسول الله (ص) ليلحده معه، بلغ ذلك مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص)، فوافى مسرعا على بغله، حتّى دخل على عائشة ...

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٠

فقال لها: يا أمّ المؤمنين، إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جدّه، ووالله لئن دفنه معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة.

فقلت له: فما أصنع يا مروان؟

قال: إلحقني وامنعني من الدخول إليه.

قالت: فكيف ألحقه؟

قال: هذا بغلي فاركبه والحقي القوم قبل الدخول.

فتزل لها عن بغله، وركبته، وأسرعت إلى القوم، وكانت أوّل امرأة ركبت السرج هي، فلحقتهم وقد صاروا إلى حرم قبر جدّهما رسول الله (ص)، فرمت بنفسها بين القبر والقوم.

وقالت: والله، لا يدفن الحسن هاهنا أو تحلق هذه وأخرجت ناصيتها بيدها.

وكان مروان لما ركبت بغله جمع من كان من بنى أميّة وحثم، فاقبل هو وأصحابه وهو يقول: ياربّ هيجاهي خير من دعيّة. أيّدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن مع رسول الله؟! والله، لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف.

و كادت الفتنة تقع!!

وعائشة تقول: والله لا يدخل داري من أكره.

فقال لها الحسين (ع): هذه دار رسول الله (ص)، وأنت حشيّة من تسع حشياتٍ خلفهنّ رسول الله (ص)، وإنّما نصيبك من الدار موضع قدميك.

فأراد بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح!

فقال الحسين (ع): الله الله، لاتفعلوا فتضيّعوا وصية أخي.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١١
 وقال لعائشة: والله، لولا أنه أوصى إليّ ألاّ أهرق فيه محجمة دم لدفنته هنا ولو رغم لذلك أنفك.
 وعدل به إلى البقيع فدفنه مع الغرباء!
 وقال عبد الله بن عباس: يا حميراً، كم لنا منك!؟ فيوم على جمل، ويوم على بغل!
 فقالت: إن شاء أن يكون يوم على جمل ويوم على بغل، والله ما يدخل الحسن داري ..). «١»
 وروى أن الامام الحسين (ع) حاج عائشة هكذا:
 (قدما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله (ص)، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله (ص) قربه وإنّ الله سائلك عن ذلك يا عائشة.

إنّ أخي أمرني أن أقرّبه من ابيه رسول الله (ص) ليحدث به عهدا، واعلمى أنّ أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتاءويل كتابه من أن يهتك على رسول الله (ص) ستره، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ إلّا أن يؤذن لكم)، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله (ص) الرجال بغير إذنه.
 وقد قال الله عزّ وجلّ: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ)، ولعمري لقد ضربت أنت لا بيك وفاروقه عند أذن رسول الله (ص) المعاول!

وقال الله عزّ وجلّ: (إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٢

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله (ص) بقربهما منه الاذى، وما رعا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله (ص)، إنّ الله حرّم على المؤمنين أمواتا ما حرّم منهم أحياء.
 وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عند أبيه صلوات الله عليهما جائزا فيما بيننا وبين الله لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك ...). «١»

وروى ابن عساكر أنّ مروان كان قد راسل معاوية باخبار الامام الحسن (ع) وما آلت إليه حالته الصحيّة عند ما ثقل عليه السّم. «٢»
 وروى أيضا أنّ معاوية بلغه ما كان قد أراد الامام الحسين (ع) في دفن أخيه الحسن (ع) إلى جوار جدّه (ص)، فقال: (ما أنصفتنا بنوهاشم حين يزعمون أنّهم يدفنون حسنا مع النبيّ (ص) وقد منعوا عثمان أن يُدفن إلّا في أقصى البقيع.
 إن يك ظنّي بمروان صادقا لا يخلصون إلى ذلك.

وجعل يقول: ويها مروان! أنت لها!) «٣»

إذن فهذا الموقف الامويّ الذي قام بتنفيذه مروان في قضية دفن الامام الحسن (ع) كان رسالة موجهة إلى الامام الحسين (ع) في وقت مبكر، هذه الرسالة تتضمّن رسم الحدود المسموح بها له والحدود الممنوعة عليه من قبل معاوية، فكاءنّ الامويين أرادوا أن يقولوا له منذ البدء: لك أن تتكلّم كما

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٣

تحبّ، وليس لك أن تقوم باءى فعل لانرضاه، وإلّا فالسيف!

نظرة الامام الحسين (ع) إلى صلح أخيه (ع) مع معاوية ص: ٢١٣

القيام عند أهل البيت (ع): ص: ٢١٣

إنّ لا- ثمة أهل البيت (ع) دورا عامًّا يشتركون جميعا في السعى إلى تحقيقه بالرغم من تفاوت الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي يمرّون بها، كمثل مسؤو وليّتهم في الحفاظ على الرسالة الاسلاميّة وتحصينها من كلّ ما يشوبها من عوائل لا إسلاميّة، ومسؤو وليّتهم في الحفاظ على الامّة ووقايتها من الاخطار التي تهدّدها، وتبيين الاحكام الشرعيّة والحقائق القرآنيّة، وإنقاذ الدولة الاسلاميّة من كلّ تحدّد كافر، وتعريف الامّة بفضل أهل البيت (ع) وأحقّيتهم بالا مر ما سنحت الفرصة واتّسع المجال، وإلى غير ذلك من مصاديق دورهم العام المشترك.

ولكلّ منهم أيضا دور خاصّ به، تحدّده طبيعته الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي يعيشها كلّ من الاسلام والامام والامّة. وقد تتشابه الادوار الخاصّة لبعضهم نتيجة تشابه تلك الظروف، كما هي الحال في الظروف التي عاشها كلّ من الباقر والصادق (ع) أو الهادي والعسكري (ع). وقد تتعارض الادوار الخاصّة لبعضهم نتيجة التباين بين تلك الظروف، كما هي الحال في مهادنة الامام الحسن (ع) مع معاوية والثورة التي قام بها الامام الحسين (ع) ضدّ يزيد بن معاوية.

ومن الدور العامّ المشترك لائمة أهل البيت (ع) أصل القيام بوجه الحاكم الظالم إذا توفّرت (العدّة) اللّازمة للقيام بكلّ أبعادها لا في بُعد العدد فقط، ويمكن استفادة هذه الحقيقة أو هذا الهدف من أهداف دورهم العام المشترك من مجموعة روايات وردت عنهم (ع)، فامير المؤمنين عليّ (ع) بعد السقيفة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٤

كان قد حرّض د البدرين من المهاجرين والانصار على القيام والثورة، فلم يدع أحدا منهم إلّا أتاه في منزله، يذكّرهم حقّه ويدعوهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلّا أربعة وأربعون، فاءمرهم أن يصبحوا بكرّة محلّقين رؤو وسهم معهم السلاح ليبيعوا على الموت، فما وافاه في الصباح منهم إلّا أربعة، ثمّ أتاهم أيضا في الليلة التالية فناشدهم فقالوا: نصبحك بكرّة، فما أتاه غير أولئك الأربعة، وكانت النتيجة نفسها أيضا في غداة اليوم التالي، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته. «١»

ولم يقل اميرالمؤمنين (ع) قوله المشهور: (.. ووالله، لا سلمنّ ما سلمتّ أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصّة ..) «٢» إلّا بعد أن ظهرت نتيجة مؤامرة الشورى واءعطيت الخلافة لعثمان، وزويت عنه للمرّة الثالثة، وهو يرى الامّة في غمرتها تغطّ في غفلة عميقة عن حقّه المغتصب، فما صبر على ما صبر إلّا لعدم توفّر عدّة القيام حتّى فيما بعد الشورى. «٣»

ويستفاد هذا الاصل أيضا من قصّة سدير الصيرفي مع الامام الصادق (ع)، التي قال له الامام (ع) في آخرها:

(والله يا سدير، لو كان لي شيعة بعدد هذه الجدا ما وسعني القعود!) «٤»

وكان عدد هذه الجدا سبعة عشر!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٥

كما يستفاد من رواية ماءمون الرقي في قصّة الصادق (ع) مع سهل بن حسن الخراساني الذي اعتذر للامام (ع) عن امتثال أمره في دخول التّور المسجور، ودخله هارون المكي (ره)، فقال (ع) للخراساني: (كم تجد بخراسان مثل هذا؟) فقال: والله ولا واحدا، فقال (ع):

(لا والله ولا واحدا، أما إنّنا لانخرج في زمان لانجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت). «١»

وكان هذا الاصل أيضا عند الامام الحسن (ع)، إذ كان أوّل ما فعله بعد اميرالمؤمنين (ع) هو مواصلة التبعية العامّة لقتال معاوية في حرب مصيريّة، ولولا الخيانات الكبرى والخذلان الخطير والوهن المتفشّي في عسكره وما أشبه ذلك من أسباب أجبرته على ترك الحرب لما آل الامر إلى صلح مع معاوية، وكان الامام الحسن (ع) قد ابتلى الناس في عزمهم على الجهاد قبل المهادنة فما وجد فيهم إلّا الخور والضعف وحبّ السلامة والدنيا، حين صعد المنبر فخطبهم قائلا:

(.. ألا- وإنّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزّ ولا نصفه، فإن أردتم الموت رددناه عليه (وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بضّبا السيوف)،

وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا).

فناداه القوم (من كل جانب): البقية! البقية! (فلما أفردوه أمضى الصلح). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٦

ولما أن شكى إليه الصحابيُّ البطل الشهيد حجر بن عدى (ره) مرارة الحال بقوله: (خرجنا من العدل ودخلنا في الجور، وتركنا الحق الذي كتبنا عليه ودخلنا في الباطل الذي كتبنا ندمه، وأعطينا الدتية ورضينا بالخسيئة، وطلب القوم أمرا وطلبنا أمرا، فرجعوا بما أحبوا مسرورين، ورجعنا بما كرهنا راغمين) أجابه الامام الحسن (ع):

(يا حجر، ليس كل الناس يحب ما أحببت، إنني قد بلوت الناس، فلو كانوا مثلك في نيتك وبصيرتك لا قدمت). «١»

الخيارات المتاحة للامام الحسن (ع): ص : ٢١٦

إشارة

لقد وقف الامام الحسن (ع) من هذه المحنة المحيرة الموقف المعصوم الذي لا يعترفه خطأ في فكر أو قول أو عمل، هذا ما يفرضه اعتقادنا الحق يا مامه مولانا أبي محمّد الحسن المجتبي (ع)، لكننا في معرض تحليل ورصد الخيارات التي كانت متاحة له (ع) يمكن أن نحددها تاريخيا كما يلي:

١ (بقاء الحالة القائمة ص : ٢١٦

: وهي حالة اللّاسلام واللّاحرب، وكان الامام (ع) يعلم أن بقاء هذه الحالة أمر غير ممكن آنذاك، وذلك لتزايد الوهن في أهل الكوفة وخذلانهم له، وكثرة الخيانات ممن حوله، ولا نّ معاوية ياءبى حالة المتاركة هذه بسبب إصراره على مدّ سلطانه على كل البلاد طوعا أو كرها. فإذن لا بدّ من حالة حرب أو حالة سلم.

٢ (حالة الحرب واحتمالاتها ص : ٢١٦

: لم يكن للامام (ع) أي أمل في نصر مؤزّر حاسم على ضوء الحالة النفسية والروحية لجيشه المكوّن من أخلاط وأهوا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٧

مختلفة وهم هامدة، كما أن الامل ضعيف جدّا في أن تنتهي الحرب مع معاوية كما انتهت صفين إلى حالة اللاحسم وذلك لأن ميزان القوى قد تغير تغيرا ملحوظا لصالح معاوية.

إذن لم يبق إلّا احتمال هو أقرب إلى اليقين منه إلى الظنّ، وهو احتمال الهزيمة المنكرة للامام (ع) والنصر الحاسم لمعاوية.

وعندها فما أن يقتل الامام (ع) وأهل بيته وأصحابه فينتهي الصفّ الاسلامي تماما، ويخسر الاسلام قاداته ومن معهم دون أيّة استفادة، ذلك لأنّ معاوية لم يبلغ به من تضليل الناس ولما يملكه من دهاء وحنكة وقدره على قلب الحقائق، كان يستطيع أن يلقى على مقتلهم ألف حجاب وحجاب.

وإما أن يؤسر الامام (ع) فيقتل ومن معه صبورا أو يمنّ عليهم معاوية ويطلقهم في ذلّ مقابلة ليوم فتح مكّة، فتكون سبّة على بني هاشم، ومنة لبني أمية عليهم، باقية إلى آخر الدهر. وقد صرح الامام (ع) بذلك حيث قال:

(فوالله، لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ على فتكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال

يمنّ بها وعقبه على الحيّ منا والميت). «١»

(٣) الصلح ص : ٢١٧

: وهذا ما اقتضت حكمة المعصوم (ع) القبول به، وإن كان قذياً في العين وشجياً في الحلق وأمر من العلقم، لا نُه الخيار الوحيد الذي يحفظ للاسلام بقاءه وبقاء رجاله، ويعزى حقيقته نفاق معاوية وجاهليته وكفره، ذلك لا نُه إذا استتب له الامر بلامنازع تخلّى عن تحفظاته وكشف تماماً عن عدائه للاسلام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٨

سلام. هذا وتجدر الاشارة هنا إلى أن الامام الحسن (ع) لم ينظر إلى الصلح على أنه نهاية القضية مع معاوية، بل كان ينظر إليه كمتاركة مؤقتة حتى ياتي الوقت المناسب للقيام ضد معاوية في حرب أخرى، فها هو يجيب حجر بن عدى الكندي بقوله: (إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو في شاءن). «١»

صدق أبو محمد (ع) ص : ٢١٨

كان الامام الحسين (ع) قد وقف من كل قرارات ومواقف الامام أبي محمد الحسن (ع) موقف الشريك المعاضد والنصير المؤازر، هذا ما تؤكده المتابعة التاريخية للعلاقة بينهما طيلة فترة إمامة الحسن (ع)، فضلا عن أن الاعتقاد الحق يا مامتهما وعصمتهما يفرض القطع بآءن كلاً منهما يصدق الاخر في القول والفعل والتقرير. وفيما يتعلّق بآءمر الصلح مع معاوية كان الامام الحسين (ع) قد أكد دعمه التام للقرار الحسني، وعبر عن اشتراكه مع أخيه في موقفه، وعن امثاله لا مره كإمام مفترض الطاعة في أكثر من مناسبة. فقد قال له عدى بن حاتم (ره): (يا أبا عبد الله، شريتم الذلّ بالعرّ، وقبلتم القليل وتركتم الكثير، آءطعنا اليوم وآءصنا الدهر، دع الحسن وما رآى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولّنى وصاحبى (يعنى عبيدة بن عمر) هذه المقدّمة، فلا يشعر ابن هند إلّا ونحن نقارعه بالسيوف).

فآءجابه الحسين (ع): (إنّا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل لنقض بيعتنا). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٩

ولمّا طلب منه حجر بن عدى (ره) مثل ذلك آءجابه الامام الحسين (ع) أيضا:

(إنّا قد بايعنا، وليس إلى ما ذكرت سبيل). «١»

كما أظهر تصديقه لاخيه في الالتزام بالمعاهدة ولوازمها عملياً في جوابه لعلّى بن محمّد بن بشير الهمداني حين ذكر له امتناع الامام الحسن (ع) من إجابته من دعاه إلى الثورة بعد الصلح قائلاً: (صدق أبو محمّد، فليكن كلّ رجل منكم حلّسا من أحلاس د بيته مادام هذا الانسان حيّاً). «٢»

وعبر (ع) عن امثاله التام لا-مر الامام الحسن (ع) في هذا الموقف لَمياً دعاهما معاوية ومن معهما من أصحاب عليّ (ع) للبيعة في الشام، وكان معهم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى، فلما أتوه دعا معاوية الحسن (ع) للبيعة فبايعه، ثمّ دعا الحسين (ع) أيضا فبايعه، فلما طلب من قيس بن سعد البيعة التفت قيس د إلى الحسين (ع) ينظر ما يآءمره، فقال الحسين (ع): (يا قيس إنّه إمامى). يعنى الحسن (ع). «٣»

ولا ينافى هذه الحقيقة ما ورد في مجموعة أخرى من النصوص أنّه (ع) كان كارها لتلك البيعة، كمثل قوله لبعض الشيعة:

(قد كان صلح، وكانت بيعة كنت لها كارها، فانتظروا مادام هذا الرجل حيّاً، فإن يهلك نظرنّا ونظرتم). «٤»

ذلك لا ن هذا الصلح كان أبغض الاختيارات أمام الامام الحسن (ع)، وقد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٠

اضطرَّ إليه اضطرارا حرسا على مصالح إسلامية كبرى، ولاشك أن رعاية هذه المصالح قد تفرض على الامام في ظروف صعبة غير مساعدة أن يقدم على أمر هو عند الامام أمر من العلقم، وأشد من السم، وأفجع من الموت.

ولا تفاوت في كراهية هذا الصلح عند الحسن والحسين (ع)، كما أن التعبير عن الكراهية لا مر لا يعنى التعبير عن عدم الرضا بفعله. ذلك لا ن الرضا بهذا الصلح بلحاظ ما يترتب عليه من نتائج مرجوة أمر آخر.

ولا- تفاوت في الرضا به أيضا عند الحسن أو الحسين أو أي إمام آخر من أئمة أهل البيت (ع)، ولقد عبّر الامام الباقر (ع) عن نظرة الرضا بهذا الصلح قائلا:

(والله، للذي صنعه الحسن بن علي (ع) كان خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس ...). (١)

ومع اعتقادنا بقاء الموقف الذي يتخذه الامام المعصوم هو الافضل في ظرفه، أي أن كلاً من صلح الحسن (ع) وقيام الحسين (ع) كان هو الافضل في ظرفه، صح لنا إذن أن نقطع بقاء إمامة الحسين (ع) لو كانت قبل إمامة الحسن (ع) لصالح معاوية كما فعل الحسن (ع) في ظرفه، ولو كانت إمامة الحسن (ع) بعد إمامة الحسين (ع) لثار الحسن (ع) كما فعل الحسين (ع) في ظرفه.

أمّا ما ورد في مجموعة أخرى من الروايات أن الامام الحسين (ع) قال لا خيه الامام الحسن (ع) حينما عزم على الصلح: (يا أخي، أعيدك بالله من هذا) (٢) اعتراضا عليه، أو أنه قال: (نشدتك الله أن تصدق أحذوثة معاوية وتكذب أحذوثة علي!). (٣) اءو (اءنشذك الله اءن تكون اءوّل من عاب

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢١

أباك وطعن عليه ورغب عن أمره!) فاءجابه الامام الحسن (ع): (إني لا أرى ما تقول، والله لئن لم تتابعني لا سندتك في الحديد، فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمرى!) (١) أو أنه (ع) قال: (أعيدك بالله أن تكذب عليا في قبره وتصدق معاوية!)، فيجيبه الامام الحسن (ع): (والله ما أردت أمرا قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فاءطينه عليك حتى أفضى أمرى!). (٢) فإن هذه الروايات كلها عامية، مردودة لا يمكن القبول بها، لا نها تعارض الاعتقاد الحق بمعنى الامامة وحقائقها والادب الرفيع الذي يتعامل به حجج الله تعالى فيما بينهم، وهي من افتعال الخيال السنّي المتأثر بالتضليل الامويّ الذي عمد إلى تشويه صورة الامام الحسن (ع) بشكل خاص ليظهره بمظهر الموادع الذي يحب السلامة والراحة والنساء والمال، وأنه لا- عزم له على حرب ولا شدة، كل ذلك ليجرده في أذهان الناس عن أهليته للخلافة. ومن المؤسف حقا أنك قد لاتجد في تواريخ العامة كتابا لم يتأثر بهذا التضليل الظالم!!

مواصلة الامام (ع) الالتزام بالهدنة ص : ٢٢١

آثر الامام (ع) مواصلة الالتزام بالهدنة، وحرص (ع) في حياة الامام الحسن (ع) على تهدئة نائرة الشيعة، وأمرهم بالصبر والترقب، وأوصاهم بالتخفي عن أعين السلطة، وبالا انتظار، وواصل السير على هذا الخط أيضا بعد شهادة الامام الحسن (ع)، فقد روى البلاذري: أنه لما توفي الحسن بن عليّ اجتمعت الشيعة، ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وأم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب، في دار سليمان بن صرد، وكتبوا إلى الحسين كتابا بالتعزية، وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٢

مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، المنتظرة لا مرك.

وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأى أهل الكوفة فيه وحبهم لقدمه وتطلعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يرضى

هدية ويُطمأن إلى قوله، ويعرف نجدته وبأهسه، فاءنصوا إليهم ما هم عليه من شن أن ابن أبي سفيان والبرأه منه، ويساءلونه الكتاب إليهم برأيه.

فكتب الحسين (ع) إليهم:

(إني لا رجو أن يكون رأي أخى رحمه الله فى المودعة ورأى فى جهاد الظلمة رشدا وسدادا، فالصقوا بالا رض، وأخفوا الشخص، وأكتموا الهوى، واحترسوا من الاضاء مادام ابن هند حيا، فإن يحدث به حدث وأنا حيا ياءتكم رأى إن شاء الله). «١» وكذلك نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السيرة أنهم قالوا: (لما مات الحسن (ع) تحركت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين (ع) فى خلع معاوية، والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهدا وعقدا لا يجوز له نقضه حتى تمضى المدّة، فأذا مات معاوية نظر فى ذلك). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٣

موقف معاوية من الامام الحسين (ع) ص : ٢٢٣

دعوى الدم المضمون فى بنى عبد مناف (وحقيقتها ص : ٢٢٣

روى ابن عساكر أن الوليد بن عتبة أغلظ للامام الحسين (ع) فى القول، فشمته الامام (ع) وأخذ بعمامته فترعها من رأسه ... فقال الوليد: إن هجنا بآبى عبد الله إلا أسدا! فقال له مروان أو بعض جلسائه: أقتله.

قال الوليد: إن ذلك لدم مضمون فى بنى عبد مناف!! «١»

لاشك أن الوليد بن عتبة وهو والى المدينة يومئذ لم ينطق عن رأيه الشخصى، بل نطق عن الرأى الرسمى للحكم الاموى الذى كان معاوية بن أبى سفيان على رأسه آتئذ. والدم المضمون فى بنى عبد مناف معناه الدم الذى يعز على القتل ولايجوز سفكه، فهل كان دم الامام الحسين (ع) كذلك فعلا فى عهد معاوية؟ وما هى حدود الحقيقة فى هذه الدعوى؟!

لقد كتب معاوية إلى واليه سعيد بن العاص على المدينة قبل الوليد بن عتبة بصدد الموقف من الامام الحسين (ع) قائلا:

(... وأنظر حسينا خاصية فلايناله منك مكروه، فإن له قرابه وحقا عظيما لاينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لاتقوى عليه ...). «٢»

إذن فمشكلة معاوية فى موقفه من الامام الحسين (ع) هى فى قرابه الامام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٤

الحسين (ع) الخاصية من رسول الله (ص)، إنه ابن فاطمة الزهراء (س)، وهذه الصلة الخاصية قد فرضت له (ع) حقا عظيما على كل مسلم ومسلمة، وقد عرفت الامة كلها هذا الحق العظيم فهى لاتنكره.

من هنا فإن أية مواجهة عليية بين النظام الاموى وبين الامام (ع) لاتكون فى مصلحة هذا النظام الحريص على التظاهر بالزى الدينى.

لكن هذا الموقف الاموى فى عدم مس الامام (ع) بمكروه هو محدد غير مطلق، ويلتزم به الحكم الاموى فى حال عدم قيام الامام (ع) ضد هذا الحكم، وقد صرح الوليد بن عتبة للامام الحسين (ع) بحدود الموقف الاموى الرسمى منه حينما عنفه الامام (ع) على منعه أهل العراق من اللقاء به، فقال الوليد يخاطب الامام (ع):

(ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلاتخطر بها فتخطر بك ...). «١»

أى لك أن تقول ما شئت وكما تحبّ مادمت لم تقم ضدنا ولم تخرج علينا، وأما إذا تحركت عملياً ضدنا وخرجت علينا فلا غفران ولا أمان، ولا يكون بيننا وبينك عندها إلا السيف والقتل. هذا هو الخطّ الأحمر المرسوم للدم المضمون في بنى عبدمناف! وعليه ألا يتجاوز حَتَّى لا يطاله القتل فيسفك كاءى دم آخر غير مضمون!

هذا هو الموقف الامويّ الرسمي بحدوده وأبعاده سافرا في تصريح الوليد بن عتبة، ولقد بلغ الامويون الامام الحسين (ع) بهذا الموقف وأشعروه بهذه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٥

الحدود أيضا قبل ذلك في زوبعة اليوم الاوّل من إمامته (ع) في المواجهة التي أثاروها لمنع دفن الامام الحسن (ع) قرب جدّه (ص). إذن فدم الامام الحسين (ع) دم مضمون في بنى عبدمناف عند الحكم الامويّ ما لم يخرج الامام (ع) على هذا الحكم، وهو دم مضمون لا عن إيمان بحقّه العظيم وقداسته، بل لأنّ سفك هذا الدم المقدّس يمزق الاطار الديني الذي يتشبّث به الحكم الامويّ. وظلّ معاوية مدّة بقيته حياته يهتمّ بامر الامام الحسين (ع) اهتماما فائقا، ويحسب له حسابا خاصا، في موازنه دقيقه بين عدم التحرش به وتحاشي إثارته وبين مراقبته ليل نهار مراقبه دقيقه متواصله للحيلولة دون خروج فكرة القيام والثورة عند الامام (ع) من مكنون التيه إلى حيز التطبيق والتنفيذ العملي، خشيه من مواجهه الخيارات الحرجه التي يسببها لمعاوية قيام الامام (ع) في حال تمكنه من تنفيذ هذا القيام عمليا.

الرقابه المشدده على الامام (ع) ص : ٢٢٥

ولذا فلانعجب إذا شدّد معاوية الرقابه على الامام (ع)، ورصد عليه الصغيره والكبيره من سكناته وحركاته في حياته الخاصه والعامه، وفي حله وترحاله.

وكان معاوية يتعمّد تحسيس الامام (ع) وإشعاره بهذه المراقبه، وإعلامه بآن الصغيره والكبيره من مجريات حياته مرفوعه إليه آنا فآنا بلا انقطاع بواسطة جواسيسه، لعلّ ذلك ينفع في ردع الامام (ع) عن الفكرة بالخروج والقيام!! والامثله على هذه الحقيقه كثيره، ننتقى منها هذا المثل الدال على أنّ معاوية كان قد رصد على الامام حتّى شؤ ونه الخاصه في منزله، يقول التاءريخ: (وكان لمعاوية بن أبي سفيان عين بالمدينه يكتب إليه بما يكون من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٦

أمر الناس وقريش، فكتب إليه: أنّ الحسين بن علي أعتق جاريه له وتزوجها، فكتب معاوية إلى الحسين:

من اميرالمؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي:

أمّا بعد: فإنّه بلغني أنّك تزوّجت جاريته، وتركت أكفاءك من قريش، ممّن تستنجه للولد، وتمجّد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت، ولا لولدك انتقت.

فكتب إليه الحسين بن علي (ع):

(أمّا بعد: فقد بلغني كتابك، وتعبيرك إزياء بآئي تزوّجت مولاتي، وتركت أكفائي من قريش، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف، ولا غاية في نسب، وإنّما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بامر التمسث فيه ثواب الله تعالى، ثم ارتجعتها على سيّئه نيّه (ص)، وقد رفع الله بالا سلام الخسيسه، ووضع عنا به النقيصه، فلا لوم على امري مسلم إلّا في أمر ماء ثم، وإنّما اللوم لوم الجاهليه).

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد، فقرأه وقال: لشدّا فخر عليك الحسين! قال: لا، ولكنّها السنه بنى هاشم الحداد التي تفلق الصخر،

وتعرف من البحر! «١»

ولاريب أن الامام (ع) وإن اقتصر في رده على معاوية بالاحتجاج عليه فيما يتعلّق بموضوع هذه الجارية، إلّا أنّه قد أدرك مراد معاوية الخفيّ من وراء هذه الرسالة، وهو أنّي على علم بكلّ ما تفعله حتّى شئ ونك الخاصّة في داخل منزلك! فمبالك بعلاقتك الاجتماعية وشؤ ونك السياسيّة العامّة؟! فاحذر

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٧

ولاتتجاوز تربصك بنا إلى القيام بفعلٍ لا تكون عاقبته إلّا وقوع السيف بيننا!

لقد كانت الموازنة دقيقة وحساسة جدّاً في المتاركة القائمة بين الامام الحسين (ع) وبين معاوية، لكنّ بعض الامويين ممّن كانت قلوبهم تغلى بنار الحقد على أهل البيت (ع)، وليس لهم دهاء معاوية، كانوا يستعجلون معاوية في تقاريرهم التي يبعثونها بالاخذ على يد الامام (ع) أخذاً شديداً أو التخلّص منه قبل أن تستفحل الامور وتستعصى معالجتها على بنى أمية!

وأشدّ هؤلاء الامويين حقداً على أهل البيت (ع)، وأكثرهم عجلة وخرقا، كان مروان بن الحكم الذي كانت تقاريره تتوالى على معاوية، وتشعّ بالا ندفاع والاستعجال، فقد كتب إلى معاوية ذات مرّة (يعلمه أنّ رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن عليّ (ع)، وهم مقيمون عنده، يختلفون إليه، فاكتب إليّ بالذي ترى). «١»

وقال البلاذري: (وكان رجال من أهل العراق وأشرف أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين يجلّونه ويعظّمونه، ويذكرون فضله، ويدعونه إلى أنفسهم، ويقولون إنّنا لك عضدٌ ويدٌ، ليتخذوا الوسيلة إليه، وهم لا يشكّون في أنّ معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحداً. فليّا كثر إختلافهم إليه أتى عمرو بن عثمان بن عفّان مروان بن الحكم وهو إذ ذاك عامل معاوية على المدينة فقال له: قد كثر اختلاف الناس إلى حسين، واللّه إنّني لا رى أنّ لكم منه يوماً عصيباً.

فكتب مروان ذلك إلى معاوية (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٨

وكتب إليه أيضاً: (إنّي لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة، وأظنّ يومكم من حسين طويلاً!). «١»

لكنّ معاوية الذي كان يرى أنّ من مصلحته أن يبقى الامام الحسين (ع) ملتزماً بالهدنة ولو ظاهراً، لم يكن ليرغب في الخروج عن حال المتاركة مع الامام (ع)، فكان يردّ مروان عن تجاوز هذه المتاركة، وباء مره بالصبر وينهاه عن الخرق والعجلة، فقد كتب إليه:

(اترك حسينا ما تركك ولم يظهر لك عداوته ويبدّ صفحته، واكمن عنه كمون الثرى إن شاء الله، والسلام). «٢»

ومع هذا فإنّ مروان الذي كان أشدّ ولاءاً للمدينة الامويين على أهل البيت (ع) لم يكن ليطلق وجود الامام الحسين (ع) في المدينة وهو يرى التفاف الامية حوله وانشادها إليه، فاقترح على معاوية إبعاد الامام عن المدينة وفرض الإقامة الجبرية عليه في الشام، لينقطع بذلك اتصاله بأهل العراق، لكنّ معاوية رفض هذا الاقتراح أيضاً، وردّ عليه قائلاً:

(أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرت عليه صبرت على ما أكره، وإن أساءت إليه قطعته رحمه). «٣»

وفوق الرقابة المشددة على الامام (ع) كان بعض ولاءة المدينة الامويين يتدخلون عملياً فيمنعون وفود الامّة من لقاء الامام (ع) خوفاً من تطوّر الامور عملياً لصالح الامام (ع)، فقد روى البلاذري عن العتبي أنّ الوليد بن عتبة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٩

حجب أهل العراق عن الامام الحسين (ع).

فقال الحسين (ع): يا ظالماً لنفسه، عاصياً لرّبّه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمك؟!

فقال الوليد: ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلاتخطر بها فتخطر بك، ولو علمت ما يكون بعدنا لا حبيتنا كما أبغضتنا!!!). «١»

وإضافة إلى ما قدّمناه قبل ذلك في أنّ تصريح الوليد هذا كاشف عن حقيقة ما يعنيه الحكم الامويّ في دعوى (الدم المضمون)، نلفت

هنا الانتباه إلى أن قول الوليد (ولو علمت ما يكون بعدنا لا حبيتنا كما أبغضتنا) ربما كان إشارة إلى أن هذه المتاركة الموزونة بيننا وبينك سوف لن تتحقق في غير عهد معاوية، وأن يزيد الذي سيخلف أباه شخصية أخرى، لا ترى في التعامل معك غير الشدة والصرامة، وسوف تضيق عليك الأرض بما رحبت، وعندها إذا التفتت إلى ورأ ستذكر أيامنا وعفونا وسماحتنا!! فكاءته يمن على الامام (ع) بهذه المتاركة الموزونة التي هي في نفعهم هم أولاً وأساساً!!

الخط العام في رسائل معاوية إلى الامام (ع) ص : ٢٢٩

لعل أول ما يلفت انتباه المتأمل في رسائل معاوية إلى الامام الحسين (ع) هو المكر الظاهر في الموازنة بين الترغيب والترهيب، ولاتكاد تخلو واحدة من رسائل معاوية إلى الامام (ع) من النهج المتوازن بين الترغيب والترهيب. وهذه الظاهرة إنعكاس واضح لما يتبناه معاوية من مبدأ الحفاظ على حالة مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٢٣٠

المتاركة مع الامام (ع)، وهذه الرسائل نفسها برهان على تبني معاوية هذا المبدأ أيضاً. ولنتق هنا أمثلة من هذه الرسائل ...

(كان مالٌ حُمِلَ من اليمن إلى معاوية، فلما مرَّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي (ع) فاءخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه، وكتب إلى معاوية:

(من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد: فإن عيرا مرّت بنا من اليمن تحمل مالا وحلالا وعنبرا وطيبا إليك، لتودعها خزائن دمشق وتعلُّ بها بعد النهل بنى أبيك، وإني احتجت إليها فاءخذتها، والسلام).

فكتب إليه معاوية:

(من عند عبدالله معاوية أميرالمؤمنين إلى الحسين بن علي سلام عليك ...

أما بعد: فإن كتابك ورد عليّ تذكر أنّ عيرا مرّت بك من اليمن تحمل مالا وحلالا وعنبرا وطيبا إليّ، لا ودعها خزائن دمشق، وأعلُّ بها بعد النهل بنى أبي، وأنك احتجت إليها فاءخذتها.

ولم تكن جديرا بآخذها إذ نسبتها إليّ، لا- نّ الوالي أحقّ بالمال ثم عليه المخرج منه، وأيم الله لو تركت ذلك حتى صار إليّ لم أبخسك حظك منه، ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة، وبودى أن يكون ذلك في زمانى فاءعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكنني والله أتخوّف أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٢٣١

ولا يخفى أنّ معاوية في هذه الرسالة مع إظهاره المسامحة والتجاوز كان قد هدّد الامام (ع) بمن يأتى بعده، يعنى يزيد.

كما كتب إليه نتيجة التقارير الكثيرة التي كانت تبعث بها عينونه إليه عن حركة الامة وحركة الامام (ع):

(أمّا بعد: فقد انتهت إليّ أمور أرغب بك عنها، فإن كانت حقاً لم أقارّك عليها، ولعمري) إنّ من أعطى الله صفقةً يمينه وعهده لجدير بالوفاء. (وإن كانت باطلا، فاءنت أسعد الناس بذلك، وبحظّ نفسك تبدأ، وبعهد الله تفي، فلاتحملني على قطيعتك والاساءة بك، فإنني متى أنكرت تنكرني، وإنك) متى تكذبتني أكدك. وقد ائبئت اءنّ قوماً من اءهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، (فإتق شقّ عصا هذه الامة، وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة). وأهل العراق من قد جرّبت، قد أفسدوا على أبيك وأخيك، (وقد جرّبت الناس وبلوتهم، وأبوك كان أفضل منك، وقد كان اجتمع عليه رأى الذين يلوذون بك، ولاأظنه يصلح لك منهم ما كان فسد عليه).

فاتق الله، واذكر الميثاق، وانظر لنفسك ودينك، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون). «١»

فكتب إليه الامام (ع) جوابا على رسالته هذه كان بمثابة الصاعقة التي نزلت على رأس معاوية الذي ارتبك وتاءثر بشدة من حدتها إلى درجة أن كان يشكو إلى مقرّبيه من قوة جواب الامام (ع)، وقد أوردت كتب التاريخ والتراث ه ذا الجواب كاملا، وسنورده في محله من هذا الكتاب.

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٣٢

لماذا لم يثر الامام الحسين (ع) على معاوية؟! ص : ٢٣٢

كان رأى أهل بيت العصمة (ع) هو رفض أن يكون معاوية حاكما ولو لمدة سواد ليلة واحدة رفضا تاما، ولم يساوم اميرالمؤمنين على (ع) على هذا المبدأ قيد أنملة، ورفض كل نصيحة تدعو إلى المداهنة في ذلك، وخاض حرب صفين الطاحنة لتحقيق هذا الرفض، ثم لم يتزعزع عن هذا الرأى حتى قتل (ع).

وواصل الامام الحسن (ع) الاصرار على هذا الرأى، ولم ياءل جهدا في الاعداد لتحقيق ذلك، لكن نكد الدهر وانقلاب الامور اضطره في الختام إلى القبول بآءمّ اختيار، وحسبك من أمرين أحلاهما مراً؛ فسلم الامر إلى معاوية مؤجلا الحرب ضده إلى يوم آخر قد يأتى به مستقبل الأيام (فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو فى شاءن) «١»، وانطوى على ذلك حتى مضى شهيدا (ع).

فمؤغات الثورة على معاوية ودواعيها كانت قائمة وموجودة منذ أول يوم من أيام ولايته على الشام، لكن دواعى الثورة عليه ودوافعها تكاثرت وتعاضمت بعد شهادة الامام الحسن (ع)، وكان الامام الحسين (ع) يعلم ذلك ويشخص أبعاده، ويصرّح به لثقاقته، بل وقد صرّح به لمعاوية نفسه فى الكتب والمحاوارات التي كانت بينهما، ومن هذه التصريحات على سبيل المثال:

(وهيئات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السُّرُج، ولقد فضّلت حتى أفرطت، واستاءت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، وما بذلت لذي حق من أتمّ حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الاوفر، ونصيبه الاكمل ...). «٢»

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٣٣

ومما خاطبه به فى رسالته اخرى:

(... وقلت فيما قلت: لا تردّ هذه الائمة فى فتنه، وإنى لأعلم لها فتنه أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولا مة محمّد، وإنى والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعّل فأنه قربه إلى ربّى وإن لم أفعله فاءستغفرالله لدينى وأساءله التوفيق لما يحبّ ويرضى ...). «١»

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه على مجرى البحث وهو: لماذا لم يثر ولم يقم الامام الحسين (ع) على معاوية أيام إمامته مع توافر جميع الدواعى والدوافع للقيام بالثورة؟!

وفى الاجابة عن هذا السؤال لا بدّ فى البدء من تحديد الهدف المنشود من الثورة، فما هو هدف الامام الحسين (ع) من الثورة على معاوية؟

لاشك أن هدفه (ع) هو ذات الهدف الذى أعلن عنه فى قيامه ضدّ يزيد بن معاوية، وهو طلب الاصلاح فى أمة جدّه (ص) بالا مر بالمعروف والنهى عن المنكر بما يتضمّن ذلك من إزالة الحكومة الفاسدة وإقامة الحكومة الحقّة، من خلال قيام الائمة مع الامام (ع) لتحقيق نصر حاسم يتوفّر فى ظلّه هذا الهدف.

او تعريض الائمة لصدمة مروّعة فى الوجدان وصعقة كبرى فى الضمير من خلال ملحمة بطوليّة وفاجعة ماءساوية تنتهى بمقتله (ع)

ومقتل أنصاره من أهل بيته وصحبه الأبرار الذين هم صفوة أختيار هذه الامة، في إطار عمل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٤

إعلامي وتبليغي كبير ناجح يتكشف نتيجة له كل الزيف الذي تستر به معاوية، وتراجع كل خطط وآثار حركة النفاق الحاكمة منذ يوم السقيفة إلى نقطة الصفر، ويعود الاسلام المحمدي الخالص خالصا من كل شائبة، وتحرر الامة روحيا ونفسيا من كل آثار التضليل والافساد الذي تعرضت له بعد غياب النبي الاكرم محمد (ص) وتتمزق الغشاوة عن بصيرتها فتعرف الحق وأهله وتنهج على هدى نوره.

فهل كان يا مكان الامام الحسين (ع) أن يحقق أحد هذين الاختيارين في زمن معاوية؟

أما الاختيار الاول، وهو طريق الانتصار العسكري الحاسم على معاوية، فكان لا بد فيه من تعبئة شطر من الامة كافٍ على الاقل لتحمل تبعات ومقتضيات حرب طاحنة حتى النصر، فهل كانت الامة آتخذ تنطوي على مثل هذا الاستعداد الكبير نفسيا وعمليا؟! لنقرأ هذا المقطع الذي يصور فيه صاحب كتاب (ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية) حال الامة آنئذ، يقول: (لقد كانت حروب الجمل وصفين والنهروان، والحروب الخاطفة التي نشبت بين القطع السورية وبين مراكز الحدود في العراق والحجاز واليمن بعد التحكيم قد ولدت عند أصحاب الامام (ع) حنينا إلى السلم والموادعة، فقد مرت عليهم خمس سنين وهم لا يضعون سلاحهم من حرب إلما ليشهروه في حرب أخرى، وكانوا لا يحاربون جماعات غريبة عنهم، وإنما يحاربون عشائهم وإخوانهم بالا مس، ومن عرفهم وعرفوه ... وما نشك في أن هذا الشعور الذي بدأ يظهر بوضوح في آخر عهد علي (ع) إثر إحساسهم بالهزيمة أمام مروغة خصمهم في يوم التحكيم أفاد خصوم الامام من زعماء القبائل ومن إليهم ممن إكتشفوا أن سياسته لا يمكن أن تلبى مطامحهم التي تؤججها سياسة معاوية في المال والولايات، فحاولوا إذكاء هذا الشعور والتاء كيد عليه، وقد ساعد على تاءثير هو لاء الزعماء ونفوذهم في أوساط المجتمع الروح القبليّة التي استفحلت

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٥

في عهد عثمان بعد أن أطلقت من عقالها بعد وفاة النبي (ص)، فإنّ الانسان ذا الروح القبليّة عالمه قبيلته، فهو يفعل بانفعالاتها، ويطمح إلى ما تطمح إليه، ويعادى من تعادى، وينظر إلى الامور من الزاوية التي تنظر منها القبيلة، وذلك لا نه يخضع للقيم التي تخضع لها. وتتركز مشاعر القبيلة كلّها في رئيسها، فالرئيس في المجتمع القبلي هو المهيمن والموجه للقبيلة كلّها ... وقد عبر الناس عن رغبتهم في الدعة وكراهيتهم للقتال بتناقلهم عن الخروج لحرب الفرق السورية التي كانت تغير على الحجاز واليمن وحدود العراق، وتناقلهم عن الاستجابة للامام (ع) حين دعاهم للخروج ثانية إلى صفين.

فلما استشهد الامام علي (ع) وبويع الحسن (ع) بالخلافة برزت هذه الظاهرة على أشدها، وبخاصية حين دعاهم الحسن (ع) للتجهز لحرب الشام، حيث كانت الاستجابة بطيئة جدا. وبالرغم من أن الامام الحسن (ع) قد استطاع بعد ذلك أن يجهز لحرب معاوية جيشا ضخما إلا أنه كان جيشا كتبت عليه الهزيمة قبل أن يلاقى العدو بسبب التيارات المتعددة التي كانت تتجاذبه، فقد: (خفّ معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعه له ولا يبه، وبعضهم محكمه أي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وأصحاب عصبيّة اتبعوا رؤساء قبائلهم). وقد كان رؤساء القبائل هو لاء قد باعوا أنفسهم من معاوية الذي كتب إلى كثير منهم يغريهم بالتخلي عن الحسن (ع) والالتحاق به، وأكثر أصحاب الحسن (ع) لم يستطيعوا مقاومة هذا الاغراء، فكاتبوا معاوية واعدن باءن يسلموا الحسن (ع) حيا أو ميتا. وحين خطبهم الامام الحسن (ع) ليختر مدى إخلاصهم وثباتهم هتفوا به من كلّ جانب: البقية، البقية، بينما هاجمته طائفة منهم تريد قتله، هذا في الوقت الذي أخذ الزعماء يتسللون تحت جنح الليل إلى معاوية بعشائهم!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٦

ولما رأى الامام الحسن (ع) أمام هذا الواقع السيء أن الظروف النفسية والاجتماعية في مجتمع العراق جعلت هذا المجتمع عاجزا عن النهوض بتبعات القتال وانتزاع النصر، ورأى أن الحرب ستكونه استئصال المخلصين من أتباعه بينما يتمتع معاوية بنصر حاسم، حينئذ جرح إلى الصلح بشروط منها ألا يعهد معاوية لا حد من بعده، وأن يكون الامر للحسن (ع)، وأن يترك الناس ويؤمنوا... ولقد كان هذا هو الطريق الوحيد الذي يستطيع الحسن (ع) أن يسلكه باعتباره صاحب رسالة قد اكتنفته هذه الظروف المؤسفة...» (١)

تري هل بقيت الامة في العراق خاصة على هذه الحال بعد ذلك، أم أنها قد تغيرت نحو الاحسن إلى درجة أن صار بالا مكان أن يعتمد عليها الامام الحسن (ع) في حياته أو الامام الحسين (ع) بعده في تعبئة عامة لحرب طاحنة حتى النصر الحاسم على معاوية؟! صحيح أن الناس الذين كرهوا الحرب لطول معاناتهم منها، ورغبة منهم في الدنيا والسلامة والدعة، وطاعة لرغبات زعماء قبائلهم، كانوا قد اكتشفوا بعد مدة مدى الخطاء الذي وقعوا فيه بضعفهم عن القيام بتبعات القتال وخذلان الامام (ع)، بعد ما عرفوا طبيعة حكم معاوية وذاقوا طعم واقعيته، وما يقوم به من اضطهاد وإرهاب، وتجويع وحرمان، ومطاردة مستمرة، وحقن للحريات واستهزاء بالشرعية واستخفاف بالقيم، وإنقاص من أعطياتهم ليزاد في أعطيات أهل الشام، وحمل معاوية إياهم على محاربة الخوارج، الامر الذي لم يُبح لهم أن ينعموا بالسلم الذي كانوا يحنون إليه والدعة التي يتمنونها... فندموا على ما فرطوا في جنب أهل البيت (ع)، (وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام عليّ فيحزنون عليها، ويندمون على ما كان من تفریطهم في جنب خليفتهم ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٧

وبين أهل الشام، وجعلوا كلما لقي بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان، وأجالوا الرأي فيما يمكن أن يكون، ولم تكدمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفتد إلى المدينة للقاء الحسن (ع)، والقول له والاستماع منه...» (١)

وصحيح أن كثيرا من الناس، وعامة أهل العراق بنوع خاص، صاروا يرون بغض د بني أمية وحب أهل البيت (ع) دينا لهم، نتيجة ظلم معاوية وجوره وبعده عن الاسلام، لكن هذه العاطفة لم تستطع أن تخترق حاجز الازدواجية في الشخصية عند أكثر هؤلاء، بل ظلت تعشعش في إطارها في باطن الشخصية الراض لا- ل أمية ولحكمهم خلافا لظاهر الشخصية المطيع لكل أوامرهم، فهم في ازدواج الشخصية كما وصفهم اميرالمؤمنين عليّ (ع) في ظل ظلم بني أمية حيث قال:

(والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما إلا استحلوه، ولا عقدا إلا حلوه ...

وحتى يقوم الباكبان يبكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لديناه، وحتى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه...» (٢)

فالوصف العام للائمة آتذ هو أن جُلها خاضع لا رادة الحكم الاموي طائع لا مره، سواء الذين عمى على بصيرتهم تحت تاءثير التضليل الاموي، فتوهموا أن الاسلام متمثل بحكم معاوية، أو ضعاف النفوس الذين قادهم حب الدنيا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٨

فباعوا دينهم بدنيا غيرهم، أو الذين عرفوا الحق وأهله فاءحبوهم في الباطن وتنكروا لهم في الظاهر خوفا من الارهاب الاموي، وفي القليل المتبقى كثير ممن يمنعه الشلل النفسى عن نصره الحق والالتحاق بركبه مع معرفته باهل الحق (ع)!

هذا الوصف العام ظل منطبقا على هذه الامة حتى بعد موت معاوية!! إذن فالامة لم تتاهل لكي يعتمد عليها الامام الحسين (ع) في التخطيط لحرب طاحنة تقصر أو تطول حتى النصر الحاسم على معاوية، وشواهد هذه الحقيقة في الوصف العام للائمة كثيرة جدا مرن بنا بعضها في المدخل.

بقي الاختيار الثاني المتاح أمام الامام الحسين (ع) في الثورة على معاوية، وهو تعريض الامة لصدمة مروعة في وجدانها وصعقة كبرى يهتر لها ضميرها، من خلال ملحمة بطولية ماءساوية تنتهى بمصرعه ومصرع أنصاره، مقرونة بعمل إعلامى وتبليغى كبير ينجح في

كشف الزيف الاموي، وينهي الاثار العمليّة الناشئة عنه.

وهذا الاختيار الذي كُتب له النجاح التام أيام حكم يزيد، كان محكوما عليه بالفشل التام في حياة معاوية، وسرّ ذلك يكمن في شخصيّة معاوية، وأسلوبه الخاص في معالجة الامور، فإنّ معاوية لم يكن من الجهل بالسياسة بالمثابة التي يُتيح فيها للحسين (ع) أن يقوم بثورة مدوية، بل الراجح أنّه كان من الحصافة بحيث يُدرك أن جهر الحسين (ع) بالثورة عليه وتحريضه الناس على ذلك كفيل بزجه في حروب تعكّر عليه بهاء النصر الذي حازه بعد صلح الحسن (ع)، إن لم يكن كافيا لتفويت ثمره هذا النصر عليه، لأنّه عارف ولا ريب بما للحسين (ع) من منزلة في قلوب المسلمين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٩

وأقرب الظنون في الاسلوب الذي يتبعه معاوية في القضاء على ثورة الحسين (ع) لوثار في عهده هو أنّه كان يتخلّص منه بالسّم قبل أن يتمكن الحسين (ع) من الثورة، وقبل أن يكون لها ذلك الدوي الذي يموج الحياة الاسلاميّة التي يرغب معاوية في بقائها هادئة ساكنة. والذي يجعل هذا الظنّ قريبا ما نعرفه من أسلوب معاوية في القضاء على من يخشى منافستهم له في السلطان، أو تعكير صفو السلطان عليه، فإنّ الطريقة المثاليّة عنده في التخلّص منهم هي القضاء عليهم باقل ما يمكن من الضجيج. ولقد مارس معاوية هذا الاسلوب في القضاء على الحسن بن عليّ (ع)، وسعد بن أبي وقاص، ومارسه في القضاء على الاشر لما توجّه إلى مصر، ومارسه في القضاء على عبدالرحمن بن خالد بن الوليد لما رأى افتتاح أهل الشام به. وقد أوجز هو أسلوبه هذا في كلمته الماء ثورة (إنّ لله جنودا من العسل). والذي يرتفع بهذا الظنّ إلى مرتبة الاطمئنان ما نعلمه من أنّ معاوية كان قد وضع الارصاد والعيون على الحسين (ع) وعلى غيره ممن يخشاهم على سلطانه، وأنّهم كانوا يكتبون إليه بما يفعل هو لاء، ولا يغفلون عن إعلامه بايسر الامور وأبعدها عن إثارة الشك والريبة)، «١» كمثل ما كتبوا إليه في أمر جاريه كان الحسين (ع) قد أعتقها ثم تزوّجها. «٢»

(فلو تحفّز الحسين (ع) للثورة في عهد معاوية، ثمّ قضى عليه بهذه الميته التي يفضلها معاوية لا عدائه، فماذا كانت تكون جدوى فعله هذا الذي لم يخرج عن حدود الفكرة إلى أن يكون واقعا يحياه الناس بدمائهم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٠

وأعصابهم، وما كان يعود على المجتمع الاسلامي من موته وقد قضى كما يقضى سائر الناس بهدوء وبلا ضجيج؟ إنّه لن يكون حينذاك سوى علويّ مات حتف أنفه، يثير موته الاسي في قلوب أهله ومحبيه وشيعه أبيه إلى حين ثمّ يطوى النسيان ذكره كما يطوى جميع الذكريات). «١»

وقد صرّح معاوية للامام (ع) بهذا التهديد بقوله: (... فإنّك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكذني أكدك، فاتق شقّ عصا هذه الامّة (...). «٢»

ولو قُدّر للامام (ع) أن يخترق حصار جواسيس وعيون معاوية، ويقوم بالثورة عمليا، فيخرج مع صفوة أنصاره في جيش قليل العدد والعدد، ويتّجه إلى العراق مثلا، فهل كان سينجح في صنع ملحمة بطوليّة ماء ساوية يهتزلها ضمير الامّة كما صنع ذلك بالفعل أيام يزيد؟

وهل كان العمل الاعلامي والتبليغي المطلوب في مثل هكذا نهضة أن ينجح في عهد معاوية كما نجح بالفعل في زمن يزيد؟ لا شك أنّ معاوية في مثل هذا الفرض سيواجه ماء زقا عمليا صعبا، لكنّ معاوية من الدهاء والخبرة في معالجة الم آرق بما يمكنه من استيعاب هذا الماء زق المحرج، والمتوقّع أنّه سيحاصر جيش الامام الصغير، وسيحرص على سلامة الامام (ع) وسلامة بني هاشم خاصه، ويعفو عنهم بطريقة فتيه مقرونة بعمل إعلامي كبير، تكون نتيجته سقوط الامام (ع) في عين الامّة وتجريده من قداسه الدينيّة، وقد يحجزه ومن معه بعد ذلك في الشام في إقامة جبريّة لاتنتهي إلّا بموته الذي قد يكون بالسّم أيضا ... ويخرج معاوية من هذا الماء زق في النهاية بمظهر من عفا بعد المقدرة، وقابل الاساءة بالا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤١

حسان، والقطيعة بالصلة، فيكسب قلوب الناس د ويزدادون حباً له ويزداد هو شاءنا وعظمةً، وعندها لا يتحقق للامام الحسين (ع) ما كان يؤمله في هذا التحرك من أثر إيجابي فضلاً عن ما سيلحقه من آثار سلبية بسبب دهاء معاوية.

ولقد صرح معاوية للامام (ع) بهذا النهج حين كتب إليه على أثر قضية الاموال المحمولة إليه التي أخذها الامام (ع) قائلاً: (ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة، وبودى أن يكون ذلك في زمانى فاء عرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكنني والله أتخوف أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة). «١»

ولا يبعد أن معاوية يتمنى لو يوفق لمثل موقف العفو هذا، فيطلق أسارى بنى هاشم في منة يقابل بها منة الرسول (ص) على الطلقاء في مكة، فيكونون سواً في حلبة المفاخرة، وهذا ما كان يحذره الامام الحسن (ع) كما مر بنا، ولا شك أن هذا الامر لم يكن ليغيب عن بال الامام الحسين (ع) أيضاً.

وعلى فرض أن معاوية لوثار عليه الامام (ع) قد يضطر إلى قتل الامام (ع) ومن معه من أنصاره، فإن في مسحة الدين التي كان معاوية يحرص على إسباغها على سلوكه وسائر تصرفاته أمام العامة وفي صفة الشرعية التي أفلح في أن يسبغها على منصبه لدى جانب كبير من الرأي العام الاسلامي ما يمكنه من إطفاء وهج مصارع هؤلاء الثوار، وإثارة الناس عليهم لا لهم، ذلك (لان الجواب الذي كان سيقدمه معاوية وأعوانه للناس حين يتساءلون عما حمل الحسين (ع) على الثورة، أو يجيب به الناس أنفسهم، هو أن الحسين طالب ملك! ولو قتل الحسين في سبيل ما توهمه الناس هدفاً من ثورته لما أثار قتله استنكاراً، ولما عاد قتله بشى على مبادئه ودوافعه الحقيقية للثورة، بل ربما

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٢

عده فريق من الناس مستحقاً للقتل! ولن يجدى الحسين (ع) وأنصاره أن يعلنوا للناس أن ثورتهم لحماية الدين من تحريف وتزييف معاوية وإنقاذ الامية من ظلمه، فلن يصدقهم الناس لأنهم لا يرون على الدين من باءس، ولم يحدث معاوية في الدين حدثاً ولم يجاهر بمنكر، بل سيرى الناس أن مقالتهم هذه ستار يخفى مقاصدهم الحقيقية). «١»

وعلى كل الفروض، فإن معاوية كان سيستثمر في سبيل تشويه ثورة الحسين (ع) لو ثار في عهده قضية الميثاق الذي كان نتيجة صلح الحسن (ع) مع معاوية، فلقد عرف عامة الناس أن الحسن والحسين (ع) قد سلما الامر إلى معاوية وعاهداه على السكوت عنه، فلو ثار الامام (ع) لا يمكن معاوية أن يصوره بصورة الخائن الناقض لبيعته وميثاقه الذي أعطاه!

ولا يضرب معاوية هنا أنه كان قد نقض العهد قبل ذلك ولم يف بشرط من شروطه، ولم يعرف له حرمة ولم يحمل نفسه مؤونة الوفاء به ...

كما لا يغير في النتيجة شيئاً هنا أيضاً سواء أكان الحسن والحسين (ع) بايعا أو لم يبايعا معاوية بل سلما له الامر تسليمياً مشروطاً. «٢» ذلك لان وسائل معاوية الاعلامية المهيمنة على أذهان عامة الناس هي الغالبة والمؤثرة في ميدان التبليغ والدعاية، وباستطاعتها التضليل تماماً على الرأي العام فيما تطرحه من إدانة دنيئة لقيام الامام (ع). ثم إن نفس المجتمع الذي لم يكن أهلاً للقيام بالثورة، والذي كان يؤثر السلامة والعافية، كان يرى أن الامام (ع) قد بايع وعاهد، سواء كما هو الواقع أو كما أشاع الاعلام الاموي

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٣

فيه، فهو يرى أن على الامام (ع) أن يفى بالعهد وألا ينقض البيعة. ص: ٢٤٣

إذن فخصيصة معاوية بما انطوت عليه من دهاء وحيلة ومكر وغدر وطول ممارسة وتجربة في العمل السياسي الاجتماعي كانت العامل الاهم إن لم تكن العامل الوحيد الذي اضطر الامام (ع) إلى عدم القيام ضده.

ومن هنا نفهم سرَّ حصر السبب بوجود معاوية في الاجوبة التي أفاد بها الامام (ع) ردّاً على مطالب بعض شيعته بالنهضة والقيام، كمثل: (ليكن كل رجل منكم جلسا من أحلاس بيته مادام معاوية حياً ... فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ... «١» أو (... فالصقوا بالا رض، واخفوا الشخص، واكنموا الهوى ... مادام ابن هند حياً) «٢» أو (... مادام هذا الانسان «٣» حياً).

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٥

الفصل الثاني: المعالم العامة لنهج الامام الحسين (ع) في عهد معاوية ص : ٢٤٥

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٧

الفصل الثاني: المعالم العامة لنهج الامام الحسين (ع) في عهد معاوية

ضمن إطار موقفه العام في رعاية حالة الهدنة مع معاوية وعدم القيام ضده في الظروف الراهنة آنذاك، كان الامام الحسين (ع) يقوم بمهامه في حياة الامة الاسلامية كما مام لها من قبل الله تبارك وتعالى. ومن مهامه ما كان في إطار الدور العام المشترك لجميع أئمة أهل البيت (ع)، ومنها ما كان في إطار دوره الخاص الذي حدّته طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط به وبالإسلام وبالإمامة الاسلامية. ويمكننا أن نتصور المعالم العامة لنهجه صلوات الله عليه في عهد معاوية كما يلي:

الدعوة إلى الحق والدفاع عنه: ص : ٢٤٧

إشارة

في خضم تيار التضليل الاموي الديني والسياسي المهيمن على الرأي العام الاسلامي كان الامام الحسين (ع) يصارع هذا التيار ويحاول اختراقه في تبين الحق والدعوة إليه والدفاع عنه، وكشف الضلال وزيفه عن ذهنية الامة يا يضح الحجة والدلالة على المحجة البيضاء، وبالإلا- مر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الامة وتربيتها من خلال حلقات الوعظ والارشاد التي كان يقوم بها في المدينة ومكة، وكان الناس في حلقة الامام الحسين (ع) كائن على رؤ وسهم الطير كما وصف ذلك معاوية نفسه، وذلك لسمو مكانته، وعنايته

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٨

الناس الفائقة بحديثه، ولقوة انشدادهم إليه، ولا ن حديثه الحق الفصل الذي (ليس فيه من الهزبلى شى) على حدّ تعبير معاوية. ويمكننا أن نلاحظ هذا الخط في الدعوة إلى الحق والدفاع عنه في المجالات التالية:

التعريف بمكانة أهل البيت (ع) وفضلهم ومعرفتهم: ص : ٢٤٨

وننتقى في هذا المجال النماذج التالية:

قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين (ع)، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإن فيه حصراً أوفى لسانه كلاله.

فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس د وفضحنا. فلم يزالوا به حتى قال للحسين (ع): يا أبا عبد الله، لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين (ع) المنبر، فحمد لله وأثنى عليه، وصلى على النبي (ص)، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين (ع):

(نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله (ص) الاقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله (ص) ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شىء، لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا فى تفسيره، لا يطينا تاءويله، بل نتبع حقائقه، فاءطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل:

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول)، وقال: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبتغى الشيطان إلا قليلا). واءحذركم الاصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنّه لكم عدو مبین، فتكونوا كاءولياؤه الذين قال لهم: (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جاز لكم، مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٤٩

فلما ترات الفتان نكص على عقبيه وقال إنى برى منكم)، فتلقون بالسيوف ضربا، وللمزاح وردا، وللعمد حطما، وللسهام غرضا، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا.)
قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله، قد بلغت. «١»

وقال الامام الحسين (ع) ذات مرّة فى مجلس معاوية:
(أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الناقب والشرف الفائق والقديم السابق، أنا ابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن.

ثم رد وجهه للخصم فقال:

هل لك أب كاءبى، أو قديم كقديمى؟ فإن قلت: لا، تغلب، وإن قلت: نعم.
تكدّب.

فقال الخصم: لا، تصديقا لقولك. فقال الحسين (ع):

الحق أبلج، لا يزيغ سبيله، والحق يعرفه ذوو الالباب. «٢»

وعن الباقر (ع)، عن أبيه (ع) أنه قال: (صار جماعة من الناس بعد الحسن إلى الحسين (ع)، فقالوا: يا ابن رسول الله، ما عندك من عجائب أبيك التى كان يريناها؟
فقال (ع): هل تعرفون أبى؟
قالوا: كلنا نعرفه.

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٥٠

فرفع له سترًا كان على باب بيت، ثم قال: (أنظروا فى البيت).

فنظروا فقالوا: هذا اميرالمؤمنين، ونشهد أنك خليفه الله حقا. «١»

وفى رواية أخرى: سئل الحسين بن على (ع) بعد مضى اميرالمؤمنين فقال لا صحابه: (أعرفون اميرالمؤمنين (ع) إذا رأيتموه؟
قالوا: نعم.

قال: (فارفعوا هذا الستر).

فرفعوه، فاذاهم به لا يئنكرونه.

فقال لهم على (ع): (إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبقى من بقى منا حجة عليكم). «٢»

وساءله حبيب بن مظاهر الاسدى (ر) قائلا: أى شىء كنتم قبل أن يخلق الله عز وجل آدم (ع)؟

فقال الامام الحسين (ع): (كنا أشباح نورٍ ندور حول عرش الرحمن، فعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد). «٣»

وعن عقيصا وهو أبوسعيد دينار قال:

سمعت الحسين (ع) يقول: (من أحبنا نفعه الله بحبنا وإن كان أسيراً في الديلم، وإن حبنا ليساقط الذنوب كما تساقط الريح الورق). «٤»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥١
وعن اسماعيل بن عبدالله قال:

قال الحسين بن عليّ (ع): (لما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) ساءلت رسول الله (ص) عن تاء ويلها.

فقال: والله ما عنى غيركم، وأنتم أولوا الارحام، فأذا مت فاء بوك عليّ أولى بي وبمكاني، فأذا مضى أبوك فاء حوك الحسن أولى به، فأذا مضى الحسن فاءت أولى به.
قلت، يا رسول الله، فمن بعدى أولى بي؟

قال: إبتك عليّ أولى بك من بعدك، فأذا مضى فابنه محمّد أولى به من بعده، فأذا مضى محمّد فابنه جعفر أولى به وبمكانه من بعده، فأذا مضى جعفر فابنه موسى أولى به من بعده، فأذا مضى موسى فابنه عليّ أولى به من بعده، فأذا مضى عليّ فابنه محمّد أولى به من بعده، فأذا مضى محمّد فابنه عليّ أولى به من بعده، فأذا مضى الحسن أولى به من بعده، فأذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك، فهذه الائمة تسعة من صلبك، أعطاهم علمي وفهمي، طينتهم من طينتي، ما لقوم يؤذونني فيهم، لأنالهم الله شفاعتي). «١»

وعن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع): يا أبا عبدالله، حدثني عن قول الله عزّ وجلّ (هذان خصمان اختصموا في ربهم).

قال: (نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عزّ وجلّ، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة) «٢»
وعن أبي جعفر (ع) قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٢
قال الحارث بن عبدالله الاعور للحسين بن عليّ (ع): يا ابن رسول الله، جعلت فداك، أخبرني عن قول الله في كتابه: (والشمس وضحيها). قال: (ويحك يا حارث، ذلك محمّد رسول الله (ص)).
قال: قلت: جعلت فداك، وقوله: (والقمر إذا تليها).
قال: (ذاك اميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع)، يتلو محمّدا (ص)).
قال: قلت: (والنهار إذا جليها).

قال: (ذلك القائم (ع) من آل محمّد (ص)، يملا الارض عدلاً وقسطاً) «١» (والليل إذا يغشيها) بنو أمية). «٢»
وقيل مرّ المنذر بن الجاورد بالحسين (ع) فقال: كيف أصبحت جعلني الله فداك يا ابن رسول الله؟
فقال (ع): (أصبحنا وأصبحت العرب تعتدّ على العجم بآء محمّدا (ص) منها، وأصبحت العجم مقرّة لها بذلك، أصبحنا وأصبحت قريش يعرفون فضلنا ولا يرون ذلك لنا، ومن البلاء على هذه الامة أننا إذا دعوناهم لم يجيبونا، وإذا تركناهم لم يهتدوا بغيرنا). «٣»
وفي رواية أخرى أنه اجتاز به وقد اء غضب، فقال (ع): (ماندرى ما تنقم الناس منّا، إنّا لبيت الرحمة، وشجرة النبوة، ومعدن العلم). «٤»
وكان في خُلُقهِ العظيم دعوة مفتوحةً للآقبال على الحقّ وتعريف راع

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٣
باءهل الحقّ (ع).

فقد روى عن عصام بن المصطلق أنه قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن عليّ (ع)، فاءعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدرى لا بيه من البغض.

فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال (ع): (نعم).

فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطفٍ رؤوفٍ.

ثم قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وإما ينزغَنَّكَ من الشيطان نَزْغًا فاستعذ بالله إنَّه سميعٌ عليم، إنَّ الذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مبصرون، وإخوانهم يمدُّونهم في الغيِّ ثمَّ لا يقصرون).

ثم قال (ع) لي: (خفِّضْ عليك، أستغفر الله لي ولك، إنَّك لو استعنتنا لا عنَّاك ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لا رشدناك). قال عصام فتوسَّم منِّي الندم على ما فرط منِّي.

فقال (ع): (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. من أهل الشام أنت؟)

قلت: نعم.

فقال (ع): (سِنَّشْنُهُ أعرَفها من أخزم. «١» حيانا الله وإياك، انبسط إلينا في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٤

حوائجك وما يعرض لك، تجدني عند أفضل ظنِّك إن شاء الله تعالى).

قال عصام: فضاقت عليَّ الارض بما رحبت، ووددت لو ساخت بي، ثم سللت منه لو اذا وما على الارض أحبَّ اليَّ منه ومن أبيه. «١»

وعن عبدالله بن عمر قال:

سمعت الحسين بن عليَّ (ع) يقول: (لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوّل الله عزَّ وجلَّ ذلك اليوم حتَّى يخرج رجل من ولدي،

فيملاها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، كذلك سمعت رسول الله (ص) يقول). «٢»

وعن عبدالرحمن بن سليط قال:

قال الحسين بن عليَّ بن أبي طالب (ع): (منا إثنا عشر مهديًا، أولهم اميرالمؤمنين عليَّ بن أبي طالب (ع)، وآخرهم التاسع من ولدي،

وهو القائم بالحق، يحيى الله به الارض بعد موتها، ويُظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبه يرتدُّ فيها أقوام

ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤدُّون ويقال لهم: (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)؟، أما إن الصابر في غيبته على الاذى

والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله (ص). «٣»

ومرَّ الحسين (ع) على حلقة من بنى أمية وهم جلوس في مسجد الرسول (ص).

فقال (ع): (أما والله لا تذهب الدنيا حتَّى يبعث الله منِّي رجلا يقتل منكم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٥

ألفا، ومع الالف ألفا ومع الالف ألفا).

فقال له عبيدالله بن شريك: جعلت فداك، إنَّ هؤلأ أولاد كذا وكذا، لا يبلغون هذا.

فقال (ع): (ويحك، في ذلك الزمان يكون الرجل من صلبه كذا وكذا رجلا، وإنَّ مولى القوم من أنفسهم). «١»

وقال رجلٌ للحسين (ع): يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم.

قال (ع): (إتق الله، ولا تدع عين شيئا يقول الله تعالى لك كذبت وفجرت في دعواك. إنَّ شيعتنا من سلمت قلوبهم من كلِّ غشٍّ وغلٍّ

ودغلٍّ، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم). «٢»

وعن يزيد بن رويان قال: دخل نافع بن الازرق المسجد الحرام، والحسين بن عليَّ (ع) مع عبدالله بن عباس جالسان في الحجر، فجلس

إليهما.

ثم قال: يا ابن عباس، صف لي الهك الذي تعبد.

فأطرق ابن عباس طويلاً مستبطاً بقوله.

فقال له الحسين (ع): (إني يا ابن الازرق المتورط في الضلالة، المرتكن في الجهالة، أجيبك عما ساءت عنه).

فقال: ما إياك ساءت فتجيبني.

فقال له ابن عباس: مه! عن ابن رسول الله، فإنّه من أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٦

فقال له: صف لي.

فقال (ع): (أصفه بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتزق، وبعيد غير

مقص، يُوحّد ولا يتبعّض، لا إله إلا هو الكبير المتعال).

قال فبكى ابن الازرق بكاء شديداً!

فقال له الحسين (ع): (ما يبكيك؟)

قال: بكيت من حسن وصفك.

قال (ع): (يا ابن الازرق، إني أخبرت أنّك تكفّر أباي وأخى وتكفّرني).

قال له نافع: لئن قلت ذاك لقد كنتم الحكّام ومعالم الاسلام، فلما بدّلتكم استبدلنا بكم.

فقال له الحسين (ع): (يا ابن الازرق، أساء لك عن مسألي، فاءجبن عن قول الله لا إله إلا هو: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في

المدينة وكان تحته كنز لهما) إلى قوله (كترهما)، من حفظ فيهما؟).

قال: أبوهما.

قال (ع): (فأيّهما أفضل أبوهما أم رسول الله (ص) وفاطمة؟).

قال: لا، بل رسول الله وفاطمة بنت رسول الله (ص).

قال (ع): (فما حفظنا حتى حال بيننا وبين الكفر).

فنهض ابن الازرق، ثمّ نفّض ثوبه، ثمّ قال: قد نبأنا الله عنكم معشر قريش

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٧

أنتم قوم خصمون). «١»

وعن أبي عبد الله (ع) قال:

(خرج الحسين بن عليّ (ع) على أصحابه فقال: (أيها الناس، إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه في ذا عرفوه عبوده، في ذا عبوده

استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه).

فقال له رجل: يا ابن رسول الله، باءبى أنت وأمي، فما معرفة الله؟

قال: (معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته). «٢»

وروى عبدالعزيز بن كثير: أنّ قوما أتوا إلى الحسين (ع).

وقالوا: حدّثنا بفضائلكم!

قال (ع): (لا تطيقون، وانحازوا عني لا شير إلى بعضكم، فإن أطاق ساء حدّثكم).

فتباعدوا عنه، فكان يتكلّم مع أحدهم حتى دهش وولّه وجعل يهيم ولا يجيب أحداً، وانصرفوا عنه. «٣»

ومن الامثلة على ذلك ما رواه سليم بن قيس (ره)، قال:

(فلما مات الحسن بن عليّ (ع) لم تزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدان، فلم يبق وليّ لله إلا خائفا على دمه (وفي رواية أخرى: إلا خائفا على دمه أنه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٨

مقتول) وإلّا طريدا وإلّا شريدا، ولم يبق عدو لله إلا مظهرا حجّته غير مستترٍ ببدعته وضلالته، فلما كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر معه، فجمع الحسين (ع) بنى هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم من الانصار ممن يعرفه الحسين (ع) وأهل بيته، ثم أرسل رسلا: لاتدعوا أحدا ممن حجّ العام من أصحاب رسول الله (ص) المعروفين بالصلاح والنسك إلا أجمعهم لي، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامتهم من التابعين ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ (ص)، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

(أما بعد: فإنّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أساء لكم عن شيء، فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذبوني، وأسأ لكم بحقّ الله عليكم وحقّ رسول الله (ص) وقرايتي من نبيكم لما سيّرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمتهم من الناس (وفي رواية أخرى بعد قوله فكذبوني: اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن أمتهم من الناس) ووثقتهم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا، فإنّي أتخوّف أن يدرس هذا الامر ويذهب الحقّ ويُغلب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون).

وما ترك شيئا ممّا أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسّره، ولا شيئا ممّا قاله رسول الله (ص) في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه.

وكلّ ذلك يقول أصحابه: أللّهمّ نعم، وقد سمعنا وشهدنا.

ويقول التابعي: أللّهمّ قد حدّثني به من أصدقه وأتّمه من الصحابة.

فقال: أنشدكم الله إلا حدّثتم به من تثقون به وبدينه.

(قال سليم): فكان فيما ناشدهم الحسين (ع) وذكّركم أن قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٩

(أنشدكم الله، أتعلمون أنّ عليّ بن أبي طالب كان أخا رسول الله (ص) حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والاخرة؟)

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: (أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ رسول الله (ص) اشترى موضع مسجده ومنازله، فابتناه ثم ابتنى فيه عشرة منازل، تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لا بي، ثم سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه، فتكلّم في ذلك من تكلم، فقال: ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت بابه، ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره، وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله (ص) فولد لرسول الله (ص) وله فيه أولاد؟)

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: (أفتعلمون أنّ عمر بن الخطّاب حرص على كورة قدر عينه يدعها في منزله إلى المسجد فاءبى عليه، ثم خطب فقال: إنّ الله أمرني أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيري وغير أخي وبنيه؟)

قالوا: أللّهمّ نعم.

قال: (أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص) نصبه يوم غدیر خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص) قال له في غزوة تبوك:
أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وأنت ولي كل مؤ من بعدي؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٠

قال: (أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله (ص) حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به وبصاحبه وابنيه؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أنشدكم الله، أتعلمون أنه دفع إليه اللوأ يوم خيبر، ثم قال: لأدفعه إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كزار غير فزار،
يفتحها الله على يديه؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله بعثه ببراءة، وقال: لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) لم تنزل به شدة قط إلا ما قدمه لها ثقة به، وأنه لم يدعه باسمه قط إلا يقول: يا أخي، وادعوا لي
أخي؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) قضى بينه وبين جعفر وزيد، فقال: يا علي، أنت مني وأنا منك، وأنت ولي كل مؤ من بعدي؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أنه كانت له من رسول الله (ص) كل يوم خلوة وكل ليلة دخلة، إذا ساء له أعطاه، وإذا سكت أبداه؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) فضله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمة (س): زوجتك خير أهل بيتي، أفدمهم سلماً، وأعظمهم
حلماً، وأكثرهم علماً؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦١

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) قال: أنا سيد ولد بني آدم، وأخي علي سيد العرب، وفاطمة سيده نساء أهل الجنة، والحسن
والحسين إبنائ سيد شباب أهل الجنة؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) أمره بغسله، وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) قال: في آخر خطبة خطبها: إنني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن
تضلوا؟)
قالوا: أَللّهُمَّ نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب (ع) خاصة وفي أهل بيته من القرآن، ولا على لسان نبيه (ص) إلا ناشدهم فيه.

فيقول الصحابة: أَللَّهُمَّ نعم، قد سمعنا.

ويقول التابع: أَللَّهُمَّ قد حدّثني من أثق به، فلان وفلان.

ثمّ ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: (من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب، ليس د يحبّني ويبغض عليّاً. فقال له قائل: يا رسول الله، كيف ذلك؟

قال: لا ته متّى وأنا منه، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض د الله). فقالوا: أَللَّهُمَّ نعم، قد سمعنا.

وتفرّقوا على ذلك ... «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٢

وفي هذه الرواية دلالة بليغة على شدّة وشمول الحصار الاعلامي والتعظيم الذي فرضه الحكم الاموي على البيان النبوي المتعلّق بفضائل أهل البيت (ع)، وتقادم الايام على هذا الحصار والتعظيم المتواصل، الامر الذي اضطرّ الامام الحسين (ع) إلى عقد مثل هذا الاجتماع والمحفل الكبير ليذكر بقيّة الصلحاء من الصحابة والاخيار من التابعين بفضائل أهل البيت (ع). وكاءّه يذكر باء مر يكاد يُنسى، ويُنفّس د عن حقيقة تكاد تموت إختناقاً من شدّة الحصار وطول مدّته!

هاهو (ع) يقول: (فإني أتخوّف أن يُدرس هذا الامر ويذهب الحقّ ويُغلب...!)

وهاهو (ع) يدعو إلى اختراق هذا الحصار فيقول لبقية الصحابة والتابعين:

(وأساء لكم بحقّ الله عليكم وحقّ رسول الله (ص) وقرابتي من نبيكم لما سيرتم مقامى هذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمتهم من الناس ووثقتهم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا ... أنشدكم الله إلّا حدّثتم به من تثقون به وبدينه).

كما أنّ في هذه الرواية دلالة بليغة على المجهود العظيم الذي كان يبذله الامام الحسين (ع) لاختراق ذلك الحصار والتعظيم، وعلى الصعوبة الكبيرة التي كان يواجهها في هذا السبيل، ذلك لأنّ أثر هذا الحصار والتعظيم بلغ أشدّه في زمانه (ع)، فلم يكن على هذه الشدّة في زمن الحسن (ع) ولا في زمن أمير المؤمنين (ع).

احتجاجه (ع) على العلماء ودعوتهم إلى نصره الحقّ: ص : ٢٦٢

ومن كلام له (ع) في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يخاطب به أهل العلم من الصحابة خاصيّة والتابعين عاميّة، يحتجّ عليهم فيه ويدعوهم إلى نصره الحقّ وإتخاذ الموقف المشرف اللائق باهل العلم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٣

قال (ع): (اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الاحبار إذ يقول (لولا ينهاهم الربّانيون والاحبار عن قولهم الا-ثم) وقال: (لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل إلى قوله لبئس ما كانوا يفعلون)، وإنّما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهاهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة ممّا يحذرون، والله يقول: (فلا تخشوا الناس واخشون) وقال: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ياءمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بائنّها إذا اءديت واءقيمت استقامت الفرائض كلّها، هيّنها وصعبها، وذلك أنّ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم وقسمه الفى والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها.

ثم أنتم أيتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وباللّه في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الاكابر، أليس كلّ ذلك إنّما نلتموه بما يُرجى عندكم من القيام بحقّ اللّه، وإن كنتم عن أكثر حقّه تُقَصِّرون، فاستخففتكم بحقّ الائمة، فاء ما حقّ الضعفاء فضيغتم، وأما حقّكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالا بذلتموه ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات اللّه، أنتم تتمنون على اللّه جنّته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه!

لقد خشيت عليكم أيّها المتمنون على اللّه أن تحلّ بكم نعمة من نعماته لا تكفم بلغتم من كرامته اللّه منزلة فضّلتكم بها، ومن يعرف باللّه لا تُكْرِمون، وأنتم باللّه في عبادته تُكْرِمون، وقد ترون عهود اللّه منقوضة فلا تفرعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفرعون، وذمة رسول اللّه (ص) محقورة، والعمى والبكم والزمن في المدائن مهملة، لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تُعينون، وبالا دهان والمصانعة عند الظلمة تاء منون، كلّ ذلك ممّا أمركم اللّه به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، ذلك بقاء مجارى الامور والاحكام على أيدي العلماء باللّه، الامناء على حاله وحرامه، فاءنتم

مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٤

المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلّا بتفرّقكم عن الحقّ، واختلافكم في السنّة بعد البيّنة الواضحة، ولو صبرتم على الاذى وتحملتكم المؤنة في ذات اللّه كانت أمور اللّه عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم أمور اللّه في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيروا في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فاءسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بقاء هو أهم اقتداً بالا- شرار وجرأة على الجيّار، في كلّ بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالارض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطه، والناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس، فمن بين جبار عنيد، وذى سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدىء المعيد.

فيا عجبا، وما لى لأعجب، والارض من غاش غشوم ومتصدّق ظلوم وعامل على المؤمن بهم غير رحيم، فاللّه الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضى بحكمه فيما شجر بيننا.

اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان ممّا تنافسا في سلطان ولا- التماسا من فضول الحطام، ولكن لُتري المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، وياء من المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك.

فإنكم إلّا تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا اللّه وعليه توكلنا وإليه المصير). (١)

مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٥

إحتجاجاته (ع) على معاوية وبنى أمية ص : ٢٦٥

لم يمنع التزام الامام (ع) بالهدنة والمتاركة من إعلانه المتواصل عن اعتراضه على منكرات معاوية وعلى نقضه شروط الهدنة، واحتجاجه المتواصل عليه وعلى ولاته في انحرافهم عن الاسلام وظلمهم الامّة.

ومن أشمل احتجاجات الامام (ع) على معاوية ذلك الكتاب الذى بعث به إليه جوابا لكتاب دعا معاوية فيه الامام (ع) إلى رعاية الهدنة، وحذّره فيه من مغبة الفتنة وشقّ عصا الامّة بزعمه.

وهذا نصّ جوابه (ع): (... أما بعد: فقد بلغنى كتابك، تذكر أنّه قد بلغك عنى أمور أنت لى عنها راغب، وأنا لغيرها عندك جدير، فإ

ن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدّد إليها إلّا الله.

وأما ما ذكرت أنّه انتهى إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاہ إليك الملقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حربا ولا عليك خلافا، وأيم الله إنّني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظنّ الله راضيا بترك ذلك ولا عاذرا بدون الاعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحددين حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدى أبا كنده والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لاتاء خذهم بحدّث كان بينك وبينهم، ولا يا حنة تجدها في نفسك. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٧

أولست قاتل عمرو بن الحمق ١ صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه، بعد ما أمنتّه وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٨

أولست المدعى زياد بن سمية ١ المولود على فراش عبد ثقيف؟! فرعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (ص): (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، فتركت سنّة رسول الله تعيدا وتبع هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقيين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كاءنك لست من هذه الامة، وليسوا منك!. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٩

أولست صاحب الحضرميين «١» الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه، فكتبت إليه: أن اقتل كلّ من كان على دين علي، فقتلهم ومثّل بهم بامر مرك. ودين علي (ع) والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين. «٢»

وقلت فيما قلت: «٣» (أنظر لنفسك ولدينك ولا مة محمد، واتق شق عصا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٠

هذه الامة وأن تردّهم إلى فتنه، وإني لأعلم فتنه أعظم على هذه الامة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسى ولدينى ولا مة محمد (ص) وعلينا أفضل من أجاهدك، فإن فعلت فإنّه قربه إلى الله، وإن تركته فإنّي أستغفر الله لدينى (لذنبى)، وأساء له توفيقه لا رشاد أمرى.

وقلت فيما قلت: (إني إن أنكرتكم تنكرني وإن أكدك تكدني)، فكدني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لا يضرنى كيدك في، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنك قد ركب جهلك، وتحرّصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء نفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايامن والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلّا لذكورهم فضلنا، وتعظيمهم حننا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا. فاء بشرى معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وليس الله بناس لا خذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربه، وأخذك الناس ببيعه ابنك، غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب.

لأعلمك إلّا وقد خسرت نفسك وتبّرت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقى لا جلهم، والسلام).

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضبّ ما أشعر به!

فقال يزيد: يا اميرالمؤمنين، أجبه جوابا يصغر إليه نفسه، وتذكر فيه أباه بشرّ فعله.

قال: ودخل عبدالله بن عمرو بن العاص.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧١

فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟

قال: وما هو؟

قال: فاقراه الكتاب.

فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه؟ وإنما قال ذلك في هوى معاوية.

فقال يزيد: كيف رأيت يا اميرالمؤمنين رأيي؟

فضحك معاوية، فقال: أما يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك!

فقال عبدالله: فقد أصاب يزيد.

فقال معاوية: أخطاءتما، أرايتما لو أتت ذهبت لعيب عليّ محققاً، ما عسيت أن أقول فيه؟! ومثلي لا يحسن أن يُعيب بالباطل وما لا يُعرف،

ومتى ما عبت به رجلا- بما لا يعرفه الناس لم يُحفل بصاحبه، ولا يراه الناس شيئاً وكذبوه، وما عسيت أن أعيب حسينا، والله ما أرى

للعيب فيه موصفاً، وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعده وأتهدده، ثم رأيت أن لأفعل ولا أمحكه). «١»

و (لما قتل معاوية حجر بن عدى وأصحابه حج ذلك العام، فلقى الحسين بن عليّ (ع). فقال: يا أبا عبدالله، هل بلغك ما صنعنا بحجر

وأصحابه وأشياعه، وشيعة أبيك؟

فقال (ع): وما صنعت بهم؟!

قال: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٢

فضحك الحسين (ع)، ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، ولا قبرناهم. ولقد بلغني

وقيعتك في عليّ، وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فأذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحقّ عليها ولها، فإن

لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلاتوترنّ غير قوسك، ولا ترمينّ غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة

من مكان قريب، فأنتك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك فانظر لنفسك أودع يعني (عمرو بن

عاص). «١»

وروى أن الامام الحسين (ع) كتب إلى معاوية كتاباً يقرّعه فيه ويبكته بأمور صنعها، كان فيه: (ثم وليت ابنك وهو غلام يشرب

الشراب، ويلهو بالكلاب، فحنت أمانتك وأخرت رعيتك، ولم تؤدّ نصيحة ربك، فكيف تولّى على أمّة محمّد من يشرب المسكر؟!

وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الاشرار، وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على الامّة؟! فعن قليل ترد

على عملك حين تطوى صحائف الاستغفار). «٢»

وكان معاوية يحيط علماً بالكثير من حالات وأوضاع الامام الحسين (ع) لكثرة جواسيسه وعيونه الذين يرصدون الصغيرة والكبيرة من

حياة الامام (ع) الخاصّة والعامة، ولقد ضاقت ذات يد الامام (ع) لكثرة جوده وسخائه، فركبه الدين.

فاغتمت الفرصة معاوية، فكتب إلى الامام (ع) يريد أن يشتري منه (عين أبي نيزر) التي حفرها اميرالمؤمنين عليّ (ع) بيده الشريفه،

وأوقفها على فقراً أهل المدينة وابن السبيل، وأرسل معاوية مع الكتاب مائتي ألف دينار.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٣

فأبى الامام الحسين (ع) أن يبيعها وقال: (إنما تصدّق بها أبي ليقى الله بها وجهه حرّ النار! ولست بائعها بشئ). «١»

وروى أنه كان بين الامام الحسين (ع) وبين معاوية كلام في أرض للامام (ع)، فقال له الامام الحسين (ع): (اختر خصله من ثلاث خصال: إما أن تشتري مني حقي، وإما أن تردّه عليّ، أو تجعل بيني وبينك ابن الزبير وابن عمر، والرابعة الصّيلم).

قال: وما الصيلم؟

قال: أن أهتف بحلف الفضول.

قال: فلا حاجة لنا بالصيلم). «٢»

وروى عن محمد بن السائب أنه قال:

(قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن عليّ (ع): لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟)

فوثب الحسين (ع) وكان (ع) شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتى غشى عليه، ثم تركه.

وأقبل الحسين (ع) على جماعة من قريش، فقال: أنشدكم بالله إلاً صدقتموني إن صدقت، أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى رسول الله (ص) منّي ومن أخي؟

قالوا: أللهمّ لا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٤

قال: وإنّي لا أعلم أنّ في الأرض ملعون بن ملعون غير هذا وأبيه، طريدي رسول الله، والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بيباب المشرق والاخر بيباب المغرب رجلاّن ممن ينتحل الاسلام أعدى لله ولرسوله ولا هل بيته منك ومن أبيك إذا كان. وعلامة قولي فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك!

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب، فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه). «١»

و (استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة، وأمره أن يفرض لشباب قريش د ففرض لهم.

فقال عليّ بن الحسين (ع): فاءتته.

فقال: ما اسمك؟

فقلت: عليّ بن الحسين.

فقال: ما اسم أخيك؟

فقلت: عليّ.

فقال: عليّ وعليّ! ما يريد أبوك أن يدع أحدا من ولده إلاً سمّاه عليّاً!!

ثم فرض لي، فرجعت إلى أبي فاء خبرته.

فقال: ويلى على ابن الزرقاء دباغة الأدم، لو ولد لي مائة لا حبيت أن لا أسمّي أحدا منهم إلاً عليّاً). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٥

وروى أنه (خطب الحسن (ع) عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوجهما عبد الله بن الزبير.

ثم إن معاوية كتب إلى مروان وهو عامله على الحجاز يأمه أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فاءبى عبد الله بن جعفر، فاء خبره بذلك، فقال عبد الله: إن أمرها ليس الّى إنّما هو إلى سيّدنا الحسين وهو خالها.

فء خبر الحسين بذلك فقال: أستخير الله تعالى، أللهمّ وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد.

فلتّما اجتمع الناس في مسجد رسول الله أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين (ع) وعنده من الجلمه، وقال: إنّ أميرالموءمنين أمرني بذلك، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغ ما بلغ، ومع صلح ما بين هذين الحيين، مع قضاء دينه، واعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن

يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه يستسقى الغمام، فؤدّ خيرا يا أباعبدالله!!

فقال الحسين (ع): الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، إلى آخر كلامه. ثم قال: يا مروان قد قلت فسمعنا، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغ ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهما! وأما قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديونا؟! وأما صلح ما بين هذين الحيين فإن قوم عاديناكم في الله، ولم تكن نصالحكم للدنيا، فلعمري فلقد أعىي النسب فكيف السبب؟! وأما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خير من يزيد ومن أب يزيد ومن جد يزيد. وأما قولك: إن يزيد كفو من لا كفوله، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم، ما زادت إمارته في الكفاءة شيئا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٦

وأما قولك: بوجهه يستسقى الغمام، فإنما كان ذلك بوجه رسول الله (ص).

وأما قولك: من يغبطنا به أكثر مما يغبطه بنا، فإنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال بعد كلام: فاشهدوا جميعا أنني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن علي أربعمائة وثمانين درهما، وقد نحلتهما ضيعتي بالمدينة، أوقال: أرضى بالعقيق، وإن غلتهما في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غني إن شاء الله.

قال: فتغير وجه مروان، وقال: أغدرا يا بني هاشم، تاءبون إلا العداوة.

فذكره الحسين (ع) خطبة الحسن عائشة وفعله ثم قال: فاءين موضع الغدر يا مروان؟! (...). «١»

وروى أنه (ع) كان جالسا في مسجد النبي (ص) فسمع رجلا من بني أمية يقول ويرفع صوته لسمع الامام (ع): إننا شاركنا آل أبي طالب في النبوة حتى نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب والنسب، وقلنا من الخلافة ما لم ينالوا، فبم يفخرون علينا؟! وكثر هذا القول ثلاثا.

فأقبل عليه الحسين (ع) فقال له: (إنني كففت عن جوابك في قولك الأول حلما، وفي الثاني عفوا، وأما في الثالث فإنني مجيبك. إنني سمعت أبي يقول:

إن في الوحي الذي أنزله الله على محمد (ص): إذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أمية في صور الذر، يطاءهم الناس حتى يفرغ من الحساب، ثم يؤ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٧

تى بهم فيحاسبوا، ويصار بهم إلى النار).

فلم يُطق الاموي جوابا وانصرف وهو يتميز من الغيظ. «١»

رعاية الامام (ع) للائمة عامة وللشيعة خاصة ص: ٢٧٧

من الدور العام المشترك لجميع ائمة أهل البيت (ع) رعايتهم للائمة الاسلامية عامة وللشيعة منها خاصة، فليس بدعا من أمر الامامة الحقمة أن يهتم الامام الحسين (ع) إهتماما فائقا بأمور هذه الائمة في جميع مجالات حياتها، وأن لا ياءلوا جهدا في الدفاع عنها وانقاذها من كل خطر وهلكة يحيقان بها، وهو الذي قدّم نفسه الزكية وأهل بيته وخاصيته وأصحابه قرايين مقدّسة على مذبج الهدف العام من قيامه وخروجه وهو إصلاح هذه الائمة المنكوبة بعد ما شملها الفساد في كل أبعاد حياتها (... وإتّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدّي ...)

ولما كانت مصاديق رعايته لهذه الائمة في قضاياها العامة قد وردت مبثوثة في ثنايا أبحاث الابواب والفصول الاخرى من هذا الكتاب،

فإننا نقتصر هنا على تقديم نماذج منتقاة من رعايته لا فراد هذه الأمة، تمثل عفوه ورأفته وحنانه وكرمه وباقي سجايه السامية، ثم نعرض بعدها نماذج من رعايته للشيعة خاصة:

(جنى له غلام جنايةً توجب العقاب، فامر (ع) به أن يضرب.

فقال: يا مولاي، (والكاظمين الغيظ).

قال (ع): (خلوا عنه!)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٨

فقال: يا مولاي، (والعافين عن الناس).

قال (ع): (قد عفوتُ عنك!)

قال: يا مولاي، (والله يحب المحسنين).

قال (ع): (أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك). «١»

و (خرج سائل يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين بن عليّ (ع)، ففرع الباب وأنشاء يقول:

لم يخب اليوم من رجاك ومن حرّك من خلف بابك الحلقة

فأنت ذوالجود، أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقه

قال: وكان الحسين بن عليّ (ع) واقفا يصلي، فخفف من صلاته، وخرج إلى الاعرابي فرأى عليه أثر ضرب وفاقه، فرجع ونادى بقنبر

فأجابته: لتيك يا ابن رسول الله (ص).

قال (ع): ما تبقى معك من نفقتنا؟

قال: مائتا درهم، أمرتني بتفريقها في أهل بيتك.

فقال (ع): فهاتها، فقد أتى من هو أحقُّ بها منهم.

فأخذها (من قنبر) وخرج فدفعها إلى الاعرابي، وأنشاء يقول:

خذها فإنّي إليك معتذر واعلم بآئي عليك ذوشفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا كانت سمانا عليك مندفته

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٩

لكنّ ريب الزمان ذونكيد والكفّ منا قليلة النفقه

قال: فأخذها الاعرابي وولي، وهو يقول:

مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

وأنتم أنتم الاعلون، عندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

من لم يكن علويًا حين تنسبه فماله في جميع الناس مفتخر «١»

وفي روايته: (قال: فأخذها الاعرابي وبكى.

فقال (ع) له: لعلك استقللت ما أعطيناك؟

قال: لا، ولكن كيف ياء كل التراب جودك؟! «٢»

و (دخل الحسين (ع) على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغماه.

فقال له الحسين (ع): ما غمك يا أخي؟

قال: ديني، وهوسون ألف درهم.

فقال له الحسين (ع): هو عليّ.

قال: إنّي أخشى أن أموت.

فقال له الحسين (ع): لن تموت حتّى أفضيها عنك.

فقضاها قبل موته). «٣»

وروى أنّه (ع): (دخل المستراح، فوجد لقمه ملقاة، فدفعها إلى غلام له،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٠

فقال: يا غلام، أذكرني بهذه اللقمة إذا خرجت.

فأكلها الغلام.

فلما خرج الحسين بن عليّ (ع) قال: يا غلام أين اللقمة؟

قال: أكلتها يا مولاي.

قال: أنت حرّ لوجه الله تعالى.

قال له رجل: أعتقته يا سيدي؟!

قال: نعم، سمعت جدّي رسول الله (ص) يقول: من وجد لقمه ملقاة فمسح منها أو غسل ما عليها ثم أكلها لم تستقرّ في جوفه إلّا أعتقه

الله من النار. (ولم أكن أستعبد رجلا أعتقه الله من النار). «١»

و (مرّ الحسين بن عليّ (ع) بمساكين قد بسطوا كساء لهم فاءلقوا عليه كسرا،

فقالوا: هلمّ يا ابن رسول الله (ص)!

فثنى وركه فاء كل معهم، ثم تلا: (إنّ الله لا يحبّ المستكبرين).

ثم قال: قد أجبتكم فاء جيوني.

قالوا: نعم يا ابن رسول الله (ص) ...

فقاموا معه حتّى أتوا منزله ...

فقال (ع) للزّباب: أخرجي ما كنت تدّخرين). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨١

(وجاءه رجل من الانصار يريد أن يسأله حاجة ...

فقال (ع): يا أخا الانصار صنّ وجهك عن بذل المساءلة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آت فيها ما سارّك إن شاء الله.

فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلّمه ينظرني إلى ميسرة.

فلما قرأ الحسين (ع) الرقعة دخل إلى منزله فاءخرج صرة فيها ألف دينار،

وقال (ع) له: أمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي

دين أو مروءة أو حسب، فاءمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروءة فإنّه يستحي لمروءته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنّك لم تكرم

وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يرّدك بغير قضاء حاجتك). «١»

و (مرّ الحسين بن عليّ (ع) براع، فاءهدى الراعي إليه شاء،

فقال له الحسين (ع): حرّ أنت أم مملوك؟

فقال: مملوك.

فردّها الحسين (ع) عليه ..

فقال له المملوك: إنها لى.

فقبلها منه، ثم اشتراه واشترى الغنم، فاءعتقه، وجعل الغنم له. «٢»

و روى (أنّ الحسين (ع) كان جالسا في مسجد جدّه رسول الله (ص)، بعد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٢

وفاء أخيه الحسن (ع)، وكان عبد الله بن الزبير جالسا في ناحية المسجد، وعتبه بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقه

فعقلها باب المسجد ودخل، فوقف على عتبه بن أبي سفيان فسلم عليه السلام

فقال له الاعرابي: إنني قتلت ابن عمّ لى، وطولبت بالديه، فهل لك أن تعطيني شيئا؟

فرفع رأسه إلى غلامه وقال: إُدفع إليه مائة درهم.

فقال الاعرابي: ما أريد إلّا الديه تماما!

ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبه.

فقال عبد الله لغلامه: إُدفع إليه مائتي درهم.

فقال الاعرابي: ما أريد إلّا الديه تماما!

ثم تركه وأتى الحسين (ع)، فسلم عليه

وقال: يا ابن رسول الله، إنني قتلت ابن عمّ لى، وقد طولبت بالديه، فهل لك أن تعطيني شيئا؟

فقال (ع) له: يا اعرابي، نحن قوم لانعطي المعروف إلّا على قدر المعرفة.

فقال: سل ما تريد.

فقال له الحسين (ع): يا اعرابي، ما النجاه من الهلكه؟

قال: التوكّل على الله عزّ وجلّ.

فقال (ع): وما الهمة؟

قال: الثقة بالله.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٣

ثم ساء له الحسين (ع) غير ذلك وأجاب الاعرابي، فاءمر له الحسين (ع) بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لقضاء ديونك. وعشرة

آلاف درهم أخرى، وقال:

هذه تلمّ بها شعتك وتحسّن بها حالك وتنفق منها على عيالك. فاءنشأ الاعرابي يقول:

طَرِبْتُ وما هاج لى مَعْبِقُ ولا لى مقام ولا مَعشِقُ

ولكن طَرِبْتُ لال الرسولِ فلَدَّ لى الشعْرُ والمنطقُ

هم الاكرمون، هم الانجبون نجوم السماء بهم تُشرقُ

سبقت الانام إلى المكرمات فقَصَّرَ عن سبقك السُّبُقُ

بكم فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم مغلق «١»

وفى رواية أنه (وجد على ظهره (ع) يوم الطفّ أثر، فسئل زين العابدين (ع) عن ذلك، فقال: هذا ممّا كان ينقل الجراب على ظهره

إلى منازل الارامل واليتامى والمساكين). «٢»

وأما عنايته الخاصّة بالشيعة ورعايته لهم ...

فقد أولى الامام الحسين (ع) شاءن جميع أئمّة أهل البيت (ع) شيعته عناية فائقة ورعاية خاصّة، وحرص فى ظرفه السياسى الاجتماعى

الشديد الحساسية والخطورة على حفظهم من كل سوء، وعمل بما وسعه الامكان على إبقائهم بمناي عن منال يد البطش الاموي الهادف إلى محو الوجود الشيعي من خريطة المجتمع الاسلامي.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٤

ويمكن أن نلاحظ بوضوح تام حرص الامام (ع) على حفظ الشيعة في وصاياه العامة لهم بعد الصلح مع معاوية في حياة الامام الحسن (ع) وبعد شهادته، كمثل قوله (ع): (... فالصقوا بالا- رض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا...). «١» وكقوله (ع): (... فليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس د بيته...)، «٢» كما يمكن أن نلاحظ ذلك في استقباله وفود الشيعة من أقطار البلاد الاسلامية وحرصه على إخفاء هذه اللقاءات عن عيون الرصد الاموي، وكان صلوات الله عليه يحرص على توعية وفود الشيعة ووجهائهم على حقائق مجريات الامور في إطار التزامه بالهدنة مع معاوية، وبيث فيهم من هدى أهل البيت (ع) ما يركز الايمان والمعرفة في قلوبهم، ويقوى ارتباطهم بامهم، ويزيد من صبرهم على المكاره، ويعرفهم منزلتهم عند الله تعالى.

روى أنه: (وفد إلى الحسين صلوات الله عليه وفدٌ

فقالوا: يا ابن رسول الله، إن أصحابنا وفدوا إلى معاوية، ووفدنا نحن إليك.

فقال: إذن أجزىكم بآء أكثر مما يجيزهم.

فقالوا: جعلنا فداك، إنما جئنا لدينا.

قال فطاء رأسه ونكت في الارض، وأطرق طويلا، ثم رفع رأسه ...

فقال: قصيرة من طويلة، من أحبنا لم يحبنا لقرباءة بيننا وبينه ولا- لمعرف أسديناه إليه، إنما أحبنا لله ورسوله، جاء معنا يوم القيامة كهاتين وقرن بين سبأتيه). «٣»

وروى عنه (ع) أنه قال: (والله، البلاء والفقر والقتل أسرع إلى من أحبنا من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٥

ركض د البراذين، ومن السيل إلى صمره!). «١»

وعن حنابة الوالبيّة قالت: (سمعت الحسين بن عليّ (ع) يقول: نحن وشيعتنا على الفطرة التي بعث الله عليها محمّدا (ص) وسائر الناس منها برأ). «٢»

وكان صلوات الله عليه يحث أهل المعرفة والعلم من الشيعة ليكفلوا إخوانهم المحرومين من العلم، المنقطعين عن مواليتهم، الذين هم يتامى آل محمّد (ص)، ويرشدوهم ويهدوهم ويخرجوهم من ظلمة الجهل.

وقد رويت عنه (ع) في ذلك نصوص كريمة منها: (فضل كافل يتيم آل محمّد المنقطع عن مواليتهم، الناشب في رتبة الجهل، يخرج من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على الشها). «٣»

و (من كفل لنا يتيما قطعته عنا محتتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عزّ وجلّ: يا أيها العبد الكريم المواسي لا خيه أنا أولى بالكرم منك، إجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علّمه ألف قصر، وضّموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم). «٤»

وكان صلوات الله عليه يحنو على أفراد الشيعة حنوّا خاصّا يفوق حنوّ الوالد على ولده، وقد رويت عنه (ع) في ذلك أخبار كثيرة، اخترنا منها نماذج على

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٦

سبيل المثال:

روى عن صالح بن ميثم أنه قال: (دخلتُ أنا وعباية الاسدي على حنابة الوالبيّة.

فقال لها: هذا ابن أخيك ميشم.

قالت: ابن أخي والله حقاً، ألا أحدثكم بحديث عن الحسين بن عليّ (ع).

فقلت: بلى.

قالت: دخلت عليه وسلمت فردّ السلام ورحّب.

ثم قال (ع): ما بطّاء بك عن زيارتنا والتسليم علينا يا حبابه؟

قلت: ما بطّاءني إلّا علّة عرضت.

قال: وما هي؟

قالت: فكشفتُ خماري عن برص.

قالت: فوضع يده على البرص، ودعا فلم يزل يدعو حتّى رفع يده، وكشف الله ذلك البرص، ثم قال: يا حبابه، إنّه ليس أحدٌ على ملّة

إبراهيم في هذه الامة غيرنا وغير شيعتنا، ومن سواهم منها برأ. «١»

وعن يحيى بن أمّ الطويل قال: كنّا عند الحسين (ع) إذ دخل عليه شابّ يبكي.

فقال له الحسين (ع): ما يبكيك؟

قال: إنّ والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مالٌ، وكانت قد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٧

أمرتني ألأأحدث في أمرها شيئاً حتّى اءعلمك خبرها.

فقال الحسين (ع): قوموا بنا حتّى نصير إلى هذه الحرّة.

فقمنا معه حتّى انتهينا إلى باب البيت الذي توفيت فيه المرأة، وهي مسجّاه.

فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها حتّى توصى بما تحب من وصيتها، فأجابه الله تعالى، فأذا المرأة جلست وهي تتشهد، ثم

نظرت الى الحسين (ع).

فقلت: أدخل البيت يا مولاي، ومرني بأمرك.

فدخل وجلس على مخدّة، ثم قال (ع) لها: وصّي، يرحمك الله.

فقلت: يا ابن رسول الله، إنّ لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، وقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك،

والثلثان لابني هذا، إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حق للمخالفين في أموال المؤمنين.

ثم سألته أن يصلّي عليها وأن يتولّى أمرها، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت. «١»

و (عن الحسن البصري قال: كان الحسين (ع) سيّدا زاهداً، ورعاً، صالحاً، ناصحاً، حسن الخلق، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستان

له، وكان في ذلك البستان غلام يقال له، صافى.

فلما قرب من البستان رأى الغلام يرفع الرغيف فيرمى بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه، فتعجب الحسين (ع) من فعل الغلام، فلما فرغ

من الاكل قال:

الحمد لله رب العالمين، اللهم اغفر لي ولسيدي، وبارك له كما باركت على أبيه، يا أرحم الراحمين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٨

فقام الحسين (ع) ونادى: يا صافى.

فقام الغلام فرعاً وقال: يا سيدي وسيّد المؤمنين إلى يوم القيامة، إنّني ما رأيتك فاعف عني.

فقال الحسين (ع): إجعلني في حلّ يا صافى، دخلت بستانك بغير إذنك!

فقال صافي: بفضلك وكرمك وسؤددك تقول هذا!

فقال الحسين (ع): إنني رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلى الكلب وتاء كل نصفه، فما معنى ذلك؟

فقال الغلام: يا سيدي، إن الكلب ينظر إليّ حين آكل، فإنني أستحي منه لنظره إليّ، وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء، وأنا عبدك، وهذا كلبك، ناء كل من رزقك معا.

فبكى الحسين (ع) ثم قال: إن كان كذلك، فاءنت عتيق لله.

ووهب له ألف دينار!

فقال الغلام: إن أعتقتني فإنني أريد القيام بستانك.

فقال الحسين (ع): إن الكريم إذا تكلم بكلام ينبغي أن يصدقه بالفعل، البستان أيضا وهبته لك، وإنني لما دخلت البستان قلت: إجعلني في حلّ فإنني قد دخلت بستانك بغير إذنك، كنت قد وهبت البستان بما فيه، غير أنّ هؤلاء أصحابي، لا كلهم الثمار والرطب فاجعلهم أضيافك وأكرمهم لا جلي، أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك ورأيك.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٩

فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك، فإنني قد سبلته لا صاحبك). (١)

قاطعيته (ع) في رفض الاقرار بولاية يزيد والبيعة له ص: ٢٨٩

مختصر قصة البيعة ليزيد بولاية العهد ص: ٢٨٩

كان المغيرة بن شعبه وهو من رؤوس جماعة النفعيين في حركة النفاق، ومن دهاة العرب ومحترفي المكر والغدر، وممن خدم معاوية طويلا قد بلغه أنّ معاوية يريد عزله عن ولاية الكوفة واستعمال سعيد بن العاص مكانه، فرأى أن يذهب إلى معاوية فيستعفى من منصبه عنده قبل صدور الأمر بعزله، ليظهر للناس د بمظهر الكاره للولاية الزاهد فيها.

لكنّ تعلقه الشديد حقيقته بمنصب الولاية دفعه إلى التفكير مليا وهو في الطريق إلى الشام بحيلة تصرف معاوية عن عزله، فلم ير وهو الخبير بمعاوية من حيلة أفضل من إثارة أمنيّة معاوية الكبرى التي لم تساعده الظروف على التحرك عمليا لتحقيقها حتى ذلك الوقت، وهي أمنيته في عقد البيعة بالخلافة من بعده لابنه يزيد.

فقّر المغيرة بن شعبه أن يعزف على أوتار هذه الامنيّة المكونة في قلب معاوية، ويدعو إلى إثارتها وإظهارها، ويبيد استعداده للخدمة من أجل تحقيقها، لعلّ معاوية ينصرف بذلك عن عزله فيبقيه واليا على الكوفة.

ورأى المغيرة أن يدخل أولا على يزيد نفسه فيثير فيه خفته إلى مثل هذا الأمر، ليكون يزيد بعد ذلك مفتاح المدخل إلى قلب أبيه، (ومضى حتى دخل على يزيد، وقال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي (ص)، وآله

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٠

وكبراً قرّيش وذوو أسنانهم، وإنما بقي أبنائهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة! ولا أدري ما يمنع اميرالمؤمنين أن يعقد لك البيعة!؟

قال: اءوتري ذلك ينم؟!؟

قال: نعم.

فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فاء حضر المغيرة ...

وقال له: ما يقول يزيد؟

فقال: يا اميرالمؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له فإن حدث بك حادثٌ كان كهفا للناس، وخلفا منك، ولا تُسْفِك دماء ولا تكون فتنه.

قال: ومن لي بهذا!!

قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحدٌ يخالفك.

قال: فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك، وترى وترى.

فودّعه ورجع إلى أصحابه، فقالوا: مه!؟

قال: لقد وضعتُ رجل معاوية في غرزٍ بعيد الغاية على أمّة محمد، وفتقت عليهم فتقا لا يترق أبدا...!!

وسار المغيرة حتى قدم إلى الكوفة، وذاكر من يتق إليه ومن يعلم أنه شيعة لبنى أمية أمر يزيد، فاءجابوا إلى بيعته، فاء وفد منهم عشرة، ويقال أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩١

وقدموا على معاوية فزينوا له بيعه يزيد ودعوه إلى عقدها.

فقال معاوية: لاتعجلوا يا ظهار هذا، وكونوا على رأيكم.

ثم قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم!؟

قال: بثلاثين ألفا.

قال: لقد هان عليهم دينهم ... «١»

وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد، فاءرسل إلى زياد يستشيريه، لكن زيادا كتب إلى معاوية يشير عليه بالترث وعدم العجلة حتى ياءتى الوقت المناسب.

وهناك رأى يقول إن معاوية كان قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الامام الحسن (ع) وعرض بها، ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا

بعد موت الحسن (ع). «٢» ويؤيد ذلك الرواية التاريخية التي تقول إن معاوية سافر إلى المدينة سنة خمسين قبيل وفاة الامام الحسن

(ع)، في محاولة لجس نبض المدينة في قضيتة فكرة البيعة ليزيد، وعقد فيها اجتماعا مغلقا مع عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عباس،

وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر وطرح عليهم تيته في عقد البيعة ليزيد، لكن هذا الاجتماع المغلق باء بالفشل الذريع لان هؤلاء

العبادلة عارضوا هذه الفكرة بشدة. فسكت معاوية عن ذكر البيعة ليزيد إلى سنة إحدى وخمسين، أى إلى ما بعد وفاة الامام الحسن

(ع). «٣» وتقول بعض المصادر التاريخية إن معاوية لم يلبث بعد وفاة الامام الحسن (ع) إلا يسيرا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٢

حتى بايع ليزيد في الشام، وكتب ببيعته إلى الافاق. «١» وقيل إنه تريت في ذلك حتى مات زياد الذي لم يكن في الحقيقة يرجح

لمعاوية هذا التوجه في عقد البيعة ليزيد. «٢»

فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد ... وكتب إلى مروان بن الحكم قائلا: (إني قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت

الاختلاف على الامية بعدى، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك، فاءعرض ذلك

عليهم وأعلمنى بالذى يردون عليك).

فقام مروان في الناس فاءخبرهم به ...

فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا، أن يتخير لنا فلا ياءلوا!!

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فاءعاد إليه الجواب يذكر يزيد.

فقام مروان فيهم وقال: إن أميرالموءمنين قد اختار لكم فلم ياءل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده (...). «٣»
فقام إليه وجهاء المدينة فاءنكروا ذلك عليه وعلى معاوية، كالا مام الحسين (ع) وعبدالرحمن بن أبي بكر وابن الزبير وابن عمر.
وكان معاوية قد قام حينذاك بحملة إعلامية ودعائية كبيرة ليزيد، فقد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه بالا وصاف الحميدة التي
تجعله في أعين الناس د أهلا للخلافة، كما أمر عماله أن يوفدوا إليه الوفود من الامصار، ولم
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٣

يزل معاوية يعطى المقارب ويُداری المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعوه على ذلك!!
وبقيت معضلة معاوية الكبرى في استعصاء المدينة بوجهائها، وتقول المصادر التاءريخية إن معاوية استشعر برودة موقف مروان وعدم
اندفاعه في مشروع أخذ الناس بالبيعة ليزيد، فعزله وجعل محلّه سعيد بن العاص، الذي حاول أخذ الناس د في ذلك بالغلظة والشدة،
لكنّه لم يفلح في مسعاه، فكتب إلى معاوية قائلاً: (أما بعد، فإنّك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن اميرالموءمنين، وأن أكتب
إليك بمن سارع ممن أبطاء، وإني اءخبرك اءنّ الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم يجيبني منهم أحد،
وبلغني عنهم ما أكره، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الامر فعبداالله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلّا بالخيل والرجال، أو تقدم
بنفسك فترى رأيك في ذلك، والسلام). «١»

المواجهات الحادة ص : ٢٩٣

فكتب معاوية إلى كلّ من الامام الحسين (ع) وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن الزبير، وأمر سعيد بن العاص أن
يوصلها إليهم ثم يبعث إليه بجواباتها، وأمره بالحزم والتصلّب مع الرقق وتجبّ الخرق، وكان ممّا أوصاه في التعامل مع الامام الحسين
(ع) أن قال: (وانظر حسينا خاصية، فلايناله منك مكروه، فإنّ له قرابة وحقًا عظيمًا لاينكره مسلم ولا مسلمة، وهوليثّ عرين، ولست
آمنك إن شاورته أن لاتقوى عليه (...). «٢»

وكان كتاب معاوية إلى الامام الحسين (ع): (أما بعد: فقد انتهت اليّ منك أ مور، لم أكن أظنّك بها رغبة عنها، وإنّ أحقّ الناس
بالوفاء لمن أعطى بيعته من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٤

كان مثلك في خطرک وشرفک ومنزلتک التي أنزلک الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتک، وأتق الله ولاتردّن هذه الائمة في فتنه، وانظر
لنفسک ودينک وأمة محمّد، ولايستخفّنک الذين لايقنون). «١»

أما الامام الحسين (ع) فقد ردّ على معاوية الردّ الاحتجاجي الشامل الذي تضمّن إدانته معاوية بقتل حجر بن عدی وأصحابه العابدين،
وبقتل الصحابي الجليل عمرو بن الحمق، وبقتل عبدالله بن يحيى الحضرمي، وباستلحاقه زياد بن عبيد الرومي ثمّ تسليطه على الائمة
بيطش بها، وذكره مغتية سوء العاقبة وزوال الدنيا، وأنّ لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وكانت الفقرة الختامية في هذا
الردّ الشامل: (واعلم أنّ الله ليس بناس لك قتلک بالظنة وأخذك بالتهمة، وإمارتک صبيّا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك
إلّا وقد أوبقت نفسك وأهلك دينك وأضعت الرعية، والسلام). «٢»

يقول ابن قتيبة: (وذكروا أنّه لمّا جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لا مره والكرائية لبيعه ليزيد، كتب إلى سعيد بن العاص
ياءمره أن ياءخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذًا بغلظة وشدة، ولايدع أحدا من المهاجرين والانصار وأبناءهم حتى يبايعوا، وأمره إلّا
يحزّك هؤلاء النفر ولايهيجهم. فلمّا قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الاخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم.
فكتب إلى معاوية أنّه لم يبايعني أحد، وإنّما الناس تبع لهؤلاء النفر، فلو بايعوك بايع الناس جميعا ولم يتخلف عنك أحد. فكتب إليه

معاوية ياء مره ألاً يحزّكهم إلى أن يقدم، فقدم معاوية المدينة حاجاً، فلما أن دنا من المدينة خرج إليه الناس د يتلقّونه ... حتّى إذا مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٥

كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عباس، فقال معاوية: مرحبا بابن بنت رسول الله، وابن صنو أبيه، ثم انحرف إلى الناس فقال: هذان شيخان بنى عبد مناف، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحب وقرب، وجعل يواجه هذا مرّة ويضاحك هذا أخرى حتّى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسأرونه إلى أن نزل فانصرفا عنه (...). «١»
ثمّ إنّه أرسل إلى الامام الحسين (ع)، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، كلّ على انفراد، ودعاهم إلى قبول البيعة ليزيد، لكنّه لم يحصل منهم على ما يريد ...

وفى اليوم الثاني، جلس مجلسه، وأمر حاجبه أن لا ياءذن لا-حد من الناس وإن قرب، (ثمّ أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس، فسبق ابن عباس، فلما دخل وسلّم عليه أقعده فى الفراش على يساره فحادثه مليا ...
حتّى أقبل الحسين بن عليّ (ع)، فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه، فدخل الحسين وسلّم، فاءشار إليه فاءجلسه عن يمينه مكان الوسادة، فساءله معاوية عن حال بنى أخيه الحسن وأسنانهم، فاءخبره ثمّ سكت.

قال: ثمّ ابتدأ معاوية فقال: أما بعد، فالحمد لله ولّى النعم، ومنزل النقم، وأشهد أن لا إله إلاّ الله المتعالى عمّا يقول الملحدون علوا كبيرا، وأنّ محمّدا عبده المختصّ المبعوث إلى الجنّ والانس كافّة لينذرهم بقرآن لا ياءتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فاءدى عن الله وصدع باء مره وصبر عن الاذى فى جنبه، حتّى أوضح دين الله وأعزّ أولياءه،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٦

وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون، فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بُذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختيارا لله واءنفه واقتدارا على الصبر بغيا لما يدوم ويبقى، فهذه صفة الرسول (ص).
ثمّ خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك، وبين ذلك خوض طال ما عالجنه مشاهدة ومكافحة ومعانئة وسماعا، وما أعلم منه فوق ما تعلمان.

وقد كان من أمر يزيد ما شيقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به من أمر الرعيّة، من سدّ الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد، بما أيقظ العين وأحمد الفعل، هذا معنای فى يزيد، وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعيانى مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنة وقرأه القرآن والحلم الذى يرجح بالصمّ الصلاب!!
وقد علمتما أنّ الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاس من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سِنَّة مذكورة، فقادهم الرجل باء مره، وجمع بهم صلاتهم، وحفظ عليهم فيئهم، وقال ولم يقل معه، وفى رسول الله (ص) أسوة حسنة.

فمهلا- بنى عبدالمطلب، فإنا وأنتم شعبا نفع وجدّ، وما زلت أرجو الانصاف فى اجتماعكما، فما يقول القائل إلاّ بفضل قولكما، فردّا على ذى رحم مُستعَب ما يحمد به البصيرة فى عتابكما، وأستغفر الله لى ولكما.
قال: فتيسر ابن عباس للكلام، ونصب يده للمخاطبة.

فاءشار إليه الحسين فقال: على رسلك، فاءنا المراد ونصيبى فى التهمة أوفر!

فاءمسك ابن عباس، فقام الحسين فحمد الله وصلّى على الرسول، ثمّ قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٧

(أما بعد يا معاوية فلن يؤدّى القائل وإن أطب فى صفة الرسول (ص) من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة.

وهيئات هيات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السُّرُج، ولقد فضّلت حتى أفرطت، واستاءت ثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرّت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حقّ من آتّم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الاوفر ونصيبه الاكمل!!

وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لامّة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كاءنك تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاصّ.

وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبِق لا تراهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصرا.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق باءكثر ممّا أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم، حتى ملات الاسقية، وما بينك وبين الموت إلاغمضة، فتقدم على عملٍ محفوظٍ في يومٍ مشهودٍ، ولات حين مناص.

ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الامر، ومنعتنا عن آباءنا تراثا، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول (ص) ولادة، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول، فاءذعن للحجّة بذلك، وردّه الايمان إلى النصف، فركبتم الاعاليل وفعلمت الافاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الامر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولى الابصار.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٨

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله (ص) وتاءميره له، وقد كان ذلك لعمر بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعه له وما صار لعمر يومئذ حتى اءنّف القوم امرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه اءفعاله، فقال (ص): لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى. فكيف يُحتجّ بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الاحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب! أم كيف صاحبت بصاحب تابعا، وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس د شبهة يُسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك، إن هذا لهو الخسران المبين، وأستغفر الله لى ولكم.

قال: فنظر معاوية إلى ابن عباس، فقال: ما هذا يا ابن عباس؟! ولما عندك أدهى وأمرّ.

فقال ابن عباس: لعمر الله، إنها لذريّة الرسول، وأحد أصحاب الكساء، ومن البيت المطهر، فاله عما تريد، فإن لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله باءمره، وهو خير الحاكمين (...) «١»

وكان قد أرسل بعدهما إلى عبدالرحمن بن أبى بكر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وطلب إليهم أن يبايعوا يزيد، وادعى أنها قضاء من قضاء الله الذى ليس د للعباد الخيرة فيه! فردّ عليه عبدالرحمن بن أبى بكر بشدّة رافضا ذلك، وكذلك فعل ابن الزبير، ومع أن ابن عمر كان لينا في ردّه لقوله: (...) ولكنى إن استقام الناس د فساءدخل في صالح ما تدخل فيه أمية محمّد) «٢» لكن اجتماع معاوية بهؤ لاء الثلاثة قد انفضّ أيضا دون أية نتيجة يرجوها معاوية.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٩

ثمّ إنه (احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج، ثم خرج فاءمر المنادى أن ينادى فى الناس أن يجتمعوا لا مر جامع، فاجتمع الناس فى المسجد، وقعد هو لاء حول المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر يزيد وفضله وقرآته القرآن، ثم قال: يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعه يزيد، وما تركت قرية ولا مدرّة إلا بعثت إليها ببيعه فبايع الناس جميعا وسلّموا، وأخرت المدينة بيعة، وقلت بيضته وأصله ومن لأخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدر أن يصله، ووالله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له!

فقام الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أبا وأما ونفسا!

فقال معاوية: كاءنك تريد نفسك؟

فقال الحسين: نعم، أصلحك الله.

فقال معاوية: إذن أخبرك، أمّا قولك خيرٌ منه أمّا، فلعمري أمتك خير من أمه، ولولم يكن إلّا أنّها امرأة من قريشٍ لكان لنساء قريش فضلهنّ، فكيف وهي ابنة رسول الله صلّى عليه وسلّم، ثمّ فاطمة في دينها وسابقتها، فاءمك لعمر الله خير من أمه، وأمّا أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ففضى لآبائه على أيّك!

فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرت العاجل على الاجل!

فقال معاوية: وأمّا ما ذكرت من أنّك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لا مة محمد منك!!

فقال الحسين: هذا هو الافك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟! (١)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٠

وفي رواية أخرى ...

(فقال الحسين (ع): من خيرٌ لا مة محمد، يزيد الخمر والفجور!)

فقال معاوية: مهلاً أباعد الله، فإنّك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلّا حسناً.

فقال الحسين (ع): إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل فيّ ما أقول فيه.

فقال له معاوية: أبا عبد الله، إنصرف إلى أهلك راشداً، واتّق الله في نفسك، واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته، فإنّهم أعداؤك وأعداء أيّك.

قال: فانصرف الحسين (ع) إلى منزله. (١)

وقد روى ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح هذه القصّة بنحو آخر: (أنّه لما كان من الغد خرج معاوية وأقبل حتّى دخل المسجد، ثمّ صعد المنبر فجلس عليه، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه، وأقبل الحسين بن علي (ع)، وابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حتّى جلسوا إلى المنبر ومعاوية جالس، حتّى علم أنّ الناس قد اجتمعوا وثب قائماً على قدميه، فحمد الله وأثنى عليه.

ثمّ قال: أيّها الناس، إنّنا قد وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وإنّهم قد زعموا أنّ الحسين بن علي، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير لم يبايعوا يزيد، وهؤلاء الاربعة هم عندى سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذا سامعين مطيعين، وقد سلّموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا!

قال: فضرب أهل الشام بآيديهم إلى سيوفهم فسألوا، ثمّ قالوا:

يا اميرالمؤمنين، ما هذا الذي تُعظمه من أمر هؤلاء الاربعة؟! إنّنا لنا أن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠١

نضرب أعناقهم، فإنّا لانرضى أن يبايعوا سرّاً ولكن يبايعوا جهراً حتّى يسمع الناس أجمعون.

فقال معاوية: سبحان الله، ما أسرع الناس بالسرّ، وما أحلى بقائهم عندهم، إتّقوا الله يا أهل الشام ولا تسرعوا إلى الفتنة، فإنّ القتل له مطالبه وقصاص.

قال: فبقى الحسين بن علي (ع)، وابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حيارى لا يدرون ما يقولون، يخافون إن يقولوا: لم نبايع، الموت الاحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام أو وقوع فتنة عظيمة، فسكتوا ولم يقولوا شيئاً، ونزل معاوية عن المنبر، وتفرّق الناس وهم يظنون أنّ هؤلاء الاربعة قد بايعوا.

قال: وقربت رواحل معاوية فمضى في رفاقه وأصحابه إلى الشام.

قال: وأقبل أهل مكة إلى هؤلاء الاربعة فقالوا لهم: يا هؤلاء، إنكم قد دعيتم إلى بيعه يزيد فلم تبايعوا وأبيتم ذلك، ثمّ دعيتم فرضيتم وبايعتم!!

فقال الحسين (ع): لا والله ما بايعنا، ولكنّ معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به، ثمّ صعد المنبر وتكلم بكلام، وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعا، ولاندرى إلى ماذا يؤول أمرنا، فهذه قصتنا معه. «١»

روايات مكذوبة على سيرة الامام الحسين (ع) ص : ٣٠١

إشارة

في التراث الروائي الاسلامي هناك الكثير من الروايات المفتريات، وفيما يتعلق بتاريخ حياة أهل بيت العصمة (ص) نصيب غير قليل من هذه الروايات المكذوبة.

ولم ينجح تأريخ حياة سيد الشهداء (ع) من أن تعلق به مجموعة من هذه مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٢ الروايات المفتريات.

والمؤسف أن بعض الذين كتبوا في حياة الامام الحسين (ع) تلقوا هذه الروايات المكذوبة تلقى المسلمات، وتناولوها بالشرح والتعليق، واستلهموا عظام موهومة منها، «١» ونذكر هنا من هذه الروايات المكذوبة أهم ما اعترضنا في متابعتنا أثناء تحضيرنا لهذا البحث:

الرواية الاولى: ص : ٣٠٢

يقول ابن عساكر في مطلع ترجمته للامام الحسين (ع):

(ووفد على معاوية، وتوجه غازيا إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية). «٢»

لاشك أن من له أدنى معرفة بشخصية الامام الحسين (ع) وحكمته وإبائه ومعرفته بزمانه وأهل زمانه ومنهم معاوية ويزيد خاصية، لا يحتاج في تفنيد هذه الرواية المكذوبة إلى تحقيق في سند ومناقشة في متن.

ومع هذا فإننا نقول هنا: إن ابن عساكر تفرد بهذا الادعاء المرسل، ولم يأت له حتى بشاهد واحد، ولو بخبر ضعيف! وقصة غزوة القسطنطينية ذكرها ابن الاثير في (الكامل في التاريخ) في أحداث سنة تسع وأربعين هـ كذا: (في هذه السنة، وقيل: سنة خمسين، سيرة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٣

معاوية جيشا كثيفا إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفیان بن عوف، وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتناقل واعتل، فأمسك عنه أبوه، فإصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فإنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حُمى ومن موم
إذا اتكأت على الانماط مرتفقا بدير مَرانَ عندي أم كلثوم
وأم كلثوم امرأته، وهي بنت عبد الله بن عامر.

فبلغ معاوية شعره فإقسم عليه ليلحقن بسفیان في أرض الروم، ليصيبه ما أصاب الناس، فسار معه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عبيد بن عمرو وأبو أيوب الانصاري وغيرهم، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي ... ثم رجع يزيد والجيش إلى

الشام، وقد توفى أبوأيوب الانصارى عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها (...). «١»
فالمتيقن من نص ابن الاثير إذن: هو أن يزيد لم يكن قائد هذا الجيش وأميره، وأن الامام الحسين (ع) لم يكن في من حضر هذه الغزوة!

ويؤكد الطبري في تاءريخه عدم حضور الامام الحسين (ع) في هذه الغزوة، وإن ادعى أن أميرها يزيد، قائلا: (وفيها: كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم، حتى بلغ القسطنطينية، ومعه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبوأيوب الانصارى). «٢»
أمّا يعقوبى فيقول: (وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف الغامدى فسبقه سفيان بالدخول إلى بلاد الروم، فنال المسلمين في

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٠٤

بلاد الروم حمى وجدري، وكانت أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر تحت يزيد بن معاوية، وكان لها محببا (...). «١»
وأقوى الأدلة على عدم حضور الامام الحسين (ع) هذه الغزوة التي لم يكن يزيد أميرها أيضا، هو أن الفضل بن شاذان (ره) سئل عن أبي أيوب الانصارى (خالد بن زيد) وقاتله مع معاوية المشركين، فقال (ره): (كان ذلك منه قلة فقه وغفلة، ظن أنه إنما يعمل عملا لنفسه يقوى به الاسلام ويوهى به الشرك، وليس عليه من معاوية شى كان معه أو لم يكن). «٢» وهذا التصريح الصادر عن الفضل بن شاذان، وهو من أصحاب الائمة: الجواد والهادى والعسكرى (ع)، وقيل إنه من أصحاب الامام الرضا (ع) أيضا، وهو من أجل فقهاء الشيعة ومتكلميهم في عصره، هذا التصريح كاشف عن عدم حضور الامام الحسين (ع) في هذه الغزوة، وذلك لأن الفضل لم يكن ليعيب على أبي أيوب اشتراكه فيها مع علمه باشتراك الامام (ع) فيها.

ولا يقال إن هناك احتمالا في أن الفضل بن شاذان علم باشتراك أبي أيوب ولم يعلم باشتراك الامام (ع)، ذلك لأن منزلة الفضل العلمية تمنع من ذلك، خصوصا وهو من أصحاب مجموعة من أئمة الحق (ع)، ثم إنه لا يتصور أن حضور أبي أيوب الانصارى في واقعة ما أشهر وأظهر من حضور الامام الحسين (ع) فيها بطبيعة الحال!!
هذا ولو أن الامام (ع) كان قد اشترك فعلا في هذه الغزوة، لصار ذلك الحدث من أشهر مسلمات التاءريخ، لأن الاعلام الاموى خاصة في عهد

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٠٥

معاوية كان سيستثمر هذا الحدث أوسع الاستثمار في التبليغ والدعاية لصالح النظام الاموى في كل أنحاء البلاد الاسلامية، الامر الذى يجعل من قضية اشتراك الامام في هذه الغزوة أشهر من أن تخفى على أحد، وأمنع من أن يرقى إليها شك!
من كل ما مضى يكون المتيقن في قضية هذه الغزوة أمران هما: عدم اشتراك الامام الحسين (ع) فيها، وثبوت اشتراك أبي أيوب الانصارى (ره) فيها.

الرواية الثانية ص: ٣٠٥

قال ابن عساكر أيضا: أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن ابن صصرى إجازة، أخبرنا أبو منصور طاهر بن العباس بن منصور المروزى العمارى بمكة، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطى بمكة، أخبرنا إسحق بن محمد بن إسحق السوسى، أخبرنا أبو عمر الزاهد:

أخبرنا علي بن محمد بن الصائغ، حدثني أبي: قال:

رأيت الحسين بن علي بن أبي طالب بعينى وإلا فعميتا، وسمعت بآذنى وإلا فصمتا، وقد على معاوية بن أبي سفيان زائرا فأتاه في يوم

جمعة وهو قائم على المنبر خطيبا

فقال له رجل من القوم: يا اميرالمؤمنين ائذن للحسين بن عليّ يصعد المنبر.

فقال معاوية: ويلك، دعني أفتخر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا ابن بطحاء مكة؟

فقال الحسين (ع): إي والذي بعث جدّي بالحقّ بشيرا!

ثم قال: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا خال المؤمنين؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٦

فقال: إي والذي بعث جدّي نبيا!

ثم قال: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا كاتب الوحي؟

فقال: إي والذي بعث جدّي نذيرا!

ثم نزل معاوية، فصعد الحسين بن عليّ، فحمد الله عزّ وجلّ بمحامد لم يحمده الاّولون والآخرين، ثم قال: حدّثني أبي، عن جدّي، عن

جبرئيل (ع)، عن ربّه عزّ وجلّ: أنّ تحت قائمة كرسيّ العرش ورقة آس خضراً مكتوب عليها: لا إله الاّ الله، محمّد رسول الله، يا شيعة

آل محمّد، لا يأتى أحد منكم يوم القيامة يقول لا إله الاّ الله الاّ أدخله الله الجنّة.

قال: فقال معاوية بن أبي سفيان: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، من شيعة آل محمّد؟

فقال: الذين لا يشتمون الشيخين أبابكر وعمر، ولا يشتمون عثمان، ولا يشتمون أبي، ولا يشتمونك يا معاوية!

ثم قال ابن عساکر: هذا حديث منكر، ولا أرى إسناده متّصلا إلى الحسين، والله أعلم. (١)

إضافة إلى هذا، فإنّ عليّ بن محمّد الصائغ الراوي عن أبيه في سند هذه الرواية ممّن ضعفهم الخطيب أبوبكر عليّ ما في (ميزان

الاعتدال، ٣: ١٥٣ رقم ٥٩٢٤) وكذلك في (لسان الميزان، ٤: ٢٥٤ رقم ٦٩١).

وفي السند أيضا من هو مجهول مثل المروزي العماری (لا ترجمه له في كتب الرجال المعروفة).

فالرواية لا يُعْبَأُ بها سندا ... أما متنها فيغني عن متابعة سندها لما فيه من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٧

افتراء واضح على الامام (ع)، حتّى أنكره ابن عساکر نفسه الذي قد يغفل عن روايات منكرة كثيرة أو قد يغضّ الطرف عنها!

نعم، في متن هذه الرواية نصّ تؤيّدُه وتسندُه روايات أخرى عندنا، وهو:

(لا إله الاّ الله، محمّدا رسول الله، يا شيعة آل محمّد، لا يأتى أحد منكم يوم القيامة يقول لا إله الاّ الله الاّ أدخله الله الجنّة).

غير أنّ صاحب الافتراء في هذه الرواية نسج حول هذا النصّ الادعاءات الاخرى الكاذبة! المنافية للماءثور عن نهج وسيرة أبي عبد الله

(ع).

إنّ سيرة الامام الحسين (ع) شاهدة على أنّه ما خطب في محفل عام الاّ ونشر من فضائل أهل البيت (ع) وفضل شيعتهم ما تشرأب له

الاعتناق وتهفو له الارواح، وكشف عن نقائص ومثالب أعدائهم من بنى أميّه وغيرهم ما تشمئزّ منه النفوس.

والعارف بمنسوجات الاعلام الامويّ ومفتعلاته من الروايات التي تصبّ في مجرى تنظيف سمعه معاوية وعثمان وبعض الصحابة ممّن

ليس لهم منقبة تُذكر في حياة النبيّ (ص) يعلم من نسق المتن أنّ هذه الرواية من تلك المفتعلات المكذوبة والمنسوجات الموهومة.

الرواية الثالثة ص: ٣٠٧

(وقال عمر بن سُبَيْنَة: حجّ يزيد في حياة أبيه، فلمّا بلغ المدينة جلس على شراب له، فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقبل له: إنّ ابن

عبّاس إن وجد ريح الشراب عرفه، فحجبه وأذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب.

فقال: لله درُّ طيبك ما أطيبه! فما هذا؟

قال: هو طيب يصنع بالشام.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٨

ثم دعا بقدر فشربه، ثم دعا بآخر، فقال: إسق أبا عبد الله.

فقال له الحسين: عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني!

فقال يزيد:

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب

إلى الفتيات والشهوات والصهباء والطرب

وباطية مكلفة عليها سادة العرب

وفيهنّ التي تبتل فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تبتل. «١»

إنّ عمر بن سبيئ (عمر بن سبيئ: كما في الكامل في التاريخ: ٣١٧: ٣ (إدارة الطباعة المنيرية مصر الطبعة الاولى) أو عمر بن سمينه

على احتمال ثالث، ليس له ترجمة في كتب الرجال المعروفة. أمّا احتمال كونه عمر بن سفينه فقد قال فيه الذهبي في ميزان

الاعتدال: (لا يُعرف ... وقال البخاري إسناده مجهول) «٢» وعلى احتمال كونه عمر بن شبيبة؛ فقد قال فيه الذهبي أيضا في ميزان

الاعتدال: (مجهول). «٣»

أمّا من جهة محتواها فهو أيضا يغنينا في تكذيبها عن متابعة نوع سندها، ذلك لأنّه على فرض أنّ يزيد قد ذهب للحجّ فعلا، فقد ذهب

في السنين الاواخر من عمر أبيه معاوية، والاقوى أن أباه دفعه إلى الحجّ بعد أو أثناء محاولاته لاخذ البيعة له بولاية العهد من بعده،

لتشيع عنه مقالة الايمان والصلاح

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٩

والتقوى خدعة، ودلائل هذه الحقيقة عديدة منها أنّ معاوية لما أراد أن ياءخذ البيعة ليزيد من الناس، طلب من زياد أن ياءخذ بيعة

المسلمين في البصرة، فكان جواب زياد له: (فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروذ، ويلبس المصنّغ

ويدمن الشراب، ويمشى على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر!؟

ولكن تاءمره ويتخلّق باءخلاق هؤلاء حولا أو حولين، فعسانا أن نموّه على الناس!!). «١»

وهذا دليل على أنّ خدعة التخلّق بمظاهر التدين في حياة يزيد إنّما كانت تمهيدا لاخذ البيعة له بولاية العهد، وما كان هذا إلّا بعد

وفاة الامام الحسن (ع)، أي في العقد الاخير من حياة معاوية.

وقد نصّ اليعقوبي في تاءريخه أنّ يزيد ولّى الحجّ سنة إحدى وخمسين للهجرة، «٢» وكذلك قال ابن الاثير في تاءريخه، «٣» وكذلك

قال الطبري في تاءريخه. «٤»

وفي تلك الايام، كان فسق وفجور يزيد أظهر من أن يخفى على أكثر الناس بدليل نفس نصّ جواب زياد لمعاوية! فكيف يخفى

ذلك على الحسين (ع)؟!؟

في تلك الايام خاطب الامام الحسين (ع) معاوية بصدد يزيد قائلا:

(وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لا مة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد كاءنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا أو

تخبر عمّا كان

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٠

مما احتويته بعلم خاص! وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراءه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبْق لا تراهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصرا ودع عنك ما تحاول (...). «١»
وفي تلك الايام قال (ع) لمعاوية أيضا:

(... هذا هو الافك والزور، يزيد شارب الخمر مشتري اللهو خير مني...؟!..). «٢»

إذا كان هذا، فكيف نصدّق أنّ الامام الحسين (ع) يستاءذن للدخول على يزيد في المدينة، وهو على هذه المعرفة التامة بفسق يزيد وفجوره؟!

أليس في دخوله عليه ومجالسته معنى التأييد والدعم له؟! وكيف يوافق هذا معارضة الامام (ع) الشديدة والصريحة لمعاوية في مساءلة البيعة ليزيد؟! إنّ هذا ما لا يفعله مؤمن عادي يدرك الاثر السياسي والاجتماعي لمثل هذا الفعل، فما بالك بالامام الحسين (ع)؟! وهو يعلم أنّ في كلّ حركة أو سكنة منه إشارة ذات معنى للامة.

ثمّ كيف يجسر يزيد على مثل هذا التصرف بمحضر الامام (ع) على فرض أنّهما اجتماعا فعلا- خصوصا وأن سفر يزيد إلى مكة والمدينة كان لاظهار تديّنه وصلاحه وإظهار لياقته للخلافة؟!

لقد علّق المؤرّخ المصري الشيخ عبدالوهاب النجار في حاشية (الكامل في التواريخ) على هذه الرواية قائلا:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١١

(أعتقد أنّ هذه الابيات مصنوعة منحولة، فلم يكن يزيد من البلاهة بحيث يعرض ذلك على الحسين ويوجد عليه مقالا، وإذا نظرنا من جهة أخرى إلى أنّ معاوية إنّما ولّى ابنه الحجّ لتشيع عنه قاله الخير، ويوصف بالدين والتقوى، فلانشك في أنّ يزيد كان في حجّه يتسمّت ويظهر التمسك بالدين وهذا ينافي هذه الرواية. وقد أحسن ابن جرير (الطبري) كلّ الاحسان في إهمالها ولعلّها اخترعت بعد زمانه!). «١»

الرواية الرابعة ص : ٣١١

(وأخبرنا محمّد بن أبي الازهر قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا أبو يزيد عمر بن شبة قال: حدّثنا سعيد بن عامر الضبعي، عن جويرية بن أسماء قال:

لما أراد معاوية البيعة ليزيد ولده كتب إلى مروان وهو عامله على المدينة، فقرأ كتابه وقال: إنّ اميرالمؤمنين قد كبر سنّه ودقّ عظمه، وقد خاف أن يأتية أمر الله تعالى فيدع الناس كالغنم لا راعي لها، وقد أحبّ أن يُعلم علما ويقيم إماما!

فقالوا: وفقّ الله اميرالمؤمنين وسدّده، ليفعل!

فكتب بذلك إلى معاوية، فكتب إليه: أن سمّ يزيد!

قال: فقرأ الكتاب عليهم وسمّى يزيد، فقام عبدالرحمن بن أبي بكر (ر).

فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية معك! لا يكون ذلك! لا تُحدّثوا علينا سنّة الروم! كلّما مات هرقل قام مكانه هرقل!

فقال مروان: إنّ هذا الذي قال لوالديه: ائفّ لكما اءتعدانني اءن اءخرج. قال:

فسمعت ذلك عائشة (رض) فقالت: ألا بن الصديق يقول هذا؟! استروني.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٢

فستروها، فقالت: كذبت والله يا مروان، إنّ ذلك لرجلٌ معروف نسبه.

قال: فكتب بذلك مروان إلى معاوية، فاقبل، فلما دنا من المدينة استقبله أهلها، فيهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن علي وعبدالرحمن بن أبي بكر رضوان الله عليهم أجمعين.

فاقبل علي عبدالرحمن بن أبي بكر فسبّه فقال: لا مرحبا بك ولا أهلا!

فلما دخل الحسين (ع) قال: لا مرحبا بك ولا أهلا، بدنه يترقرق دمها والله مهريقه!

فلما دخل ابن الزبير قال: لا مرحبا بك ولا أهلا، صبّ تلعه مدخل رأسه تحت ذنبه!

فلما دخل عبدالله بن عمر قال: لا مرحبا بك ولا أهلا وسبّه.

فقال: إنني لست باءهل لهذه المقالة.

قال: بلي، ولما هو شرّ منها!

قال: فدخل معاوية المدينة وأقام بها، وخرج هو لاء الرهط معتمرين، فلما كان وقت الحجّ خرج معاوية حاجًا.

فاقبل بعضهم على بعض فقالوا: لعله قد ندم!

فأقبلوا يستقبلونه. قال: فلما دخل ابن عمر قال: مرحبا بك وأهلا بابن الفاروق، هاتوا لابي عبدالرحمن دابة! وقال لابن أبي بكر:

مرحبا بابن الصديق، هاتوا له دابة! وقال لابن الزبير: مرحبا بابن حوارى رسول الله، هاتوا له دابة! وقال للحسين: مرحبا بابن رسول الله،

هاتوا له دابة!

وجعلت أطفاه تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس، ويحسن إذنههم وشفاعتهم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٣

قال: ثم أرسل إليهم!

فقال بعضهم لبعض: من يكلمه؟

فأقبلوا على الحسين فآبى!

فقالوا لابن الزبير: هات، فاءنت صاحبنا.

قال: علي أن تعطوني عهد الله ألا أقول شيئا إلا تابعتوني عليه!

قال: فاءخذ عهودهم رجلا رجلا، ورضى من ابن عمر بدون ما رضى به من صاحبيه.

قال: فدخلوا عليه، فدعاهم إلى بيعة يزيد، فسكتوا!

فقال: أجيوني. فسكتوا!

فقال: أجيوني. فسكتوا!

فقال لابن الزبير: هات، فاءنت صاحبهم!

قال: إختز منّا خصلة من ثلاث!

قال: إن في ثلاث لمخرجا.

قال: إما أن تفعل كما فعل رسول الله (ص).

قال: ماذا فعل؟

قال: لم يستخلف أحدا!

قال: وماذا؟

قال: أو تفعل كما فعل أبو بكر.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٤

قال: فعل ماذا؟

قال: نظر إلى رجل من عرض قريش فولاه!

قال: وماذا؟

قال: أو تفعل كما فعل عمر بن الخطاب.

قال: فعل ماذا؟!

قال: جعلها شورى في سته من قريش!

قال: ألا تسمعون؟! إني قد عودتكم على نفسى عادة، وإني أكره أن أمنعكموها قبل أن أبين لكم، إن كنت لا أزال أتكلّم بالكلام فتعترضون عليّ فيه، وتردون عليّ، وإني قائم فقائل مقالة، فأياكم أن تعترضوا حتى أتمّها، فإن صدقت فعليّ صدقي، وإن كذبت فعليّ كذبي، والله لا ينطق أحد منكم في مقاتلي إلّا ضربت عنقه! ثم وكل بكلّ رجل من القوم رجلين يحفظانه لئلا يتكلّم ...

وقام خطيبا فقال: إنّ عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن عليّ وعبدالرحمن بن أبي بكر قد بايعوا، فبايعوا.

فانجفل الناس عليه يبايعونه، حتى إذا فرغ من البيعة ركب نجائبه فرمى إلى الشام وتركهم. فاء قيل الناس على الرهط يلومونهم! فقالوا: والله ما بايعنا، ولكن فعل بنا وفعل. (١)

ورواها ابن الاثير مرسله بتفاوت في كتابه الكامل في التاءريخ، (٢) وفيها:

أن معاوية قال لابن الزبير أخيرا: هل عندك غير هذا؟!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٥

قال: لا.

ثم قال: فاءنتم؟!

قالوا: قولنا قوله!

كما رواها ابن قتيبة مرسله بتفاوت أيضا في الامامة والسياسة. (١)

ويكفي في مناقشة سندها أن نقول إنّ الراوى الذى ينتهى إليه سند هذه الرواية هو جويزية بن أسماء الذى قال فيه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع): (وأما جويزية فنديق لا يفلح أبدا). (٢)

وأما أول رجل في سندها، وهو محمد بن أبى الازهر فقد قال الذهبى في ترجمته: (يروى عن الزبير بن بكّار، فيه ضعف وقد ترك، وأتهم وقيل بل هو متهم بالكذب. قال الخطيب: قد وضع أحاديث). (٣) فالرواية ساقطة سندا.

أما متنها فقد احتوى على ما تاءباه ساحة الحسين (ع) المقدسة وتتنزه عنه، من قبيل سكوتة وهو صاحب شعار (هيهات منا الذلة) على الاهانة التى وجهها إليه معاوية عندما لقيه على مشارف المدينة حيث قال له بزعم هذه الرواية: (لا مرحبا بك ولا أهلا، بدنه يترقرق دمها والله مهريقه!).

ومن قبيل تفويض الامر لابن الزبير ليكون ناطقا باسم كبار المعارضين، والامام الحسين (ع) يعلم من هو ابن الزبير وما هى دوافعه للمعارضة! ويعلم انحراف عقيدته! ويعلم رأيه فى أهل البيت (ع) وفى قضية الخلافة بالذات التى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٦

هى أساس المحاجة مع معاوية!!

فكيف يمكن للامام (ع) أن يمضى قول ابن الزبير وادّعاءه أن رسول الله (ص) قبض ولم يستخلف أحدا؟!

أليس إمضاء هذا القول إقراراً بالمغالطة الكبرى التي اءُغْتُصبت بها الخلافة، وتنازلاً عن مبدأ القول بالنص على خلافة عليّ (ع)؟! هذا فضلاً عن أن الامام (ع) لا تنقصه الجرأة والقدرة والبلاغة على مخاطبة معاوية بما هو الحق، وكلّ مواقف الامام (ع) مع معاوية شاهدة على جرأته في الصدع بالحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٧

الفصل الثالث: قصة بداية الثورة ص : ٣١٧

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٩

الفصل الثالث: قصة بداية الثورة

موت معاوية بن أبي سفيان: ص : ٣١٩

حكم معاوية حوالي اثنين وأربعين سنة من عمره البالغ أكثر من سبعين سنة، منذ أن عينه عمر بن الخطاب في السنة الثامنة عشرة من الهجرة واليا على دمشق خلفاً لآخيه يزيد بن أبي سفيان الذي توفى فيمن توفى في طاعون عمواس، إلى أن توفى معاوية في سنة ستين للهجرة.

منها سبع عشرة سنة تقريباً واليا في عهد كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وخمس سنوات تقريباً متمرداً باغياً في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم تسع عشرة سنة وبضعة أشهر ملكاً على جميع البلاد الإسلامية، وهو القائل: (أنا أول الملوكة (١) و) رضينا بها ملكاً (٢).

ولو أغمضنا عن أهنيئة وخطورة الدور الرئيس الذي قامت به قيادة حزب السلطة في تأسيس الانحراف لرأينا معاوية بن أبي سفيان أهم الرجال خطراً وأثراً على الإسلام وعلى حياة المسلمين، وفيما مضى من هذا الكتاب أدلة مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٠ عديدة كافية لا ثبات هذه الحقيقة.

ومعاوية بن أبي سفيان ليس بدعا من الطواغيت الذين تحكّموا في حياة الامم ومصائرهما، واءُشربوا حب الدنيا في قلوبهم، وانقادوا لشهواتهم في كلّ لذائذها انقياد منهوم لا يروى ولا يشبع، إذا دنا منهم الاجل وأحسوا بمرارة الفوت ولوعة الفراق وانتهاء المهلة، وأشرفوا على العذاب المقيم، تمنّوا أن لم يكونوا قد فعلوا ما فعلوا، (ولورّدوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون). (١) قال المسعودي:

(وذكر محمّد بن إسحاق وغيره من نقله الاثار: أنّ معاوية دخل الحمام في بدء علته التي كانت وفاته فيها، فرأى نحول جسمه، فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليقة، وقال متمثلاً:

أرى الليالي أسرع في نقضي اءُخَذَنَ بعضي وتركن بعضي

حَتَيْنَ طولى وَحَتَيْنَ عرضي أقعدنتني من بعد طول نهضي

ولمّا اءَزَفَ امره، وحن فراقه، واشتدّت علته، وآيس من بُرئهِ، اءُنشأ يقول:

فياليتني لم اءُعَنَ في الملك ساعة ولماء ك في اللذات اءُعشى النواظر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من الدهر حتّى زار أهل المقابر (٢)

وعلى كثرة جرائمه الموبقة التي لا تحصى، والدماء الزاكية المحرمة التي سفكها، والاعراض المصونة التي هتكها، قيل إنه لما تناهت جسمه العلة، وشعر بدنؤ أجله، كان أشد ما يحزنه من تلك الجرائم التي اقترفها جريمته المنكرة في قتل حُجر بن عدى الكندي (ره) وأصحابه الميامين، فقد كان يقول:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢١

(ويلي منك يا حجر) و (إن لي مع ابن عدى ليوما طويلا!) «١».

وكان معاوية أواخر أيامه يستشعر ملل الامية منه وسئمها من وجوده، حتى لقد روى أنه قد خطب قبل مرضه فقال: (إني كزوع مستحصد وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتوني وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ...) «٢»، كما كان معاوية يستشعر قبيل وفاته أن الناس شامتون به لقرب رحيله إلى دار الجزأ ولمصيره الاسود عند الله تعالى، فقد روى أنه:

(لما ثقل معاوية، وحدت الناس أنه الموت، قال لا هله: احشوا عيني إثمدا وأوسعوا رأسي دهنا. ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن، ثم مهد له، فجلس وقال:

أسندوني، ثم قال: إئذنوا للناس فليسلموا قياما ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائما فيراه مكتحلا مدهنا، فيقول: يقول الناس هو لما به، وهو أصح الناس!!، فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

وتجلدى للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعع

وإذا المتيئة أنشبت أظفارها ألفت كل تميمه لا تنفع

قال: وكان به النفاثات «٣» فمات من يومه ذلك.. «٤»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٢

وهلك معاوية في النصف من رجب، وقيل: مات لهلال رجب، وقيل: لثمان بقين منه. «١»

(ولولا هواي في يزيد لا بصرتُ رشدي وعرفتُ قصدي ..) «٢»

هذه العبارة من أقوال معاوية التي لا يمكن لمؤرخ يتلمس حقائق الامور في ماورأ السطور أن يمر عليها مرور الكرام دون أن يتأمل في أبعاد دلالتها، ذلك لا- نها من نوع العبارات التي تصدر عن الطواغيت في حالة من حالات الاسترخاء والضعف النفسى التي تتكشف فيها الاعماق المكونة وتظهر فيها المضمرات على فلتات اللسان.

تري ما هو هذا الرشد الذي عناه معاوية بقوله هذا!!!؟

هل هو الايمان والاستقامة على الصراط المستقيم ورد حق كل ذي حق إليه والانابة إلى الله تبارك وتعالى والتوبة إليه ..؟!؟

لاشك أن الرشد الذي عناه معاوية ليس هذا، لأن وجود يزيد وحب معاوية الشديد له وتعلقه به لم يكن يوما ما عائقا عن نبيل هذا الرشد والوصول إليه، بل العكس هو المحتمل احتمالا قويا، وهو أن رشاد معاوية لو كان راشدا يحتمل احتمالا كبيرا أن يكون سببا في رشاد يزيد وهدايته.

وقد يتصور البعض أن معاوية كان على يقين بآء يزيد ليس أهلا لتولى زمام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٣

الحكم، وكان إصرار معاوية على استخلاف يزيد إصرارا على ذنب كبير متيقن، كما صرح معاوية بذلك ليزيد فيما نسب إليه: (ما ألقى الله بشي أعظم من استخلافى إياك). «١» وقد اقترف معاوية وزرا عظيما فيما جناه على الامة بتحويل الخلافة إلى ملك عضوض لايعنى فيه يا رادة الامة واختيارها!!

ولكن، متى كان الاب أهلا وصالحا حتى يرى عدم تاءهل ابنه وزرا!!؟

وهل حكم الاب يا رادة الامة واختيارها حتى يرى تحوّل الحكم إلى ملك عضوض وزرا كبيرا يلقي الله به؟! والاب هو القائل: رضينا

بها ملكا، وأنا أول الملوكة، مستهزئا بالخلافة وباختيار الأمة!!

إنّ الرشد الذي عناه معاوية هو: تهيئة كلّ عوامل دوام الحكم الامويّ وبقائه، واستمرار آثار ضلاله على الارض!!

وتوضيح ذلك: أنّ معاوية بما لديه من خبرة عميقة، وتجربة طويلة، ودهاء نادر، كان يعلم أنّ استمرار نجاح جهود حركة النفاق التي انتجت الحكم الامويّ الجاهلي المتستر بالمظهر الاسلامي، يقتضى فيما يقتضيه أن يأتى بعد معاوية حاكم آخر داهية أيضا يتصنّع الايمان والحكمة والحلم، ولا يرتكب من حماقات ما يفضح خطّة التستر بلباس الدين، حتّى تستمرّ الخدعة إلى وقت لا يبقى من الدين إلّا إسمه، ومن القرآن إلّا رسمه، ومن التشريع إلّا ما وافق الشرع الامويّ .. هذا هو الرشد الذي عناه معاوية!!

ومعاوية يعلم أنّ هذه المتطلّبات لا تتوفر في يزيد، بل في يزيد من الرعونّة والحماقة والافتضاح ما يكفي لهدم ما بنته حركة النفاق طيلة خمسين سنة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٤

بعد رسول الله (ص) ...

لكنّ معاوية في حبه لذاته وليزيد كامتداد وجودي ونسبي له كان قد أصرّ على استخلاف يزيد انقيادا له ذا الهوى، وهذا هو معنى التعارض الذي عناه في عبارته:

ولولا هواي في يزيد لا بصرت رشدي ص : ٣٢٤

وقد ظنّ معاوية على ما يبدو أنّ نقاط الضعف في شخصيّة يزيد يمكن أن تعالج بوصايا تفصيليّة يوصى بها، وبإحاطته بمستشارين أكفاء يحولون بينه وبين أن يرتكب حماقة كبرى لا يجبر كسرهما ولا يرتق فتقها.

وهكذا كان، ومن أهمّ وصايا معاوية لابنه يزيد الوصية التي رسم له فيها كيفية التعامل مع رؤوس المعارضة، والتي ورد فيها:

(أنظر أهل الحجاز فإنّهم أصلك، فاء كرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وأنظر أهل العراق فإنّ ساءلوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملا فافعل، فإنّ عزل عامل أحبّ إلى من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإنّ نابك شئ من عدوك فاتصر بهم، فإنّ أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنّهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم.

وإنّي لست أخاف من قريش إلّا ثلاثة، حسين بن عليّ، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، فاء ما ابن عمر فرجلٌ قد وقذه الدين (!) فليس ملتصقا شيئا قبلك. وأما الحسين بن عليّ فإنّنه رجل خفيف (!) وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذله أخاه، وإنّ له رحما ماسّة وحقا عظيما وقرابة من محمّد صلّى الله عليه وسلّم ولاأظنّ أهل العراق تاركيه حتّى يخرجوه، فإنّ قدرت

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٥

عليه فاصفح عنه، فإنّني لو أتى صاحبه عفوت عنه. وأمّا ابن الزبير فإنّنه حَبُّ ضَبُّ، فإنّ إذا شخص لك فالبد له، إلّا أن يلتمس منك صلحا، فإنّ فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت). (١)

هذه الوصية مع ما أريد فيها من ثناء على ابن عمر وإساءة للامام (ع) تنسجم تماما مع الخطّ العام لمنهج معاوية، خاصيّة في نوع التعامل المطلوب مع الامام الحسين (ع)، ذلك لأنّ معاوية يدرك تماما أن قتل الامام الحسين (ع) في مواجهة عليّ عموما وبالطريقة التي يختارها ويرسم حركة أحداثها الامام الحسين (ع) خصوصا سيقرب السحر على الساحر، وسيفصل الاسلام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٦

عن الامويّ، ويمزّق الاطار الديني الذي يتشبّه به الحكم الامويّ، ويمنح الأمة روحا ثوريّة وتضحويّة جديدة خالصة من كلّ شوائب وآثار الشلل النفسي، وبذلك تتابع الثورات ضدّ الحكم الامويّ، وعندها يبدأ العدّ التنازلي لعمر هذا الحكم حتّى يصل إلى نهايته المحتومة، فيمسي خيرا من أخبار تاريخ الامم، وحديثا من أحاديث الحضارات البائدة، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

من هنا .. يطمئن الباحث المتأمل إلى أن معاويةً لهذه الاسباب لابد أن يوصى يزيد بالمتاركة مع الامام الحسين (ع) وبعدم إثارته والتعرض له بما يدفعه إلى التمرد والخروج والثورة، وبالعفو عنه في حال المقدرة عليه.
وليس ذلك من معاوية حبا للامام (ع)، بل حرصا على بقاء واستمرار الحكم الاموي، وخوفا من النتائج الضارة التي تفرزها المواجهة العلية معه.

وقد رويت هذه الوصية في المصادر التاريخية بصورة أخرى «١»، فيها أن معاوية تخوف على يزيد من أربعة لا من ثلاثة، والرابع هو عبدالرحمن بن أبي بكر، في حين أن هذا الأخير كان قد توفي قبل معاوية، مما دفع ببعض المحققين «٢» الى رفض هذه الوصية والقول بآنها مكذوبة، لهذا السبب ولا سببٍ أخرى منها أنه لا يعقل أن يوصى معاوية ابنه يزيد بالعفو عن الامام الحسين (ع) إن ظفر به!

إذ: (لم يكن معاوية بالذي يرضى لرسول الله (ص) حرمة أو قرابة حتى يوصى ابنه برعاية آل محمّد، كلّا أبدا، فقد حارب الرسول في الجاهلية حتى أسلم كرها يوم فتح مكة، ثم حارب صهر الرسول وخليفته وابن عمه عليا، ونزا على مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٧

خلافه المسلمين، وانتزعها قهرا، وسمّ ابن بنت الرسول الحسن، فهل يُصدّق بعد هذا كلّه أن يوصى بمثل ما أوصى به؟! «١»
والماتمل يرى أن استبعاد هذا المحقق لهذه الوصية على أساس هذا السبب، إنّما نشاء عن الخلط بين المواجهة العلية مع الامام (ع) والمواجهة السرية معه من حيث نوع الاثار والنتائج، أو عن تصوّر أنّ الامر منحصر في المواجهة السرية التي يتم فيها قتل الامام (ع) بتدبير وتخطيط من الحكم الاموي في ظروف زمانية ومكانية يختارها ويصنعها الحكم الاموي نفسه.

نعم، في المواجهة السرية يمكن لمعاوية أو يزيد أن يتوسل لقتل الامام (ع) بوسائل متعدّدة، منها السمّ والاختيال، وغير ذلك، ثم يمؤّه على مقتله بآء كثر من اذعاء كاذب لتبرئة ساحته من تلك الجريمة، فتنتظلي الحيلة على الامية، ولا يكون لمقتله (ع) في مثل هذه المواجهة تلك الاثار المحذورة التي تكون لمقتله في مواجهة عليّته مكشوفة.

ولكنّ الامر ليس منحصرًا في احتمال المواجهة السرية، بل هناك احتمال حصول المواجهة العلية التي يستطيع فيها الامام (ع) نفسه أن يختار ظروفها الزمانية والمكانية ويصنع أجواها الاعلامية والتبليغية كما يريد هو لا كما يريد معاوية أو يزيد، فتكون كلّ آثارها ونتائجها في صالح الامام (ع) وفي ضرر الحكم الاموي، كما حصل ذلك بالفعل في واقعة عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة، الامر الذي كان يخشاه معاوية ويتحاشاه طيلة أيام المواجهة بينه وبين الامام الحسين (ع).

لقد كان معاوية يعلم يقينا أنه: في إطار مواجهة عليّته وخصوصا المواجهة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٨

التي تتم في ظروف زمانية ومكانية وعسكرية وإعلامية بتخطيط من الامام (ع) يكون العفو عن الامام (ع) عملا إعلاميا لصالح النظام الاموي، ولذا فإنّ هذه الوصية في هذه الحدود منطقية ومنسجمة مع دهاء معاوية ونمط تفكيره، ولا يصحّ استبعادها.

وقال هذا الكاتب في الختام:

(ولو أنّ الوصية المزعومة كانت صحيحة لما كان يزيد لا همّ له بعد موت أبيه إلّا تحصيل البيعة من الحسين وتشديده على عامله بالمدينة بلزوم إجبار الحسين على البيعة). «١»

و واضح أنّه لا تلازم بين وجود الوصية وبين تنفيذها من قبل يزيد، فمن الممكن أن يوصى معاوية يزيد بآء مور ثم لا ينفذها ولا يآخذ بها يزيد، وقد أوصى معاوية يزيد بآء مور لم يطعه فيها أيام حياته، منها مثلا عدم إظهار التهتك، والتسّتر عليه، والفارق بين الشخصيتين واضح وكبير!

وقد يُقال:

إن هذه الوصية كانت في غياب يزيد، وقد حملها معاوية كلاً من الضحاک بن قيس د الفهري ومسلم بن عقبه المرّي ليوصلها إلى يزيد، ومن المحتمل أنّها لم تصل إليه!

وهذا أمر مستبعد، لم تحمل أئمة رواية تاريخية إشارة ما إلى احتمالها. ومع هذا فإنّ من البعيد جداً أيضاً أنّ معاوية منذ أن عزم على استخلاف يزيد من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٩

بعده لا يكون قد شافه وطارح يزيد بآرائه ووصاياه في كلّ القضايا المهمّة التي ستواجه يزيد أثناء حكمه، ولا شك أنّ هذه القضية هي الأهم.

نعم، يمكن أن يقال في ختام بحث هذه المسألة:

إنّ معاوية بإصراره على تنصيب يزيد من بعده، وأخذ الناس بالبيعة له بولاية العهد كان قد أمضى عملياً قتل الامام الحسين (ع) من بعده، وذلك لأنّه يعلم أنّ يزيد سيرتكب هذه الجريمة الشنعاء من طريقين على الأقلّ هما:

أولاً: كان قد انتشر في الأئمة أنّ الامام الحسين (ع) يُقتل في أرض في العراق يقال لها كربلاء مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه، وكان قد انتشر أيضاً أنّ يزيد قاتله، بل كان عمر بن سعد إذا دخل مسجد الكوفة أشار الناس إليه قائلين:

هذا قاتل الحسين، حتّى شكّا ذلك إلى الامام الحسين (ع) نفسه، كلّ ذلك نتيجة ما تناقلته الأئمة من الاخبار الكثيرة بذلك، ماء ثورة عن النبيّ (ص) وعن اميرالمؤمنين والحسن والحسين (ع) وعن جمع من الصحابة.

فهل يُعقل أنّ معاوية لم يسمع بذلك، وهو الذي كان يتابع كلّ شاردة من أخبار الملاحم الماء ثورة عن النبيّ (ص) وعن اميرالمؤمنين (ع) وخصوصاً فيما يتعلق بمستقبل بنى أمية وعدد حكامهم وكم يحكمون وما إلى ذلك.

ثانياً: كان معاوية يتباهى أنّه أعرف الناس بالرجال عامّة وبقريش خاصّة، فهل يُتصوّر أنّه لم يعرف يزيد ابنه وهو منه على هذا القرب، من حيث التركيب النفسى والمؤثرات الحاكمة في شخصيته والمويل الطاغية عليه، وكيفية نظره في الامور وطريقه معالجته المشاكل،

بل وحقده وحنقه على الامام الحسين (ع) خاصّة، أليس د معاوية هو القائل في رسالته للامام الحسين (ع): (ولكنّي قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة وبودى أن يكون ذلك في زمانى فاءعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك، ولكنّي والله أتخوّف أن تُبتلى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٠

بمن لا ينظر لك فواق ناقة... «١» يعنى يزيد!؟

من هنا، فإنّ النتيجة العمليّة الاولى لا صرار معاوية على استخلاف يزيد بعده هي قتل الامام الحسين (ع) على علم من معاوية بذلك، ولا ينافى هذا أنّه حاول أن يحول دون تحقّق هذا الامر بالتآكيدات والوصايا التي حثّ فيها يزيد على المسامحة مع الامام (ع) والعفو

عنه إن ظفر به.

وهذا الاصرار من معاوية على استخلاف يزيد يعنى أيضاً أنّ معاوية الذى أشاد كيان الحكم الاموى كان أوّل من أهوى بمعول الهدم على هذا الكيان بتنصيبه يزيد حاكماً بعده.

وقد حقّ له أن يقول:

ولولا هواى فى يزيد لا بصرت رشدى وعرفت قصدى!!

شخصية يزيد بن معاوية: ص : ٣٣٠

ولد يزيد بن معاوية فى الشام سنة ٢٥ أو ٢٦ للهجرة، فى قصر إمارة كثر فيه الترف وكثر العبيد والخدم، و (يبدو مستغرباً بادئ ذى بدء أن نعرف أنّ يزيد نشأ نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الاسلام، وتزيد بالقارى الدهشة إلى حدّ الانكار، ولكن لا يبقى فى الامر ما

يدعو إلى الدهشة إذا علمنا أن يزيد يرجع بالا مومة إلى بنى كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الاسلام، ومن بديهيّات علم الاجتماع أن إنسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمنا طويلا، بين معاودات نفسيّة ورجعات ضميريّة وذكريات مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣١

وجدائيّة، وبالا خصّ إذا كانت عقيدته سيطرت على الافكار والعادات والعرف العام.

والتاريخ يحدثنا أن يزيد نشأ فيها إلى طور الشباب، أو حتّى جاوز طور الطفولة. ومعنى هذا أنه أمضى الدور الذي هو محطّ أنظار المربيين وعنايتهم، وبذلك ثبت على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية وجفاء الطبع.

على أن طائفته من المؤرّخين ترجّح ولايبعد أن يكون صحيحا أن من أساتذته يزيد بعض د نساطرة «١» الشام من مشاركة النصارى، وربّما شهد لهذا التقدير ما جاء في تأريخ الشام لابن عساكر (من أن يزيد كان يعرف طرفا من الهندسة) هذا الفنّ الذي كان مجهولا من العرب، ممّا يضعنا أمام الامر الواقع الذي يتسق تفسيره على ه ذه الوجه، ولا يخفى ما يكون لهذه التربية من أثر سى فيمن سيكون ولّى أمر المسلمين ... فقد كان يتزّيد في تقرب المسيحيين ويستكثر منهم في بطانته الخاصّة، لما إنّه يقع بينهم على من يمتزج به وينسجم معه (على ما يقولون). ولقد اطمأنّ إليهم حتّى عهد بتربية ابنه إلى مسيحي على ما لا اختلاف فيه بين المؤرّخين ...

إذا كان يقينا أو يشبه اليقين أن تربيته يزيد لم تكن إسلاميّة خالصه، أو بعبارة أخرى كانت مسيحيّة خالصه، فلم يبق ما يُستغرب معه أن يكون متجاوزا مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الاسلاميّة، لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أى حساب ولا يقيم وزنا، بل الذي يُستغرب أن يكون على غير ذلك (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٢

وكان يزيد مهتكا في معاصيه ومبازله وهواياته لا ياءبه بالا عرف الاجتماعيّة ولا يقيم لها وزنا، ولم يكن معاوية ينهاه عنها، بل كان يدعوه إلى التستر عليها كي لا يفتضح فيشمت به عدوّ ويساء به صديق، فقد قال له يوما:

(يا بنى ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك ويشمت بك عدوك ويسى بك صديقك، ثم قال: يا بنى إننى منشدك أبياتا فتأدّب بها واحفظها، فأنشده:

انصب نهارا فى طلاب العلا واصبر على هجر الحبيب القريب
حتّى إذا الليل أتى بالدجى واكتحلت بالغمض عين الرقيب

فباشر الليل بما تشتهى فأتما الليل نهار الارب

كم فاسقٍ تحسبه ناسكا قد باشر الليل باءمٍ عجيب

غطى عليه الليل أستاره فبات فى أمنٍ وعيشٍ خصيب

ولذّة الاحمق مكشوفة يسعى بها كلّ عدوّ مُريب «١»

وكاءنّ معاوية يحدثه عن تجربته هو فيما يتستر به فى الليل!!

ولمّا أراد معاوية أن ياءخذ البيعة ليزيد من الناس، طلب من زياد أن ياءخذ بيعة المسلمين فى البصرة، فكان جواب زياد له: (فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروء، ويلبس المصبّغ، ويُدمن الشراب، ويمشى على الدفوف ...). «٢»

وفى هذا الخبر إشارة واضحة إلى أن يزيد كان مشهورا بذلك عند الناس، ويؤ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٣

يد ذلك قول الامام الحسين (ع) لمعاوية:

(كاءنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فى ما أخذ من استقراره الكلاب المهارش عند التحارش، والحمام السُّبِق لا ترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى، تجده ناصرا ودع

عنك ما تحاول (...). «١»

بل هناك عبارة لابن كثير في تاء ريخه تصرّح باشتهار يزيد في ذلك:

(اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد، واتّخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقروود، وما من يوم إلّا ويصبح فيه مخمورا...). «٢»

بل عدّه بعض المؤرّخين من الاوائل في ذلك:

(كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء، والصيد واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القروود، والمعافرة بالكلاب والديكة). «٣»

ومنذ أن فتح عينيه على الدنيا في قصر أبيه، كانت كلّ طلباته مستجابة فوراً، فما تعود أن يُردّ له طلب، وكان هذا من الاسباب الذي جعلت شخصيته ذات بُعدٍ واحدٍ خلافاً لشخصية أبيه المتعدّدة الابعاد، وجعلت منه قاصر النظر ضعيف الرأي لا ينظر إلى أمرٍ ما إلّا من زاوية واحدة من زواياه، ولذا فقد عالج القضايا المستعصية التي واجهها بحسبٍ أرعن لا يرتكز على أساسٍ من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٤

حكّمه ونضح وبصيرة، وكائن الدنيا كلّها قصر أبيه المترف فلا ينبغي لا حدٍ إلّا أن يخضع لا مره ورغبته (ولم يكن يزيد يحتمل أن يلتوى عليه أحدٌ بطاعة، وإنّما كان يرى أنّ طاعته حقٌّ على الناس جميعاً، فمن التوى بها عليه فليس له عنده إلّا السيف). «١»
وكان قصور نظره وضعف رأيه وتشنّجه النفسى قد تجلّى في القضايا الكبرى كقضية مواجهة الامام الحسين (ع)، ومواجهة انتفاضة المدينة المنورة.

فقد كان يزيد هو الذي أمر بقتل الامام الحسين (ع)، إذ قد خير عبيدالله بن زياد بين قتله أو قتل الامام (ع)، وبين أن يبقى حُرّاً يحمل اللقب الامويّ أو يعود عبداً روميّاً كما هو حقيقة، يقول عبيدالله بن زياد:
(أما قتلى الحسين فإنّه أشار إلىّ يزيد بقتله أو قتلى فاخترت قتله...). «٢»
وروى اليعقوبي أنّ يزيد كتب إلى عبيدالله بن زياد قائلاً:

(قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّها نحوهم، وقد بلّغني به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الايام، فإن قتلته، وإلّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبدي، فاحذر أن يفوتك). «٣»

لكنّ بعض المؤرّخين رووا هذه الرسالة بدون أمر يزيد الصريح بقتل الامام (ع)، كمثّل ابن عساكر الذي رواها مخفّفة هكذا:
(إنّه قد بلغني أنّ حسيناً صار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الازمان،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٥

وبلدك من بين البلدان، وابتليت به أنت من بين العمّال، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما تعتبّد العبيد. فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه). «١»

وفي موضع آخر خفّف ابن عساكر من القضية تخفيفاً أكثر فقال:

(وبلغ يزيد خروجه فكتب إلى عبيدالله بن زياد وهو عامله على العراق، ياء مره بمحاربتة وحمله إليه إن ظفر به، فوجّه اللعين عبيدالله بن زياد الجيش إليه مع عمر بن سعد بن أبي وقاص). «٢»

والغريب أنّ الراوي في هذا النصّ الاخير يوجّه اللعن إلى عبيدالله بن زياد ولا يلعن يزيد الذي أمره بمحاربه الامام (ع)!!

يقول عبدالله العلابي:

(لذلك أعتمد رواية اليعقوبي المحقّقة (من أنّ يزيد أمر ابن زياد بقتل الحسين (ع)، وأشك في غيرها وأميل إلى أنّها «٣» تنصّل من يزيد لمّا رأى عظم ما جنّت يده، وإنّما إعتمدها المؤرّخون المعتدلون تخفيفاً لحمى الماء ساءة). «٤»

ولو لم يكن يزيد هو الامر بالقتل لما ترنم حين رأى السبايا والرؤوس المقدسة على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ربي نهر جيرون قائلا:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشمس على ربي جيرون

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٦

نعب الغراب فقلت صبح أو لاتصبح فلقد قضيت من الغريم ديوني (١)

(ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتازاني والجلال السيوطي بكفره ولعنه...). (٢)

ويعترف يزيد بأنه قاتل الامام الحسين (ع) إقراراً، إذ لما (أتى براءس الحسين إلى يزيد بن معاوية بدمشق فنصب، فقال يزيد: علي بالنعمان بن بشير. فلما جاء:

قال: كيف رأيت ما فعل عبيد الله بن زياد؟

قال: الحرب دُولٌ.

فقال: الحمد لله الذي قتله.

قال النعمان: قد كان اميرالمؤمنين يعني به معاوية يكره قتله.

فقال: ذلك قبل أن يخرج، ولو خرج على أمير المؤمنين والله قتله إن قدر... (٣)

فيزيد في رده هذا يقر بتبني قتل الامام الحسين (ع) إذا خرج، وقد حمد الله على قتله، ثم هو ينسب ه ذا الموقف إلى أبيه معاوية خلافا لما ورد في بعض الاخبار من طريق الفريقين «٤» من أن معاوية قد أوصاه بالمسامحة مع الامام وبالعفو عنه، والتي هي أقرب إلى منهج معاوية في دهائه، ولا يبعد أن يكذب يزيد على أبيه بعد أن أدرك عظم ما اجترح في هذه المأساة، وهو الغرير الذي يفتقر حتى إلى أبسط مسحة من الدهاء.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٧

نعم قد يقدم معاوية على قتل الامام (ع)، خرج أو لم يخرج، إذا رأى أن بقاءه يشكل خطراً عليه أو على الحكم الاموي، ولكنه لا يقتله بهذه الطريقة المكشوفة التي فعلها يزيد، بل يقتله سراً بالسم أو اغتيالاً ثم ينسب الفعل إلى غيره، ويطلب هو بدم الامام (ع) فيوهم الناس ويخدعهم ويزداد بذلك حبا عند أكثر الناس.

ثم إن هناك فارقا واضحا بين موقف معاوية من الامام (ع) وموقف يزيد منه، وهو أن معاوية لم يشدد على الامام في أمر البيعة ليزيد وإن كان قد أوهم الناس أن الامام (ع) قد بايع كما في بعض الروايات، أما يزيد فلم يرخص للامام (ع) في ألبايع، بل ركز بين اثنتين: البيعة أو القتل.

وقد خرج يزيد عن طوره النفاقي فاعظم كفره وعداهه السافر لرسول الله (ص)، وافتخر بانتماؤه إلى جاهليته أسلافه، وإلى حركة النفاق، حينما وضع رأس الامام (ع) بين يديه فتمثل متشفاً بآيات ابن الزبير التي مطلعها:

ليت أشياخي بيد شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وقيل: إن يزيد قد أضاف إليها هذه الآيات من عنده:

لا هلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تُشَل

لست من عتبه إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل (١)

وهذا بنفسه كاشف عن شخصيته يزيد ذات البعد الواحد والتي لا تتمتع بشيء من الدهاء العادي فضلا عن دهاء أبيه.

وكأن يزيد قد ظفر بآدميته الكبرى بقتل سيد الشهداء (ع)، وغمرت كيانه

مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٨

نشوة الغلبة العاجلة والتشقى، فقد (جلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، ذلك بعد قتل الحسين (ع)، فاء قبل على ساقيه فقال:

إسقني شربة تروى مُشاشي ثم مل فاسقٍ مثلها ابن زياد

صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا به (...). «١»

(وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق. وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب.

وبالجملة، كان موثراً الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء و كلاب الصيد حتى كان يلبسها الاساور من الذهب والجلال والمنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبدا يخدمه، وساس الدولة سياسة مشتقة من شهوات نفسه، وكانت ولايته ثلاث سنين وسنة أشهر، ففي السنة الاولى قتل الحسين بن علي، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام، تم فيها قتل سبعمائه من المهاجرين والانصار، فلم يبق بدرى بعد ذلك، وقتل عشرة آلاف من الموالى والعرب والتابعين، وافتضاض ألف عذراً). «٢»

الخبر في المدينة: ص: ٣٣٨

اختلف شاعن مدينة رسول الله (ص) عن سائر مدن الاسلام الاخرى من حيث طريقة وصول خبر موت معاوية إليها، فقد وصل إليها هذا الخبر

مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٩

بتخطيط خاص مدروس من قبل يزيد في الشام، لانه أراد من واليه على المدينة وهو الوليد بن عتبة بن ابي سفيان، على ما في أكثر التواريخ «١» أن ياءخذ البيعة له من الامام الحسين (ع) بالا- ساس ومن عبدالله بن الزبير ثانيا قبل أن يعلم أهل المدينة بخبر موت معاوية.

هذا ما يستفاد من الرسالة الصغيرة التي وصفت كاءنها أذن فاءرة والتي بعثها يزيد إلى الوليد بن عتبة مع رسالة النعي الكبيرة، وكانت تلك الرسالة الصغيرة على ما في رواية يعقوبى:

(إذا أتاك كتابي هذا، فاء حضر الحسين بن علي (ع)، وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لى، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إلى برؤ وسهما، وخذ الناس د بالبيعة، فمن امتنع فاء نفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير، والسلام). «٢»

ويستفاد هذا أيضا من قول مروان بن الحكم حينما استشاره والى المدينة فى كيفية أخذ البيعة من هؤلاء الرجال، حيث أجاب قائلاً: (أرسل الساعة إلى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم، فإ نهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الاسلام، فعجل عليهم قبل أن يفسى الخبر فيمتنعوا (...). «٣»

وفى رواية الفتوح:

(فقال مروان: إبعث إليهم فى هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول

مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٠

فى طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قديمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإ نهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فاء ظهر الخلاف ودعا إلى نفسه (...). «١»

إذن فقد كانت الخطة أن تؤخذ البيعة من الامام الحسين (ع) ومن عبدالله بن الزبير ومن عبدالله بن عمر على ما فى بعض الروايات

قبل أن يفشو الخبر ويعلم أهل المدينة بموت معاوية.

ومما يؤكّد هذا أيضا:

أنّ رسول الوليد لما أتى إلى الامام الحسين (ع) وإلى عبدالله بن الزبير يستدعيهما إلى الوليد، ووجدهما في المسجد، وأخبرهما بالا ستدعاء، قال عبدالله بن الزبير يسائل الامام (ع):

(يا أبا عبدالله، إنّ هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإني قد أنكرت ذلك وبَعَثَهُ في هذه الساعة إلينا ودعاه إيانا لمثل هذا الوقت، أترى في أيّ طلبنا!؟

فقال له الحسين (ع):

إذا أخبرك اءبابكر، إني اءظنّ باءنّ معاوية قد مات، وذلك اءنّي راءيت البارحة في منامي كاءنّ منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل نارا، فاءولت ذلك في نفسي أنّه مات. «٢»

فلو كان خبر موت معاوية قد فشا وانتشر في المدينة ساءتئذ لكان ابن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤١

الزبير قد علمه كما علم الناس.

والظاهر أنّ خبر موت معاوية ظلّ مكتوما عن عامّة أهل المدينة إلى ما بعد خروج الامام الحسين (ع) منها فلم ينتشر إلّا انتشارا ضعيفا، ولم يعلم به إلّا بعض خواصّ أهلها ممّن يحيط بالوالى من بنى أميّة وبعض رجال السلطة، وممّن يحيط بالا امام الحسين (ع) من بنى هاشم وبعض شيعته، وعبدالله بن الزبير وإخوته وبعض من يحيطون بهم، وعبدالله بن عمر وخاصّته.

ولعلّ هذا ما كانت تريده السلطة في المدينة بالذات، لعزل الامّة في المدينة عن حركة الامام (ع) سواء بقى في المدينة أو خرج منها، إذ إنّ السلطة الامويّة على فرض بقائه ستواصل إحراجه منفردا لتذليل بيعته، ولن يطول ذلك أكثر من يوم أو يومين، فإذا بايع فلن يمتنع بعده أحد من الامّة عن البيعة، وإذا أصرّ على الامتناع فلا بدّ له من أن يحتال للخروج من المدينة مخافة الاغتتيال، ولن يطول مكثه حتّى يخرج ثلاث ليال على الاكثر، فتخلو المدينة منه وممّن يتبعه، وعندئذ تسهل عمليّة أخذ البيعة من أهل المدينة في غياب الامام (ع)، أمّا من عداه من وجهاء المدينة فلا يمتنع بمثل تلك المنزلة التي يمتنع بها الامام (ع) في قلوب الناس وليس له تلك الاهميّة، فضلا عن أنّ بعضهم يتسم بالميوعة والمسالمة في المواقف ولا قاطعيّة له، كمثّل عبدالله بن عمر، الذي أشك بقوّة أنّ بعض الروايات حشرته مع الامام (ع) وعبدالله بن الزبير في وجهاء المدينة المعارضين للتغطية على ميله للحكم الامويّ.

ومما يؤكّد ما ذهبنا إليه في تعمّد سلطة المدينة عدم الاعلان عن موت معاوية إلى ما بعد انجلاء الموقف الحسيني، هو أنّ الامام (ع) طلب من الوالى الوليد بن عتبة أن يدعى إلى البيعة بمحضر الناس فيكون الامر سوا حيث قال (ع):

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٢

(إنّ مثلى لا يعطى بيعته سرّا، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون امرنا واحدا... «١»)

فالعادة إذن أن ينعى الوالى الخليفة الميت في الغد ويدعو الناس إلى بيعته من يخلفه، هذا ما تُشعر به عبارة الامام (ع):

(... ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة...)

والتاءريخ لم يحدّثنا أنّ الوليد بن عتبة قد جمع الناس في اليوم التالى للبيعة في المسجد كما العادة «٢» ولا في اليوم الذى بعده، بل إنّ التاءريخ ليؤكّد عكس ذلك، إذ كتب الوليد إلى يزيد (يخبره بما كان من أهل المدينة وما كان من ابن الزبير وأمر السجن) حيث أخرج بنوعدى عبدالله بن مطيع العدوى منه بالقوّة وأخرجوا كلّ من كان في السجن، «٣» ثمّ ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن على (ع):

(أنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعه). (٤)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٣

فكتب إليه يزيد:

(من عبدالله يزيد اميرالمؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد:

فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبدالله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبدا مادام حيا، وليكن مع جوابك إلى رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندى الجائزة والحظ الاوفر والنعمة واحدة، والسلام). (١)

فقوله: (فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم) كاشف عن أن الوليد لم يكن يستطيع أخذ البيعة من أهل المدينة بوجود الامام الحسين (ع)، وقوله: (البيعة ثانيا): يتضمّن الاشارة إلى البيعة الاولى التى أخذها معاوية بولاية العهد ليزيد من أهل المدينة فى حياته خدعة. لا أن الوليد أخذ البيعة من أهل المدينة ليزيد ثم دعاه يزيد إلى أخذها مرة ثانية منهم بتوكيد عليهم.

وقوله: (وذو عبدالله بن الزبير... كاشف عن عدم تمتع ابن الزبير بالاهمية التى يتمتع بها الامام (ع).

وقوله: (وليكن مع جوابك إلى رأس الحسين بن علي (ع) كاشف عن أن وجود الامام (ع) بماله من منزله ومكانة قدسيته فى الامة هو العقبة الكبرى فى طريق البيعة التى يريد بها يزيد من أهل المدينة خاصة.

كما أن هذه الرسالة كاشفة بنوع محتواها عن نوع شخصيته يزيد التى لا تمتع حتى بذرة من الحكمة والدهاء، وكاشفة عن سطحته وضحاكته الظاهرة، فها هو امام رغبته وغضبه لا ينظر إلى حقائق الواقع السياسى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٤

والاجتماعى ولا يعبأ بها، إنه فيما يامر به متجاوزا هذه الحقائق كما يامر الطفل فى تخيلات وأعباءه خلافا لما تحكم به السنن الطبيعية والاجتماعية.

إن كتمان خبر موت معاوية عن أهل المدينة عموما عدّة أيام ربما شكّل واحدا من أسباب تخلف أهل المدينة عن نصرة الامام (ع) وفيهم آنثى مئات من الصحابة وأكثر من ذلك من التابعين، لأن الظاهر أن جُلهم لم يعلم حتى بخروجه من المدينة، وما علموا بذلك إلا بعد حين من مكته فى مكة المكرمة، مع أن الذين التحقوا به من المدينة فى مكة بعد ذلك أفراد قليلون.

الاستدعاء والتشاور فى المسجد: ص : ٣٤٤

لنعد إلى بداية القصة فى أحداث سنة ستين للهجرة ...

تقول الرواية: (وفى هذه السنة بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه للنصف من رجب فى قول بعضهم، وفى قول بعض لثمان بقين منه ...

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف:

ولى يزيد فى هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الانصارى، وأمير البصرة عبيدالله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص.

ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلا بيعه نفر الذين أبوا على معاوية الاجابة إلى بيعه يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولى عهده بعده، والفراغ من أمرهم.

فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من يزيد اميرالمؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أمّا بعد: فإنّ معاوية كان عبدا من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٥

عبادالله، أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له، فعاش بقدر ومات باءجل، فرحمه الله، فقد عاش محمودا (!) ومات برّا تقياً (!) والسلام.

وكتب إليه في صحيفه كائنها أذن فارة:

أمّا بعد: فخذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام). «١»

أمّا محتوى هذه الصحيفه الصغيره التي كائنها أذن فارة على ما في روايه الفتوح فهو:

(أمّا بعد: فخذ الحسين بن علي (ع)، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر بن الخطاب أخذاً عنيفا ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه). «٢»

ويلاحظ على هذا النص أنّ عبدالرحمن بن أبي بكر مات في عهد معاوية، في نومه نامها، ويقال إنّ معاوية دسّ إليه سمّا فقتله.

ولم يروها ابن عساكر كصحيفه صغيره مخصوصه، بل رواها هكذا ككتاب عام: (وبايع الناس ليزيد يعني في الشام فكتب يزيد مع عبدالله بن عمرو بن أويس د العامري من بني عامر بن لؤي إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينه: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبدأه الحسين بن علي بن أبي طالب، فإنّ أميرالمؤمنين رحمه الله عهد إلى في أمره الرفق به واستصلاحه). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٦

ولم يروها اليعقوبى أيضا كصحيفه صغيره مخصوصه، لكنّ محتوى الرساله التي رواها يشهد على أنّها من الرسائل السريه التي لا يطلع عليها سوى المسؤول المقصود بها، كما أنّ نصّها يبدو من أضبط النصوص المرويّه بصدها، لأنّه ليس د فيه اسم عبدالله بن عمر الذي لم يكن يشكّل في مساءله بيعته ليزيد أيّه مشكله بالفعل، إذ كان معروفا بالميوعة في مواقفه والمسالمة والدخول فيما دخل فيه الناس، كما أنّ نصّ اليعقوبى ينسجم تماما مع ضيق نظر يزيد وسرعه انفعاله ولا مبالاته بالسنن والقيم الاجتماعيه، كما أنّ نمط الترتيب فيه كاشف عن دقته.

ونصّ اليعقوبى هو:

(إذا أتاك كتابي هذا، فاء حضر الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لى، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إلى برؤ

وسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فاء نفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن عليّ وعبدالله بن الزبير، والسلام). «١»

لنعد إلى تسلسل القصه، ولنقرأ ماذا صنع الوليد بن عتبة؟! تقول الروايه:

(فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه، وبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على المدينه من قبل الوليد، فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف إليه متكارها، فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه، فلم يزل مصارما له حتى جاء نعي معاوية، فلما عظم على الوليد هلاكه وما أمّره من بيعه هو لاء النفر استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٧

? قال: أرى أن تدعوهم الساعة، وتامرهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا بموته وثب كلّ رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، أمّا ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب أن يلي على الناس إلّا أن يدفع إليه هذا الامر عفوا.

فاءرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان وهو غلامٌ حدث، إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان،

فأتاها في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس.

فقال: أجيبا الامير.

فقالا: انصرف، ألا نأنتيه.

وقال ابن الزبير للحسين: وما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟!؟

فقال الحسين: أظنّ أنّ طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا لئلا نخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر.

فقال: وأنا ما أظنّ غيره، فما تريد أن تصنع؟

قال الحسين: أجمع فتيانى الساعة، ثم أمشى إليه، وأجلسهم على الباب وأدخل عليه.

فقال: فإنّي أخافه عليك إذا دخلت!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٨

فقال: لا آتية إلّا وأنا قادر على الامتناع). «١»

وفي رواية أخرى أنّ ابن الزبير قال للامام الحسين (ع):

(ظنّ يا أبا عبد الله فيما أرسل إلينا؟!).

فقال الحسين: لم يرسل إلينا إلّا للبيعة.

فقال؟ فما ترى؟

قال: آتية، فإن أراد تلك امتنعت عليه). «٢»

ويلاحظ في محاوره الامام (ع) مع ابن الزبير أنّ الامام (ع) كان واضحا تمام الوضوح في موقفه وفيما يريد أن يفعله، ولم يكتب شيئا عن ابن الزبير في معرض الاستشارة، غير أنّ ابن الزبير كان على عكس ذلك، فلم يكن همّه إلّا معرفة ما سيفعله الامام (ع)، ولم يفصح بشي عمّا يريد هو أن يقوم به ويفعله!

وفي كتاب الفتوح عرض لهذا المقطع من القصيدة لا يمكننا الاغراض عنه لما فيه من تفصيلات مهمّة لم تآت فيما ذكره ابن الاثير والطبرى وابن قتيبة، فلنقرأ رواية هذا المقطع في الفتوح على ترتيبه:

قال ابن أعثم: (فلما ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة وقرأه قال:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا ويح الوليد بن عتبة، من أدخله في هذه الامارة؟ ما لي وللحسين بن فاطمة؟!)

... ثم بعث إلى مروان بن الحكم، فأراه الكتاب فقرأه واسترجع، ثم ... قال: يرحم الله اميرالمؤمنين معاوية!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٩

فقال الوليد: أشر علىّ برأيك في هؤلاء القوم، كيف ترى أن أصنع؟!)

فقال مروان: إبعث إليهم في هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن اءبوا قدّمهم واضرب اءعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا ذلك وثب كلّ رجل منهم فاءظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن ياءتيك من قبلهم ما لا قبل لك به وما لا يقوم له، إلّا عبد الله بن عمر فإنّي لأراه ينازع في ه ذا الامر أحدا إلّا أن تآتية الخلافة فياءخذها عفوا، فذر عنك ابن عمر. «١»

وابعث إلى الحسين بن علي، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن الزبير فادعهم إلى البيعة، مع أنّي أعلم أنّ الحسين بن علي خاصّة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبدا ولا يرى له عليه طاعة، ووالله إن لو كنت في موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتّى أضرب رقبتة كائنا في ذلك ما كان.

... فاءطرق الوليد بن عتبة إلى الارض ساعة ثم رفع رأسه ...

وقال: يا ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئا مذكورا!

... ثم دمعت عيناه ...

فقال له عدو الله مروان: أوّه أيها الامير! لاتجزع ممّا قلت لك، فإن آل أبي تراب هم الاعداء في قديم الدهر ولم يزلوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٠

بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه، وبعد فإني لست آمن أيها الامير! أنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة أن تسقط منزلتك عند اميرالمؤمنين يزيد.

فقال له الوليد بن عتبة: مهلا! ويحك يا مروان عن كلامك هذا، وأحسن القول في ابن فاطمة فإنّه بقيته ولد النبيين.

... ثم بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين بن علي وعبدالرحمن ابن أبي بكر «١» وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فدعاهم، فاقبل إليهم الرسول، والرسول عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، لم يصب القوم في منازلهم، فمضى نحو المسجد فإذ القوم عند قبر النبي (ص)، فسلم عليهم ثم قام وقال: أجيئوا الامير!

فقال الحسين: يفعل الله ذلك إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هذا إن شاء الله.

... فانصرف الرسول إلى الوليد فآخبره بذلك.

واقبل عبد الله بن الزبير على الحسين بن علي وقال: يا أبا عبد الله، إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإني قد أنكرت ذلك وبعته في هذا الساعة إلينا ودعاه إيانا لمثل هذا الوقت، أترى في أي طلبنا!؟

فقال له الحسين: إذا أخبرك اءبابكر، إني اعظن بآء معاوية قد مات، وذلك إني رأيت البارحة في منامي كآء منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل نارا، فآءولت ذلك في نفسي أنه مات.

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا ابن علي أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥١

دعيت إلى بيعه يزيد أبا عبد الله!؟

قال: أصنع أني لاءبايع له اءبدا، لآء الامر إنما كان لي من بعد اءخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لا خي الحسن أنه لا يجعل الخلافة لاحد من بعده من ولده، وأن يردها إلي إن كنت حيا، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يف لي ولا لا خي الحسن بما كان ضمن فقد والله آتانا ما لا قوام لنا به.

أنظر أبا بكر، أني أبايع ليزيد!؟ ويزيد رجل فاسق معلن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويغض بقيته آل الرسول! لا والله لا يكون ذلك أبدا.

... فبينما هما كذلك في هذا المحاورة إذ رجع إليهما الرسول ... «١»

فقال: أبا عبد الله، إن الامير قاعد لكما خاصة فقوموا إليه.

... فزبره الحسين بن علي، ثم قال: إنطلق إلى أميرك لا أم لك، فمن أحب أن يصير إليه منّا فإنّه صائر إليه، وأما أنا فإنّي أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى.

... فرجع الرسول أيضا إلى الوليد بن عتبة فقال: أصلح الله الامير، أما الحسين بن علي خاصة فقد أجاب، وهاهو صائر إليك في أثرى.

فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين!

فقال الوليد: مهلا! فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئا ثم لا يفعل.

... ثم أقبل الحسين على من بحضرته فقال: قوموا إلى منازلكم فإنّي صائر إلى هذا الرجل فآءنظر ما عنده وما يريد.

فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله (ص)، إنني خائف عليك أن يحبسوك عندهم فلا يفارقونك أبدا دون أن تباع أو تقتل.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٢

فقال الحسين: إنني لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إليّ وخدمى وأنصارى وأهل الحق من شيعتي، ثم أمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلولا تحت ثيابه، ثم يصيروا بي زائى، فإذا أنا أومأته إليهم، وقلت: يا آل الرسول ادخلوا، دخلوا وفعّلوا ما أمرتهم به، فاء كون على الامتناع، ولأعطى المقادة والمذلة من نفسى، فقد علمت والله أنه جاء من الامر ما لا قوام به، ولكن قضاء الله ماضٍ فيّ، وهو الذى يفعل فى بيت رسوله (ع) ما يشاء ويرضى). (١)

لقاء المناورة وإعلان رفض البيعة: ص : ٣٥٢

إشارة

نعود إلى متابعة القصة وكيف تم اللقاء بين الامام (ع) وبين الوليد.

يتابع ابن أعثم روايته قائلا:

(ثم صار الحسين بن على إلى منزله، ثم دعا بماء، فلبس وتطهر بالماء، وقام فصلى ركعتين، ودعا ربه بما أحب في صلاته، فلما فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانته وعشيرته ومواليه وأهل بيته وأعلمهم بشأه، ثم قال: (كونوا بباب هذا الرجل فإننى ماضٍ إليه ومكلمه، فإن سمعتم أن صوتى قد علا وسمعتم كلامى وصحّت بكم، فادخلوا يا آل الرسول واقتحموا من غير إذن، ثم اظهروا السيوف ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم ثم اقتلوا من يريد قتلى. ثم خرج الحسين (ع) من منزله وفى يده قضيب رسول الله (ص)، وهو فى مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٣

ثلاثين رجلا من أهل بيته ومواليه وشيعته، حتى أوقفهم على باب الوليد بن عتبة، ثم قال: أنظروا ماذا أوصيتكم فلا تتعدوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالما إن شاء الله). (١)

أما الشيخ المفيد (ره) قد روى أن الامام (ع) قال لهم:

(إن الوليد قد استدعانى فى هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفنى فيه أمرا لأجيب إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معى، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه لتمنوه عني). (٢)

لنعد إلى رواية ابن أعثم حيث قال:

(ثم دخل الحسين على الوليد بن عتبة فسلم عليه، فردّ عليه ردّا حسنا ثم أدناه وقربه ... ومروان بن الحكم هناك جالس فى مجلس الوليد، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة).

فأقبل الحسين على الوليد فقال: أصلح الله الامير، والصالح خير من الفساد، والصله خير من الخشنة والشحنة، (٣) وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمد لله الذى أَلّف بينكما.

... فلم يجيباه فى هذا بشي ...

فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية كائنه خبر، فإنّه كان عليلا وقد طالعت عنته، فكيف حاله الان؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٤

... فتأوه الوليد وتنفس الصعداء وقال: أبا عبد الله، أجرك الله في معاوية، فقد كان لك عمّ صدقٍ، وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعظم الله لك الاجر أيها الأمير، ولكن لماذا دعوتني؟!

فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس.

فقال الحسين: إن مثلي لا يعطى بيعته سرًا، «١» وإنما أحبّ ان تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحدا.

فقال له الوليد: أبا عبد الله، لقد قلت فاء حسنت في القول، وأحبيت جواب مثلك، وكذا ظنّني بك، فانصرف راشدا على بركة الله حتى تاءتيني غدا مع الناس.

فقال مروان بن الحكم: أيها الأمير، إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع فأئك لن تقدر منه ولا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك فلا تدعه يخرج أو يبايع وإلا فاضرب عنقه.

... فالتفت إليه الحسين وقال: ويلى عليك يا ابن الزرقاء! أتاءمر بضرب عنقي؟! كذبت والله، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الارض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فؤم ضرب عنقي إن كنت صادقا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٥

ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، مثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أئنا أحق بالخلافة والبيعة.

... وسمع من بالباب الحسين فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعا فاءمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله. «١»

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتى انفلت الحسين من يدك، أما والله لا تقدر على مثلها أبدا، ووالله ليخرجن عليك وعلى اميرالمؤمنين فاعلم ذلك. «٢»

فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرت على بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بآسرها وأنى قتلت الحسين بن علي، ابن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحدا يلقي الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عند الله يوم القيامة لا ينظر إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم.

... فسكت مروان!! «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٦

تأمل و ملاحظات: ص: ٣٥٦

إشارة

إنّ التأمّل في حوار الاستشارة بين الوليد بن عتبة وبين مروان بن الحكم قبل اللقاء بالامام (ع)، وفي وقائع اللقاء بين الامام (ع) وبين والى المدينة الوليد بحضور الشيطان المريد مروان بن الحكم يؤدّي إلى عدّة ملاحظات أهمّها:

١ (الخطبة العسكرية للحفاظ على حياة الامام (ع) ص: ٣٥٦

: لقد احتاط الامام (ع) في توجهه إلى لقاء الوليد بن عتبة بمجموعة كافية من رجاله المسلحين (في ثلاثين رجلا من أهل بيته ومواليه وشيعته: على ما في رواية الفتوح) تحسبا لمحاولة اغتياله من قبل السلطة الاموية في مقر والى المدينة الوليد بن عتبة الذى وصفه الامام (ع) على ما في رواية الشيخ المفيد (ره) بآءته (غير ماءمون)، خاصة وأن الامويين يعلمون أن الامام الحسين (ع) يتربص بهم الطرف المناسب للخروج والثورة عليهم، «١» وأنه إنما آثر المتاركة المؤقتة بينه وبينهم لبقاء معاوية في الحياة، لا سباب تتعلق بشخصية معاوية، كنا قد فضلنا القول فيها من قبل.

وقد كشف مروان بن الحكم في هذا اللقاء عن هذا العلم وهذه القناعة بقوله على ما في رواية الفتوح: (و والله ليخرجن عليك وعلى اميرالمؤمنين) وقوله على ما في رواية الارشاد: (والله لئن فارقتك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه ...)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٧

من هنا، كان الاحتمال قويا في أن تقدم السلطة الاموية على اغتيال الامام (ع) إجهاضا لحركة الثورة قبل اندلاعها والاعلان عنها، وقد سعت السلطة الاموية إلى تنفيذ هذه المحاولة بعد ذلك في المدينة وفي مكة كما سيأتى في ثنايا هذا البحث. وبعد قتل الامام (ع) في مقر الوالى في الظلام بعد منتصف الليل على فرض نجاح عملية الاغتيال فإن السلطة الاموية تستطيع أن تفتعل قضية مكذوبة لقتله تتهم بها بريئا لتضليل بنى هاشم خاصة والامة عامة، ثم تقوم هى بقتل ذلك البرىء في إطار مطاردة مسرحية مفتعلة، وتخرج منها السلطة الاموية وكاءنها المطالب بدم الامام (ع) والاخذ بثأره، وفي الوقت نفسه تكون قد قضت على قائد الثورة قبل اندلاعها والاعلان عنها.

لذا فقد أراد الامام (ع) أن يفوت هذه الفرصة المحتملة على السلطة الاموية بإعداد قوة عسكرية مكونة من ثلاثين من أهل بيته وشيعته ومواليه شاكين بالسلاح ليكونوا على الباب بانتظار الاشارة منه للتدخل في اللحظة المناسبة، وبذلك يكون الامام (ع) قادرا على الامتناع على أى محتمل من محتملات السوء في لقاء تلك الليلة مع الوليد.

٢ (لماذا طلب الامام (ع) أن يدعى إلى البيعة علنا مع الناس؟!): ص : ٣٥٧

ويلاحظ أيضا في هذا اللقاء أن الامام (ع) باءسلوب الحكيم الواثق المطمئن قد أجاب الوالى حين طلب منه البيعة ليزيد قائلا على ما في رواية الفتوح:

(إن مثلى لا يعطى بيعته سراً، وإنما أحب أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً)، ولا شك أن أى مطلع يقطع بآءن الامام الحسين (ع) لا يبايع يزيد وإن حضر اجتماع الناس في المسجد للبيعة، أليس هو القائل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٨

لاخيه محمد بن الحنفية:

(يا أخى، والله لو لم يكن فى الدنيا ملجاء ولا ماءوى لمابايعت يزيد بن معاوية؟).

إذن ما هو الهدف المنشود من وراء هذا الطلب الذى عرضه الامام (ع)؟ هل كان السبب وراء هذا الطلب هو أن الامام (ع) أراد أن يتخلص من ضغط الاحراج فى دعوة الوالى إياه لبيعة يزيد فى هذا اللقاء، فسعى إلى تاءجيل ذلك رغبة فى الحصول على مهلة أوسع للتخلص من هذه الورطة؟!

إذا تدكرنا أولاً: أن الامام (ع) لا يبايع يزيد لا سراً ولا علناً، وثانياً: أنه (ع) قد احتاط لكل مكروه محتمل فى هذا اللقاء وللا متناع على أى قهر فيه بقوة عسكرية كافية لدى الباب، وثالثاً: أنه (ع) فى ختام هذا اللقاء كان قد أعلن عن استحالة مبايعته ليزيد (مثلى لا يبايع

مثله)، بل أعلن عن خروجه وقيامه في نفس هذا اللقاء حين قال: (ولكنّ نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة)، علمنا أنّ التآجيل رغبة في الحصول على مهلة أوسع للتخلّص من ورطة إحراج المطالبة بالبيعة لم يكن السبب وراء هذا الطلب. إنّ ما أوصلنا إليه التآجيل في هذه المسألة هو: أنّ الامام الحسين (ع) أراد في إجابته على طلب الوالي منه البيعة ليزيد باءن يُدعى إليها علنا مع الناس:

إستثمار قوّة وسعة تاءثير العامل الاعلامي والتبليغي في الاجتماع الجماهيري العام الذي تدعى إليه الامّة في المدينة للبيعة عادةً، ذلك لانه (ع) لو أعلن عن رفضه البيعة ليزيد أمام جماهير أهل المدينة، وفضح أمام هذه الجموع الحاشدة حقيقة يزيد في فسقه واستهتاره، وحزّضهم على رفض البيعة له، واستنهضهم للثورة ضده، وأعلن أمامهم عن قيامه هو (ع)، ويبيّن لهم ما هو عازم على النهوض به، ودعاهم بما هو ماءثور وشائع من الاخبار عن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٩

رسول الله (ص) في حقّه إلى تاءيبده ونصرته والخروج معه، لكان لهذا العمل أثر كبير جدّا على أهل المدينة باتّجاه تعبتهم لرفض البيعة ليزيد ولنصرة الامام (ع)، لو كان قد تحقّق للامام (ع) بالفعل ما كان يرجوه من وراء هذا الطلب. ولكنّ مروان الخبيث كان قد فطن إلى خطورة نتائج هذا الطلب، فتدخّل ليحول دون نجاحه حيث طلب من الوليد أن يجبس الامام (ع) عنده حتّى يبيع أو يضرب عنقه، فاضطرّ الامام (ع) إلى التعجيل بالكشف عن موقفه صراحة في رفض البيعة ليزيد، والاعلان عن ذلك في نفس اللقاء متخليًا عمّا كان يرجوه في الاجتماع العامّ من أثر العامل الاعلامي والتبليغي في كسب التآجيل الجماهيري لنصرة قيامه (ع).

٣ (مروان ... والغرض المزدوج ص : ٣٥٩

: كان مروان بن الحكم في محاوره الاستشارة قبل اللقاء وفي محاوره اللقاء شيطاناً يسعى إلى ضرب عصفورين بحجر واحد، إذ هو يتمنى قتل الامام الحسين (ع) بغضا وعداوة لا هل البيت (ع)، ويتمنى أن يرتكب الوليد هذه الجريمة لتشتعل فتنة كبرى في المدينة خاصية وفي سائر بلاد الاسلام عاقية تكون أقلّ نتائجها عزل الوليد عن منصب الولاية في المدينة، كلّ ذلك حسدا وحنقا على الوليد الذي شغل منصب الولاية بدلا منه.

ولايعنى هذا أنّ مروان قد خرج بهذا عن ولائه الامويّ، بل هو يرى أنّ هاتين الاميتتين تصبان في مجرى مصلحة الحكم الامويّ، إذ إنّ إحداهما تخلّص د الامويين من أقوى أعدائهم وهو الامام الحسين (ع)، والثانية تخلّصهم من أمويّ ضعيف يفتقر إلى الحزم المطلوب في نظر مروان.

وقد أكّد مروان ثباته على ولائه الامويّ في لقائه مع الامام الحسين (ع) في صباح اليوم التالي حيث عاود مطالبه الامام (ع) بالبيعة ليزيد، كما عاود تهديد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٠

الامام (ع) إن لم يبيع.

تقول الرواية: (وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الاخبار، فإ ذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه.

فقال: أبا عبد الله، إنني لك ناصح، فاءطعني ترشد وتسدّد!!

فقال الحسين: وما ذلك؟! قل حتّى أسمع!

فقال مروان: أقول إنني أمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنّه حوّلك في دينك وديناك!!

فاسترجع الحسين وقال: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الامّة براع مثل يزيد!

ثم أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! أتاء مرني ببيعة يزيد!؟ وهو رجل فاسق! لقد قلت شططا من القول يا عظيم الزلل! لألومك على قولك لا نك اللعين الذي لعنك رسول الله (ص) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله (ص) لا يمكن له ولا منه إلا أن يدعو إلى بيعة يزيد.

ثم قال: إليك عنى يا عدو الله، فإننا أهل بيت رسول الله (ص)، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا وقد سمعت رسول الله (ص) يقول: (الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإن رأيتهم معاوية على منبرى فابقروا بطنه)، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدى فلم يفعلوا ما أمروا به فابتلاههم الله بآبائه يزيد زاده الله فى النار عذابا. ... فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦١

ثم قال: والله لاتفارقتى أو تباع ليزيد بن معاوية صاغرا، فإنكم آل أبى تراب قد ملتتم كلاما واءشربتم بغض آل بنى سفيان، وحق عليكم اءن تبغضوهم وحق عليهم أن يبغضوكم. فقال له الحسين (ع): ويلك يا مروان! إليك عنى فإنك رجس، وإننا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد (ص) فقال:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

... فنكس مروان رأسه لا ينطق بشى ...

فقال له الحسين (ع): أبشريا ابن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول (ع) يوم تقدم على ربك فيساء لك جدى عن حقى وحق يزيد. ... فمضى مروان مغضبا حتى دخل على الوليد بن عتبة فخبره بما سمع من الحسين بن على). «١»

٤ (شخصية الوليد بن عتبة ص : ٣٦١

: وقد يلاحظ أيضا فى ظاهر حوار الاستشارة بين الوليد بن عتبة وبين مروان ابن الحكم قبل الاجتماع مع الامام (ع)، وفى حوار الوليد مع الامام (ع) أثناء اللقاء، أن الوليد بن عتبة شخصية أموية متميزة تكتن الحب للامام الحسين (ع) خاصة ولا هل البيت (ع) عامة!! فقوله يخاطب نفسه بعد ما قرأ كتاب يزيد الاول الذى أمره فيه باءخذ الامام (ع) أخذنا شديدا لا رخصة فيه بالبيعة: (إننا لله وإننا إليه راجعون، يا ويح الوليد ابن عتبة، من أدخله فى هذه الامارة؟! مالى وللحسين بن فاطمة!؟) وقوله أمام مروان: (يا ليت الوليد لم يولد ولويكن شيئا مذكورا!) وقوله

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٢

لمروان: (فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئا ثم لا يفعل). وقوله له أيضا:

(ويحك، أشرت على بقتل الحسين، وفى قتله ذهاب دينى وديناى، والله ما أحب أن أملك الدنيا باءسرها وأننى قتلت الحسين بن على، ابن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحدا يلقى الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عند الله يوم القيامة لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم). وقوله لما ورد عليه كتاب يزيد الثانى الذى أمره فيه أن يبعث إليه برأس الامام (ع) مع الجواب:

(لا والله، لا يرانى الله قاتل الحسين بن على، وأنا لأقتل ابن بنت رسول الله (ص) ولو أعطانى يزيد الدنيا بحذافيرها). «١» وقوله لما ظن أن الامام (ع) خرج من المدينة: (الحمد لله الذى لم يطالبنى الله عز وجل بدمه). «٢»

كل هذه الاقوال وأخرى نظائرها تدل فى ظاهرها على أن عند الوليد بن عتبة معرفة بالامام الحسين (ع) ومحبة له، وتوحى أن ثمة مسحة من التدين فى قلبه، كانت السبب فى الصراع الباطنى فى أعماقه بين خوفه من الله وحب لا هل البيت (ع) وبين أن يمثل لا وامر يزيد التى فيها ذهاب دينه وديناه على حد قوله.

لكنّ هناك نصوصاً أخرى تدلّ دلالةً مغايرةً، وتؤكد على أنّ الوليد بن عتبة يخدم الحكم الأمويّ بتمام الاخلاص له، حتّى لو فرضت عليه هذه الخدمة أن يُغلظ في القول للامام الحسين (ع) ويؤسى إليه (وقد كان الوليد أغلظ للحسين ...). «٣» أو فرضت عليه هذه الخدمة أن يهدّد الامام الحسين (ع) بالقتل، كما حصل بالفعل حين منع الوليد أهل العراق عن لقاء الامام (ع) فوبّخه الامام (ع) قائلاً: (يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علامّ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمّمك؟!). فقال الوليد: (ليت حلمنا عنك مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٣

لا يدعوا جهل غيرنا إليك، فجناباً لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلا تخطر بها فتخطر بك، ولو علمت ما يكون بعدنا لا حبيتنا كما أبغضتنا). «١»

ومن كلّ ما تقدّم، ومن مجموع سيرة الوليد في منصب ولاية المدينة، يمكن أن نخلص إلى نتيجة عامّة هي: أنّ الوليد بن عتبة أمويّ مخلصٌ كلّ الاخلاص للحكم الأمويّ عن وعي تام لانتمائه القبلي وحرص بالغ على تقديم بنى أميّة على من سواهم، وهذا لا ينافي أنّه يرى لا أهل البيت (ع) منزلةً خاصّةً عند الله تعالى، ففي الأمويّين أفراد من هذه الشاكلة، ممّن يحرص على تقديم آل أميّة ويخدم مصلحته هذا الانتماء، وفي نفس الوقت يتمنى ألماً يصطدم مع بنى هاشم عاميّة وأهل البيت (ع) خاصّةً، ويطلب العافية من ذلك ويرجوها، والوليد من هذا النوع.

لكنّ هذه الشاكلة من الرجال تبقى غير ماء مونة في لحظات الحرج الشديد، فقد تقدم على تنفيذ أبشع الجرائم امتثالاً لا وافر الحاكم الطاغية في حالة من حالات الضعف النفسي وطغيان حالة الازدواجية.

ولذا نجد الامام (ع) يصف الوليد بن عتبة بآءه (غير ماء مون) لرجال الذين أوقفهم عند باب الوليد ليتدخّلوا إذا اقتضى الامر قائلاً: (إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لأجيب إليه، وهو غير ماء مون ...). «٢» هذا ويمكن القول أيضاً: إنّ الوليد لم يعانٍ من مشكلة عمليّة تذكر في منصب الولاية أيام معاوية، لأنّ معاوية كما الوليد كان يحدّد معالجة الأمور

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٤

المستعصية بالمرونة واللين والدهاء أولاً وبالصبر عليها إذا اقتضى العلاج الصبر، لكنّ الوليد بعد موت معاوية مباشرة أصبح أمام مشكلة أساسية كبيرة في إدارة الامور، وهي أنّ أوامر يزيد وطريقة معالجته الامور، تتسم بالعجلة والاعتساف والشدة وعدم التروى خلافاً لسنن النجاح في الادارة والحكم، الامر الذي أخرج الوليد إخراجاً شديداً في تنفيذ الاوامر المتشدّدة الصادرة إليه، وخصوصاً في أصعب القضايا وهي أخذ البيعة من الامام الحسين (ع).

والظاهر من المتون التاريخية أنّ الوليد عالج المشكلة على طريقتة التي يراها بلون من الرفق والمرونة والدهاء لا كما أراد يزيد فلم يشدّد على الامام (ع)، كما احتال لا خفاء خبر موت معاوية عن عموم أهل المدينة حتّى خروج الامام (ع) منها في خطوة لعزل الامة عن الامام (ع)، إذ لم يحدّثنا التاريخ المعتبر أنّه عقد اجتماعاً عامّاً للبيعة في المدينة قبل خروج الامام (ع) منها كما بيّنا ذلك من قبل، وهذه الطريقة التي سلكها الوليد خلافاً للاوامر المحدّدة الشديدة التي أمره بها يزيد هي التي أثارت حنق يزيد عليه إذ سرعان ما عزله عن ولاية المدينة بعد خروج الامام الحسين (ع) منها، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق بدلاً منه.

وهنا لا بدّ من تسجيل هذه الملاحظة التاريخية المهمة وهي:

أنّ طابع المرونة والرفق في تعامل الوليد مع الامام الحسين (ع) وتباعده عن إخراجة والتشدّد معه كان من الاسباب التي ساعدت الامام (ع) على الخروج من المدينة في ركب من عياله وأهل بيته وبعض أصحابه دونما أزيّة ممانعة أو مضايقة أو خطورة تذكر، فلو كان الوالي هو مروان بن الحكم مثلاً لكان من المحتمل والمتوقّع بدرجته كبيرة أن يقتل الامام (ع) غيلةً أو لا أقلّ من أن تفرض عليه إقامة جبريّة في المدينة ويمنع من مغادرتها، حيث تآخذ السلطة لذلك كلّ الاحتياطات والاستعدادات اللّازمة، فلا يتسنى للامام (ع)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٥
الانفلات من طوق الحصار، ولا تسنح له فرصة الخروج بالثورة إلى رحاب أوسع، فتختنق في مهدها، ويُلقى عليها ألف حجاب وحجاب من أباطيل الاعلام الامويّ ودعاياته الكاذبة!
لقد كان وجود الوليد بن عتبة واليا على المدينة آنذاك من الفرص السانحة التي ساعدت الثورة الحسينية على الانفلات من طوق الرصد الامويّ الذي كان يتوقعها منذ موت الحسن (ع) ليخنقها في مهد انبعاثها.

٥ (مع العامل الاول من عوامل الثورة الحسينية ص : ٣٦٥

: كان العامل الاول من العوامل المؤثرة في قيام الثورة الحسينية المقدسة وهو عامل رفض البيعة ليزيد قد أعلنه الامام الحسين (ع) في زمن معاوية أيام سعيه إلى أخذ الامة بالبيعة ليزيد بولاية العهد.
وكانت قاطعية الامام (ع) في رفض البيعة ليزيد منذ تلك الايام وإلى أن صار يزيد حاكما هي هي لم تنذبذب ولم يعتورها ضعف أو فتور.
وكان معاوية قد أغمض عن موقف الامام (ع) الصارم في رفض البيعة ليزيد لأنه كان يؤثر الحفاظ على حالة المتاركة مع الامام (ع) ويحرص على عدم التحرش به وإثارته لا سبب كنا قد قدمنا التفصيل فيها قبل ذلك.
ومع أن الامام (ع) كان قد أعلن عن رفضه القاطع للبيعة بولاية العهد ليزيد في زمن معاوية، فإن عامل رفض البيعة لم يُشعل فتيل الثورة الحسينية أيام معاوية لأن الامام (ع) كان بدوره أيضا يؤثر آنذاك الصبر على حالة المتاركة مع معاوية وعدم القيام مادام معاوية حيا لا سبب قدمنا التفصيل فيها أيضا فيما مضى تحت عنوان: (لماذا لم يثر الامام الحسين (ع) على معاوية؟!)، ولأن يزيد آنذاك لم يكن قد صار بالفعل حاكما بعد أبيه.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٦
على هذا، فالمواجهة بين الامام الحسين (ع) وبين الحكم الامويّ كانت معلنة من قبل الامام (ع) منذ ذلك الوقت، لكنّها كانت مؤجلة مادام معاوية في الحياة، ومادام يزيد لم يصبح حاكما بعده بالفعل.
وهنا قد يُثار هذا السؤال وهو:

لو أن يزيد بعد أن أصبح حاكما بعد أبيه بالفعل لم يكن قد طلب البيعة من الامام الحسين (ع)، وترك الامام الحسين (ع) وشاءه، هل كان الامام (ع) سيسكت عن حكومه يزيد، ويؤثر القعود والمتاركة وعدم القيام؟!
وفى الاجابة عن هذا السؤال لابد من التذكير بهذه الحقيقة وهي:

أن التفكيك بين عامل رفض البيعة ليزيد وبين عامل طلب الاصلاح في الامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر تفكيك إعتباري غير حقيقي، هذا التفكيك نتعاطاه في الذهن ولا حقيقة له في الخارج، إذ إن هذين العاملين ممتزجان في الحقيقة منذ البدء، فما رفض الامام (ع) لهذه البيعة إنما كى لا تتحقق المفسدة ويُقضى على الصلاح ويتلاشى المعروف ويستحكم المنكر، وما طلب الامام (ع) الاصلاح والتغيير في أمة جدّه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما كى يقضى على الفساد والمنكر الذي من أهم مصاديقه الحكومة الفاسدة التي على رأسها رجل متهتك مثل يزيد.

والمتمثل في البيانات الاولى التي صرح بها الامام (ع) يكشف بوضوح حقيقة الامتراج الذي لا يقبل التفكيك بين هذين العاملين، إن رفض الامام (ع) البيعة ليزيد في مجلس والي المدينة آنذاك الوليد بن عتبة كان قد امتزج منذ اللحظات الاولى بعامل طلب الاصلاح في الامة وإقامة الخلافة الحقّة في احتجاجه (ع) حين قال للوليد بن عتبة:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٧

(أيها الامير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرمة، ملعن بالفسق، ومثلى لايابح مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة). «١»

كما يلحظ المتأمل أيضا حقيقة الامتراج بين هذين العاملين في احتجاجات الامام الحسين (ع) على معاوية في قضية البيعة ليزيد بولاية العهد.

وامتراج عامل رفض البيعة بعامل طلب الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أن الامويين لو تركوا الامام الحسين (ع) وشاءه، ولم يطالبوه بالبيعة لماتركهم وشاءهم ولما كف عنهم.

ولا يخفى أن قاطبة الامام الحسين (ع) في رفض البيعة ليزيد، والتي عبر عنها الامام (ع) بقوله لا خيه محمد بن الحنفية قائلا:

(يا أخى والله لو لم يكن فى الدنيا ملجاء ولا ماءوى لما بيعتُ والله يزيد بن معاوية أبدا)، «٢» لم تنشأ عن سبب شخصي، بل عن سبب مبدئي.

لقد آثر الامام الحسين (ع) أن يقتل ولا يقبل بالبيعة ليزيد لأن خطر مبايعته يزيد كان موجهاً للاسلام وليس لشخص الامام (ع)، أى أن هذا الخطر كان يهدد النظام الكلي للاسلام وفلسفة قيام الحكم الاسلامي، وهى ليست مسأله جزئية أو فرعية تتحمل التقية.

كانت بيعة الامام (ع) ليزيد تعنى إضفاء المشروعية والمصادقة على تحوّل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٨

شكل الحكم الاسلامي إلى ملك وراثي عضوض، وهذا يعنى فى جملة ما يعنيه بقاء الحكم والسلطة فى البيت الاموي، الامر الذى يعنى بدوره أيضا بقاء الحكم والسلطة فى يد أخطر فصيل من فصائل حركة النفاق التى دأبت تسعى منذ رحلة النبى (ص) إلى القضاء التدريجي على الاسلام المحمدي الخالص.

ولما انتهى الامر إلى معاوية بن أبي سفيان، تمكّن هذا الرجل الداهية مع طول المدّة وعمق الحيلة وتعدّد الاساليب من أن يخدع جلّ هذه الامية الاسلامية على كلّ الاصعدة، فلم يعد أكثر هذه الامية يرى إلّا ما يطرحه الامويون تحت عنوان الاسلام أو يرتضونه من الاسلام على صعيد الاعتقاد والتشريع والاخلاق، حتى صار أكثر الناس لا يعرفون إلّا (الاسلام الاموي)، ولا يرون فصلا بين الاموية والاسلام، ولا يدرون أن الحقيقة شى آخر غير هذا!!!

فلو أن الامام الحسين (ع) كان قد بايع يزيد، لكان بذلك قد صادق على كذوبه عدم الفصل بين الاموية والاسلام، وصادق على مشروعية وحقاتية (الاسلام الاموي)، وصادق على مشروعية كلّ مبتدعات حركة النفاق، ووقع معترفا بصحة الانحراف وبمشروعية استمراره... وهذا لا يعنى إلّا المصادقة على القضاء التام على الاسلام المحمدي الخالص.

من هنا أكد الامام الحسين (ع) على أن مبايعته ليزيد هى القضاء على الاسلام حين قال لمروان بن الحكم:

(إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام إذ قد بُليت الامّة براعٍ مثل يزيد). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٩

ومن نافله القول بعد هذا أن نذكر بآن مبايعه الامام الحسين (ع) ليزيد كانت تعنى أيضا فضلا عن القضاء التام على الاسلام إضفاء المشروعية والمصادقة على كلّ سوءات ومساءات الحكم الاموي، ومنها سب الامام عليّ (ع) ولعنه، وهو ما كان قد شرع به فى زمن معاوية.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧١

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٣
الفصل الرابع بداية رحلة الفتح بالشهادة

لماذا لم يبق الامام (ع) في المدينة المنورة؟ ص: ٣٧٣

لماذا عزم الامام الحسين (ع) على ترك المدينة المنورة وآثر الخروج منها؟
ألم يكن له فيها ماء من مع كثرة من فيها من بنى هاشم والصحابة من مهاجرين وأنصار وكثرة من فيها من التابعين؟! هل كان هناك من يستطيع أن يجسر على قتال الامام الحسين (ع) في المدينة ومواجهته فيها مواجهته عسكرياً علنيته مع ما كان يتمتع به الامام (ع) من قدسيته خاصة ومنزلة سامية وشأن رفيع في قلوب أهل المدينة؟! هل كان ثمة احتمال لاغتيال الامام (ع) في المدينة؟! وهل كان خروج الامام (ع) (خائفاً يترقب) خشية من تحقق هذا الامر خوفاً على نفسه الشريفه وعلى صفوه أنصاره من أهل بيته وأصحابه!؟

أم أن الامام (ع) أراد من وراء كل ذلك أمراً آخر؟
لا يخفى على متأمل أن احتمال وقوع مواجهته عسكرياً في المدينة بين الامام (ع) وأنصاره من جهة وبين قوات السلطنة الاموية من جهة أخرى كان احتمالاً قوياً بسبب رعونته يزيد بن معاوية التي تجسدت في أوامره المشددة لوالى المدينة آنذ الوليد بن عتبة بقتل الامام الحسين (ع) في حال رفضه مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٤

البيعة، خصوصاً في رسالته الاخيرة إلى الوليد الذي ذكر له في رسالته بعد لقائه بالامام (ع) وإعلان الامام (ع) رفضه المبيعة: (أنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعة)، «١» حيث غضب يزيد لذلك غضباً شديداً، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، وكتب إلى الوليد قائلاً: (من عبدالله يزيد اميرالمؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد: فإذ ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبدالله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً مادام حياً، وليكن مع جوابك إلى رأس الحسين بن علي، فإذا فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندى الجائزة والحظ الاوفر والنعمة واحدة، والسلام). «٢»

وعلى فرض أن والى المدينة الوليد بن عتبة لم يكن ليمثل لا مر يزيد بقتل الامام (ع)، حيث يروى التواريخ أنه لما ورد عليه كتاب يزيد قال: (لا والله لا يرانى الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله (ص) ولو أعطانى يزيد الدنيا بحذافيرها)، «٣» فإن يزيد لن يُعدم أمويين آخرين يُسارعون إلى تنفيذ أوامره بقتل الامام (ع)، من أمثال مروان بن الحكم وأضرابه، وحادثته المواجهة المسلحة التي كادت أن تقع بين الامويين بقيادة مروان بن الحكم وبين بنى هاشم في يوم دفن الامام الحسن (ع) خير شاهد على ذلك.

لكنّ المتأمل يجد أن الامويين أنفسهم لا يرون هذا الاختيار أفضل من اختيار اغتيال الامام الحسين (ع) في صورة غامضة يمكنهم فيها الظهور بمظهر البراء من دمه، بل ويمكنهم فيها تمثيل دور المطالب بدمه، فيتقربون بذلك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٥

إلى قلوب الامة ويفوزون بميلها إليهم.

إن من الامويين نخبة من أهل الدهاء والتخطيط والتدبير، كما إن فيهم جماعة من الحمقى وذوى الخرق والاعتساف، ولا شك أن

أهل الدهاء على منهج معاوية في التخلص من أعدائه يرحلون أسلوب الاغتيال على أسلوب المواجهة المسلحة المكشوفة. لقد كان احتمال الاغتيال هو الاحتمال الاكبر، وقد حسب له الامام الحسين (ع) حسابه الواقعي فاستبق الاحداث زمنيا تحسبا من تحققه وخرج من المدينة.

وكفى برسائل يزيد إلى الوليد بن عتبة دليلا على عزم يزيد وتصميمه على اغتيال الامام (ع) بشكل غامض أو صريح، غير أن من الدلائل التاريخية الاخرى على ذلك ما ورد في رسالة ابن عباس إلى يزيد حيث خاطبه فيها قائلا: (... وما أنس من الاشياء، فلست بناس أطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسيك عليه الرجال تغتاله، فاء شخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفا يترقب، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديما، وأعز أهلها بها حديثا، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لوتبؤأ بها مقاما واستحل بها قتالا، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله، فاء كبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست عليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم...)، «١» فهذا المقطع من رسالة ابن عباس كاشف عن أن يزيد سعى إلى اغتيال الامام (ع) في المدينة كما سعى إلى ذلك في مكة المكرمة.

واستباقا لما هو متوقع الحدوث، فقد خرج الامام (ع) بركبه من المدينة، إذ لم تعد مدينة رسول الله (ص) ماءنا لابن بنت رسول الله (ص)!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٦

وصحيح أنه (ع) كان قد خرج من المدينة خشية الاغتيال خوفا على نفسه الشريفة، وخوفا من أن تهتك حرمة حرم رسول الله (ص) بقتله غيلة أو في مواجهة مسلحة، لكن الصحيح في العمق أيضا أن هذا الخوف كان يقع ضمن إطار خوف أكبر، وهو خوفه (ع) من أن تخنق ثورته المقدسة قبل اشتعالها بقتله غيلة في المدينة في ظروف زمانية ومكانية وملاسات مفتعلة يقوم بإعدادها وإخراجها الامويون أنفسهم، يستطيعون من خلالها الاستفادة حتى من حادثة قتله لصالحهم إعلاميا فتبقى ماء ساء الاسلام على ما هي عليه، بل ترسخ المصيبة وتشتد!!

كان الامام (ع) حريصا على أن يتحقق مصرعه الذي كان لا بد منه ما لم يبايع في ظروف زمانية ومكانية يختارها هو (ع)، لا يتمكن العدو فيها أن يعتصم على مصرعه، أو أن يستفيد من واقعه قتله لصالحه، فتختنق الاهداف المنشودة من وراء هذا المصرع الذي أراد منه (ع) أن تهتر أعماق وجدان الأمة لتتحرك بالاتجاه الصحيح الذي أراده (ع) لها. فكان خروجه (ع) من المدينة وكذلك من مكة في الاصل انفلاتا بالثورة المقدسة من طوق الحصار والتعقيم الاموي، إضافة إلى خوفه (ع) من أن تهتك حرمة أحد الحرمين الشريفين بقتله.

الليلة أو الليلتان الاخيرتان في المدينة: ص : ٣٧٦

لنعد إلى مجرى أحداث القصيدة في المدينة المنورة بعد لقاء الامام الحسين (ع) بوالى المدينة الوليد بن عتبة، ذلك اللقاء الذي أعلن (ع) فيه رفضه للبيعة، كما أعلن فيه أنه أحق الناس بالخلافة.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٧

وقد يتساءل المتابع قائلا: كم بقى الامام الحسين (ع) في المدينة المنورة بعد ذلك اللقاء الساخن المشحون بالتوتر؟ ولا يقع المتابع في هذه المسألة على جواب تاريخي واحد، لأن المصادر التاريخية قد اختلفت في الاجابة عن هذا السؤال، فالسيد بن طاووس (ر) في كتابه اللهوف، يقول: (قال رواة حديث الحسين (ع) مع الوليد بن عتبة ومروان: فلما كان الغداة توجه الحسين (ع) إلى مكة ثلاث مضي من شعبان سنة ستين...). «١» وهذا يعني أن الامام (ع) لم يبق بعد ذلك اللقاء إلا سواد تلك الليلة نفسها حيث خرج أول صباحها من المدينة!! وهذا لا ينسجم من حيث سعة الوقت مع الاخبار التي تتحدث عن ذهابه إلى زيارة قبر جدّه (ص)

مرتين، وذهابه إلى زيارة قبر أمه وأخيه (ع)، ولقائه مع كل من أم سلمة رضي الله عنها ومحمد بن الحنفية (ر)، وعمر الاطرف، ونساء بنى هاشم، ومروان بن الحكم وغيرهم ... فسواد تلك الليلة لا يتسع لكل ذلك، فضلا عن الوقت الذي يستلزمه الاعداد للرحيل، فضلا عن أن لقاءه (ع) مع الوليد بن عتبة كان في ساعة متأخرة من تلكم الليلة.

و تقول بعض المصادر الاخرى: (وخرج الحسين في الليلة الآتية باهله وفتيانه، وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير، فلحق بمكة). «٢»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٨

وهذا يعني أن الامام (ع) قد خرج في الليلة التي تلت ليلة اللقاء مع الوالي، لكن هذا المصدر التاريخي نفسه (تذكرة الخواص) ينقل بعد ذلك مباشرة هذا الخبر: (وقال أبو سعيد المقرئ: سمعت الحسين (ع) يتمثل تلك الليلة وهو خارج من المسجد بقول ابن مفرغ: «١»

لا ذعرت السوام في غسق الصبح مغيرا ولا دعوت يزيدا

يوم اءعطى من المهانة ضيما والمنايا يرصدنى اءن اءحيدا

قال: فقلت في نفسى ما تمثّل بهذين البيتين إلا لشي يريد، فخرج بعد ليلتين إلى مكة). «٢»

ويستفاد من هذا الخبر أن الامام (ع) قد خرج بعد ليلتين من ليلة اللقاء بالوليد بن عتبة، كما يستفاد منه أيضا أنه (ع) زار قبر جدّه (ص) زيارته الاولى في نفس ليلة اللقاء «٣» في الساعات الاخيرة منها.

وهذا عموما يوافق المستفاد أيضا من سرد ابن أعثم الكوفي لمجريات أحداث القصة في كتابه الفتوح. «٤»
يقول التاريخ:

(وخرج حسين بن علي من منزله ذات ليلة (وهي ذات ليلة اللقاء بالوليد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٩

بن عتبة كما بينا)، وأتى إلى قبر جدّه (ص) فقال:

السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني، وأنهم لم يحفظوني، وهذه شكواي اليك حتى ألقاك صلى الله عليك وسلم.
ثم وثب قائما وصف قدميه، ولم يزل راکعا وساجدا ...

قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه، وظن أنه خرج من المدينة.

قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح! «١»

قال: وأصبح الحسين من الغد، خرج من منزله ليستمع الاخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه (...). «٢»
لنتابع ما حدث في الليلة الثانية ...

يقول صاحب الفتوح: (... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضا فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

اللهم، هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الامر ما قد علمت، اللهم وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أساء لك يا ذا الجلال والاکرام بحق هذا القبر ومن فيه إلا ما اخترت من أمرى هذا ما هو لك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٠

رضى.

قال: ثم جعل الحسين (ع) يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فاءغى ساعة، فرأى النبي (ص) قد أقبل في ككبّة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضمّ الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه.

وقال: يا بنى يا حسين، كاءنك عن قريب أراك مقتولا مذبوحا بمرض كرب وبلاء من عصابة من أمتى، وأنت فى ذلك عطشان لا تسقى، وظم آن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتى، ما لهم! لأنالهم الله شفاعتى يوم القيامة! فما لهم عندالله من خلاق. حبيى يا حسين، إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا على، وهم إليك مشتاقون. وإن لك فى الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسين ينظر فى منامه إلى جدّه (ص) ويسمع كلامه ..

وهو يقول: يا جداه، لا حاجة لى فى الرجوع إلى الدنيا أبدا، فخذنى إليك، واجعلنى معك إلى منزلك. قال: فقال له النبى (ص): يا حسين، إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعمم أيبك تحشرون يوم القيامة فى زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة. «١» ... وانتبه الامام (ع) وقص رؤياه على أهل بيته وبنى عبدالمطلب (فلم يكن مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٨١

ذلك اليوم فى شرق ولا غرب أشد غمًا من أهل بيت الرسول (ص) ولا أكثر منه باكيا ولا باكية. «١» ويقول صاحب الفتوح: (وتهتأء الحسين بن على (ع) وعزم على الخروج من المدينة ومضى فى جوف الليل إلى قبر أمه فصلى عند قبرها ووَدعها ثم قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن (ع) ففعل مثل ذلك، ثم رجع إلى منزله. وفى وقت الصبح أقبل أخوه محمد بن الحنفية. «٢» ومع أن ابن أعثم لم يحدّد أيّة ليلة كانت تلك الليلة التى زار فيها الامام (ع) قبر أمه وقبر أخيه (ع)، إلا أن القرينة فى قوله: (وفى وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمد) كاشفة عن أن تلك الليلة هى الليلة التى سبقت ليلة السفر إلى مكة، لأن لقاء أخيه محمد معه (ع) كان فى آخر نهار له (ع) فى المدينة (على ما فى الفتوح) كما سيأتى.

لقاءات الوداع فى المدينة ص : ٣٨١

إشارة

وفى غضون هذه الفترة الوجيزة هرع إلى الامام (ع) رجال ونساء من بنى هاشم ومن غيرهم يودّعون ويتروّدون من رؤيته قبل الفراق، وقد سجّل لنا التاءريخ بعض هذه اللقاءات المشحونة بالحزن والاسى والقلق والخوف على الامام (ع). مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٨٢

ونحن نذكر هنا من هذه اللقاءات ما هو متيقن الحدوث فى المدينة، وأما ما لم نقطع تحقيقا بحدوثه فى المدينة، أو فى مكة، فسوف نذكره ضمن لقاءات الامام (ع) فى مكة لوجود قرينة تجعله مظنون الحدوث فى مكة.

عزاً نساء بنى عبدالمطلب ص : ٣٨٢

عن الامام الباقر (ع) أنه قال: (لما همّ الحسين (ع) بالشخوص عن المدينة أقبلت نساء بنى عبدالمطلب، فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهنّ الحسين (ع) فقال: ائشدكنّ الله اءن تُبدين هذا الامر معصية لله ولرسوله. قالت له نساء بنى عبدالمطلب: فلم نستبقى هذه النياحة والبكاء؟ فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله (ص) وعلى (ع) وفاطمة (س) ورقية وزينب وأمكثوم، فنشدك الله، جعلنا الله فداك من الموت، فيا حبيب الابرار من أهل القبور.

وأقبلت بعض عمّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعت الجنّ ناحت بنوحك، وهم يقولون:
وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشمٍ أذلّ رقابا من قريشٍ فذلّت
حبيب رسول الله، لم يك فاحشا أبانت مصيبتك الانوف وجلّت
وقلن أيضا:

بكوا حسينا سيّدا ولقتله شاب الشّعّر ولقتله زلزلتم ولقتله انكسف القمر
واحمزت آفاق السماء من العشيّة والسحر وتغيّرت شمس البلاد بهم وأظلمت الكور
ذاك ابن فاطمة المصاب به الخلاق والبشر أورثتنا ذلّا به جدّع الانوف مع الغرر «١»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٣

وقد ذكر صاحب كتاب معالي السبطين: (ثمّ إنّ نساء بني هاشم أقبلن إلى أمّهاني عمّة الحسين (ع) وقلن لها: يا أمّ هاني، أنت جالسة
والحسين (ع) مع عياله عازم على الخروج؟!
فأقبلت أمّهاني، فلمّا رآها الحسين (ع) قال: أما هذه عمّتي أمّهاني؟
قيل نعم.

فقال: يا عمّة، ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة؟!
فقلت: وكيف لا آتي، وقد بلغني أنّ كفيل الارامل ذاهب عنّي؟!
ثمّ إنّها انتحبت باكيّة، وتمثّلت بآبيات أبيها أبي طالب (ع):
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للارامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمه وفواضل
ثمّ قالت: سيّدي وأنا متطيّرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعت البارحة يقول:
وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم اءذلّ رقابا من قريش فذلّت
حبيب رسول الله، لم يك فاحشا أبانت مصيبتك الانوف وجلّت
فقال لها الحسين (ع): يا عمّة لا تقولي من قريش، ولكن قولي (أذلّ رقاب المسلمين فذلّت).
ثمّ قال: يا عمّة، كلّ الذي مقدر فهو كائن لامحالة.
وقال (ع):

وما هم بقوم يغلبون ابن غالب ولكن بعلم الغيب قد قدر الامر
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٤
فخرجت أمّ هاني من عنده باكيّة وهي تقول:
وما أمّ هاني وحدها ساء حالها خروج حسين عن مدينه جدّه
ولكنّا القبر الشريف ومن به ومنبره يبكون من أجله فقده «١»

عزاً أمّ المؤمنين امّ سلمة (رض): ص: ٣٨٤

وروي أنّه: (لمّا عزم على الخروج من المدينة أتته أمّ سلمة رضی الله عنها فقالت: يا بنی لا تحزنی بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت
جدّك يقول:

يُقتل ولدى الحسين بآرض العراق فى أرض يُقال لها كربلاء.

فقال لها: يا أمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لامحالة، وليس لى من هذا بدُّ، وإني والله لا عرف اليوم الذى أقتل فيه، وأعرف من يقتلنى، وأعرف البقعة التى اءدفن فيها، وإني اءعرف من يُقتل من اءهل بيتى وقرابتى وشيعتى، وإن أردت يا أمّاه ائريك حفرتى ومضجى.

ثم أشار إلى جهة كربلاء فانخفضت الارض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكريه، وموقفه ومشهده.

فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديدا، وسلّمت أمره إلى الله ...

فقال لها: يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يرانى مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا، وقد شاء أن يرى حرمى ورهطى ونسائى مُشرّدين، وأطفالى مذبحين مظلومين، ماءسورين مقتيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا.

وفى رواية أخرى:

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٨٥

قالت أم سلمة: وعندى تربة دفعتها إلى جدك فى قارورة.

فقال: والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوننى أيضا. ثم أخذ تربة فجعلها فى قارورة، وأعطها إياها.

وقال: إجعلها مع قارورة جدى، فإذا فاضتا دما فاعلمى أنى قد قُتلت. (١)

أم سلمة (رض) والودائع ص : ٣٨٥

وروى أنّه (لما توجه الحسين (ع) إلى العراق دفع إلى أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى (ص) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدى فادفعى إليه ما قد دفعت إليك.

فلما قُتل الحسين (ع) أتى على بن الحسين (ع) أم سلمة رضى الله عنها فدفعت إليه كل شى أعطهاها الحسين (ع). (٢)

وفى رواية أخرى: (وكتب الحسين (ع) وصية، وأودعها أم سلمة، وجعل طلبها منها علامة على إمامة الطالب لها من الانام، فطلبها زين العابدين (ع). (٣)

وهذا كاشف عن صدق ايمان أم المؤمن (أم سلمة رضوان الله تعالى عليها) وجلالة شأنها ومنزلتها الخاصة عند أهل البيت (ع).

عمر الاطرف ومنطق المداهنه وحب السلامة!! ص : ٣٨٥

وروى عن عمر الاطرف بن الامام على (ع) أنّه قال: (لما امتنع أخى

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٨٦

الحسين (ع) عن البيعة ليزيد بالمدينة دخلت عليه فوجده خاليا.

فقلت له: جُعلت فداك يا أباعبدالله، حدّثنى أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه (ع) ...

ثم سبقتنى الدمعة، وعلا شهيقى، فضمّنى إليه.

وقال: حدّثك أنى مقتول؟

فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله!

فقال: ساءلتك بحقّ أبىك، بقتلى خبرك؟

فقلت: نعم، فلو لا ناولت وبايعت!!

فقال: حدّثني أبي أن رسول الله (ص) أخبره بقتله وقتلى، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، فتظنُّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟! وإنّه لا أعطى الدنيّة من نفسى أبداً، ولتلقين فاطمة أباه شاكياً ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنّة أحدٌ آذاها في ذريتها!!). «١»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٧

محمد بن الحنفية ... النصيحة والوصية ص : ٣٨٧

في صباح آخر نهار للامام الحسين (ع) في المدينة أقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية (ر)، وقد غلبه الاسى والحزن، وطغى عليه القلق والخوف على حياة الامام (ع)، وقد قلب أوجه التفكير في الامر، ورأى أن يقدم النصيحة بين يدي أخيه (ع)، فلما استقرّ به المقام: قال: (يا أخى أنت أحبُّ الناس إليّ، وأعزهم عليّ، ولست أدخر النصيحة لا حد من الخلق إلّا لك، وأنت أحقّ بها، تنحّ بيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعك الناس د وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لن ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروّتك ولا فضلِكَ، إنّي أخاف عليك أن تدخل مصرا من هذه الامصار، فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتلون، فتكون لا ولّ الاسنّة غرضاً، فإ ذا خيره ذه الائمة كلّها نفساً وأبا وأماً أضيعها دما وأذلّها أهلاً!!
فقال له الحسين (ع): فاءين أذهب يا أخى؟

قال: إنزل مكّة، فإن اطمانت بك الدار بها فسيبيل ذلك، وإن نبت بك لحتت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد، حتّى تنظر إلى ما يصير أمر الناس إليه، فإنّك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الامر استقبالا.
فقال: يا أخى، قد نصحت وأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٨
موقفاً. «١»

وفي رواية الفتح: أخرج إلى مكّة، فإن اطمانت بك الدار فذاك الذى تحبّ واءحبّ، وإن تكن الاخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنّهم اءنصار جدك وأخيك وأبيك، وهم أرف الناس وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٩
بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن إطمانت بك أرض اليمن وإلّا لحتت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.
فقال له الحسين (ع): يا أخى، والله لو لم يكن فى الدنيا ملجاء ولا ماءوى لما بايعتُ والله يزيد بن معاوية أبداً، وقد قال (ص): (أللهم لا تبارك فى يزيد).

قال: فقطع عليه محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى معه الحسين ساعة ..
ثم قال: (جزاك الله يا أخى عنى خيراً، ولقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موقفاً مسدداً، وإنّي قد عزمت على الخروج إلى مكّة، وقد تهيتتُ لذلك أنا وإخوتى وبنو إخوتى وشيعتى، وأمرهم أمرى ورأيهم رأيى. وأما أنت يا أخى فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لى عينا عليهم، ولا تخف على شيئا من أمورهم). «١»
(ثم دعا الحسين (ع) بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لاخيه محمد:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمّدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدّي (ص)، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب (ع)، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضى الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٠

وصيتي يا أخى إليك وما توفيقى إلّا بالله عليه توكلت وإليه ائنيب.

قال: ثم طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمّد، ثم ودّعه وخرج في جوف الليل. (١)

تأمل وملاحظات: ص : ٣٩٠

الامام (ع) في المدينة يتحدّث عن مصرعه في العراق!! ص : ٣٩٠

ملفتٌ لانتباه أن الامام الحسين (ع) مع قصده المرحلى في الخروج من المدينة إلى مكة المكرمة كان قد أعلن لا هل بيته وشيعته عن قصده النهائي في الخروج إلى أرض العراق وهو في المدينة لئلا يخرج عنها بعد، فها هي أم سلمة رضی الله عنها تقول له: (يا بنى لا تحزنى بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعتُ جدك يقول: يُقتل ولدى الحسين باعرض العراق في أرض يُقال لها كربلاء) فيقول (ع): (يا أمّاه وأنا، والله أعلم ذلك، وإنّي مقتول لامحالة...)، ويقول (ع) لا خيه عمر الاطرف: (حدثني أبي أن رسول الله (ص) أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته...)، وهناك نصوص أخرى تؤكد هذه الحقيقة.

ويستفاد من هذه الحقيقة على صعيد التحليل التاريخي إضافة إلى البعد الاعتقادي الحاكي عن أن الامام الحسين (ع) كان يعلم بكل تفاصيل ما يجرى عليه بعلم إلهي موهبي لكونه إماما أن الامام الحسين (ع) على ضوء درايته السياسية الاجتماعية كان يرى أن العراق أفضل أرض يختارها مسرحاً للمواجهة وللمعركة الفاصلة بينه وبين السلطة الاموية، وأن العراق أفضل بقعة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩١

يختارها للمصرع المحتوم (وإنّي مقتول لامحالة)، وذلك لما في العراق من كمّ شيعي كبير، اءوقل كمّ كبير محبّ لا هل البيت (ع)، برغم ما في هذا الكمّ الكبير من مرض الازدواجية في الشخصية (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، ولا- ن العراق لم ينغلق لصالح الامويين كما انغلقت الشام تماما، الامر الذي يجعل أرض العراق أفضل البقاع للتأثر يا شعاعات الثورة الحسينية وفاجعة الطف.

ويؤكد التاريخ في نصوص كثيرة أن الشيعة في العراق كانوا على اتصال دائم بالامام الحسين (ع) في زمن معاوية منذ عهد الامام الحسن (ع)، وكانوا يساءلونه القيام والخروج على الحكم الاموي، ويبدون استعدادهم للنصرة والتضحية، غير أن الامام الحسين (ع) كان يامرهم بالصبر والاحتراص والترقب مادام معاوية حيا.

من هنا يستفاد أن نية التوجه إلى العراق كانت منعقدة عند الامام (ع) منذ البدء على ضوء درايته السياسية الاجتماعية وعلى ضوء صلته وارتباطه باهل العراق.

أى أن نية التوجه إلى العراق لم تتعقد عند الامام (ع) بسبب رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية، بل كانت هذه النية وهذا العزم عند الامام (ع) قبل هذه الرسائل، على أساس منطق الشهيد الباحث عن أفضل أرض مختارة لمصرعه المحتوم، وما شكّلت رسائل أهل الكوفة إلّا حجة ظاهرة لتأكيد هذه النية وذلك التصميم.

مع العامل الاله من عوامل الثورة الحسينية ص : ٣٩١

في لقائه (ع) مع أخيه عمر الاطرف الذي قال للامام (ع) (فلولا ناولت وبايعت!) جدد الامام (ع) رفضه القاطع لمبايعة يزيد قائلاً:
لااء عطى الدينية

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٢

من نفسى أبدا)، وأكد (ع) لا أخيه محمد بن الحنفية (ر) أيضاً على هذه القاطعية في رفض البيعة حيث قال: (يا أخى، والله لو لم يكن في الدنيا ملجاء ولا ماءوى لمبايعة والله يزيد بن معاوية أبدا...).

وهذا الرفض القاطع لبيعة يزيد وهو العامل الاول من العوامل المؤثرة في النهضة الحسينية لو كان منبعثاً من سبب شخصي لكان الامام (ع) قد سكت عن الحكم الاموي في حال سكوت هذا الحكم عن مطالبة الامام (ع) بالبيعة، ولكانت مشكلة هذا الحكم مع الامام (ع) قد انتهت عند هذه الحد!!.

لكن عامل رفض البيعة عند الامام (ع) كان منبعثاً من سبب مبدئي تمثل في الخطر الماحق الذي يهدد الاسلام في حال سكوت الامام (ع) عن حاكم مثل يزيد بن معاوية: (وعلى الاسلام السلام إذ بليت الامة براع مثل يزيد)، وهذا السبب نفسه هو الذي جعل الامام (ع) وجها لوجه امام مسؤ ولية التحرك والنهوض لطلب الاصلاح في امة جدّه (ص) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا السبب المبدئي المشترك هو الذي مزج في الحقيقة بين عامل رفض البيعة وعامل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما التفكيك بينهما في الحديث عنهما إلا تفكيك اعتباري.

ونتيجة لهذا الامتزاج في الحقيقة، كان عامل رفض البيعة قد استمد أهمية الكبرية الناشئة عن الاهمية العليا التي يختص بها عامل الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا لكان من المحتمل أن ينتهي الامر بسكوت الامام (ع) حاشاه عن يزيد بسكوت يزيد عن مطالبته بالبيعة!!

فعامل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إذن هو العامل الاله من مجموعة العوامل المؤثرة في النهضة الحسينية المقدسة.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٣

وفي الوصية التي أوصى بها الامام الحسين (ع) إلى أخيه محمد بن الحنفية (ر) نجد الامام (ع) يحصر العلة في خروجه بهذا العامل وحده، إنه (ع) لا يعلل الخروج في هذه الوصية بعامل رفض البيعة ولا يتحدث عنه فيها، كما لا يعلل بعامل آخر من العوامل الاخرى المؤثرة في نهضته المقدسة كعامل رسائل أهل الكوفة مثلاً، إنه (ع) في هذه الوصية يتحدث فقط عن طلب الاصلاح وضرورة تغيير الاوضاع الفاسدة من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا دليل واضح وقاطع على الاهمية العليا لعامل الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكاء هذه الوصية تتحدث عن ظهور التاثير المستقل لهذا العامل الاله.

في إطار عامل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد الامام (ع) هو الذي يقرر المواجهة مع الحكم الاموي ابتداءً، لاء دعوة اهل الكوفة هي التي دفعته إلى المواجهة، ولا مطالبة الحكم الاموي إياه بالبيعة ورفضه (ع) لهذه البيعة هو الذي دفعه إلى المواجهة، بل لأن تحول الحرام إلى حلال والحلال إلى حرام وتفشى الفساد في حياة الامة هو الذي وضع الامام (ع) أمام ضرورة المواجهة ووجوب القيام والنهضة.

ولا يعني هذا أن الامام (ع) كان قد ترك أو تهاون في واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الاصلاح في الامة في زمن معاوية، بل قد كان (ع) ينهض في زمن معاوية باعباء هذا الواجب المقدس باشكال مختلفة ومناسبات متواليه، لكن أدا هذا الواجب في إطار النظر إلى الاثار وحساب النتائج المترتبة على ذلك آتئذ (عدم احتمال حصول النتائج المرجوة) كان يقف دون حد الخروج على معاوية مادام حياً.

وإذا كانت العوامل المؤثرة في أية نهضة هي التي تمنحها القيمة والاهمية

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٤

الجديرة بها، فإن عامل الإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد منح الثورة الحسينية قيمة أعلى بكثير مما منحها العوامل الاخرى المؤثرة فيها، كعامل رفض البيعة، وعامل رسائل أهل الكوفة مثلا، فلقد تمكنت هذه الثورة المقدسة استنادا إلى عامل طلب الإصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكون جديرة بالخلود والحياء، وأن تكون الثورة الاسوة.

وكما أن عامل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد رفع من قيمة وأهمية الثورة الحسينية، فإن هذه الثورة المقدسة بالمقابل قد رفعت من قيمة وأهمية مبدأ وأصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إثباتا لا ثبوتا.

وتوضيح ذلك: هو أن لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قيمة محددة وأهمية معينة ثبوتية، أي في واقع الامر، أو في نفس الامر، أو في متن الاسلام، هذه القيمة حددها الله تبارك وتعالى في متن التشريع الاسلامي، ويعلمها كما هي في الواقع الله تبارك وتعالى والراسخون في العلم محمد وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا الامر ينطبق على كل الاصول والمبادئ الاسلامية، فلكل منها حد معين ومقام معلوم وأهمية محددة في متن الاسلام في مقام الثبوت أي في الواقع أو في مقام الشيء بذاته.

وهذا غير مقام الاثبات، أي مقام الشيء بالنسبة إلينا، حيث يمكن في هذا المقام أن نخطئ في النظر والتأمل والاستنتاج، فنقيم الشيء تقييما نبخسه فيه حقه من القيمة والاهمية، أو نمنحه فوق ما يستحق منها.

إذن فمقام الاثبات يختلف عن مقام الثبوت، إذ إن هناك فرقا بين ما هو منظور بالنسبة إلينا وبين ما هو واقع الشيء بنفسه.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٥

وفي مقام الاثبات يلاحظ المتأمل أن علماء الاسلام مع إقرارهم بقاء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الواجبات الدينية وأعظمها، لكن قيمة هذا المبدأ ودرجته أهمية هذا الاصل الاسلامي والاولوية الممنوحة له قضيه تفاوتت فيها نظراتهم في تفصيلات الاحكام المستنبطة في إطار مبحث هذا الاصل خصوصا بلحاظ قضيه الضرر (المتيقن أو المظنون أو المحتمل احتمالا- يُعتد به) المترتب على القيام بهذا الواجب.

فتتصاعد القيمة والاهمية والاولوية التي يتمتع بها هذا الاصل الاسلامي في عالم الاستنباط: من النظرة الاجتهادية التي ترى أن من شرائط القيام بهذا الواجب: (أن لا يلزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر في النفس أو في العرض أو في المال، على الامر أو على غيره من المسلمين، فإذا لزم الضرر عليه أو على غيره لم يجب شيء...)، «١» ثم لم تتحدث عن أكثر من ذلك!

إلى النظرة الاخرى التي تضيف إلى ما سبق فتقول: (... هذا فيما إذا لم يحرز تآثير الامر أو النهي، وأما إذا أحرز ذلك فلا بد من رعاية الاهمية، فقد يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم بترتب الضرر أيضا، فضلا عن الظن به أو احتمالها). «٢»

إلى النظرة الاخرى التي تعتمد في شرائط هذا الواجب شرط عدم حصول المفسدة، وترى في جملة ما ترى في إطار هذا المبحث:

(: لو وقعت بدعة في الاسلام، وكان سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم موجبا لهتك الاسلام وضعف عقائد المسلمين يجب عليهم الانكار بآية وسيلة ممكنة، سواء كان الانكار مؤثرا في قلع الفساد أم لا،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٦

وكذا لو كان سكوتهم عن إنكار المنكرات موجبا لذلك، ولا يلاحظ الضرر والحرَج بل تلاحظ الاهمية.

: لو كان في سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم خوف أن يصير المنكر معروفا أو المعروف منكرا يجب عليهم إظهار علمهم، ولا يجوز السكوت ولو علموا عدم تآثير إنكارهم في ترك الفاعل، ولا يلاحظ الضرر والحرَج مع كون الحكم مما يهتم به الشارع الاقدس جدا.

: لو كان في سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم تقوية للظالم وتأييد له والعياذ بالله يحرم عليهم السكوت، ويجب عليهم الاظهار ولو لم يكن مؤثراً في رفع ظلمه). «١»
 هذه النماذج التي أوردناها على سبيل المثال لا الحصر شاهد على تفاوت النظر الاجتهادي في إطار مبحث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي صدد ما نحن فيه: فليس قصدنا أن ثورة الامام الحسين (ع) قد غيرت أو رفعت من القيمة والاهمية الواقعية الموضوع في متن الاسلام لا صل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أهميته في مقام الثبوت.
 يقول الشهيد آية الله الشيخ مرتضى مطهرى في هذه النقطة:
 (ما أقصده هو أن النهضة الحسينية إنما رفعت من إمكانات الاستنباط والاجتهاد لعلماء الاسلام والمسلمين، بشكل عام، في دائرة أصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٧
 وعليه، فإنني عندما أقول بآء الحسين بن علي (ع) قد رفع من قيمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن قصدى هو القول بآءه (ع) قد رفع هذه القيمة في عالم الاسلام، وليس في الاسلام.
 ذلك أن الحسين بن علي (ع) قد بين للعالم أجمع أن مساءلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تصل إلى درجة يتطلب فيها من الانسان أن يضحي بنفسه وماله وكل ما يملك في سبيل هذا الاصل، ويتحمل في سبيل ذلك كل أنواع اللوم والانتقاد، كما فعل الحسين نفسه.

فهل هناك أحد في الدنيا منح قيمة لا صل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار ما أعطاه الحسين بن علي (ع)؟!
 إن معنى النهضة الحسينية يفيد بآء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالغ القيمة إلى الحد الذي يمكن فيه للمرء أن يضحي في سبيله بكل شيء). «١»

سيرة الاصلاح ص: ٣٩٧

في النص الذي نقله ابن شهر آشوب (ره) لبعض الوصية التي كتبها الامام الحسين (ع) لآخيه محمد بن الحنفية (ر)، «٢» وكذلك في نصها الذي نقله العلامة المجلسي (ره) عن كتاب المقتل للسيد محمد بن أبي طالب الموسوي، والذي أوردناه من قبل، نجد الامام (ع) في تعليقه لخروجه على الحكم الاموي يقرن مع طلب الاصلاح في الامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله: (وأسير بسيرة جدى وأبي علي بن أبي طالب (ع).

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٨
 ومما يستفاد من هذا الاقتران وهذا الحصر بهاتين السيرتين المقدستين أمران:
 الاول: هو أن الاصلاح العملي في الامة من خلال تقديم الصورة الحية المثلى لهذا الصلاح، والدعوة العملية إلى كل معروف والنهي العملي عن كل منكر، إنما يتحققان بالسير بهاتين السيرتين المقدستين.

والثاني: هو أن الامام (ع) بذكره هاتين السيرتين فقط قد أعلن عن إدانته للسيرة الاخرى التي حكمت حياة المسلمين بعد رسول الله (ص)، وكانت السبب في مناشيء الانحراف الذي تعاضم حتى آلت الامور إلى حاكم مثل يزيد بن معاوية!
 ومعنى هذا أن الاصلاح في الامة وتطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيقاً لحياة يحكمها الاسلام المحمدي الخالص لا يكون إلا بالا اعراض عن تلك السيرة الاخرى ورفضها.

ويبدو أن بعض الاقلام التي دوّنت سيرة الامام الحسين (ع) أو التي استنسخت بعض كتب التاءريخ قد انتبعت إلى قوّة إدانة الامام (ع) لهذه السير الاخرى في قوله: (وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب (ع) فقط، فاءضافت إليها عبارة (وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم) رفعا لهذه الادانة الحسينية لتلكم السير الاخرى.

يقول السيد مرتضى العسكري وهو محقق مرموق (إن الراشدين اصطلاح تاءخر استعماله عن عصر الخلافة الاموية، ولم يرد في نصّ ثبت وجوده قبل ذلك، ويُقصد بالراشدين الذين أتوا إلى الحكم بعد رسول الله (ص) متواليا، من ضمنهم الامام علي (ع)، فلا يصحّ أن يعطف الراشدين على اسم الامام،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٩

كلّ هذا يدلنا على أن الجملة اءدخلت في لفظ الامام الحسين (ع). «١»

ولقد وردت هذه الاضافة في نصّ الوصية في رواية كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي وفي كتاب مقتل الحسين (ع) للخوارزمي نقلا عن الفتوح.

لماذا الخروج من المدينة ليلا!!! ص : ٣٩٩

تكاد المصادر التاءريخية تجمع على أن الركب الحسيني خرج من المدينة في جوف الليل، وإن كانت هذه المصادر قد اختلفت في الليلة التي كان الخروج فيها.

والظاهر من متون بعض الروايات أن ساعة الخروج من المدينة كانت من ساعات الليل المتأخرة، ممّا يوحي بقاء الخروج كان بصورة سرية وعلى خوف من طلب السلطة، خصوصا وأن الروايات تحدّثت أن الامام (ع) قد خرج وهو يقرأ قوله تعالى: (فخرج منها خائفا يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين).

وظاهر أجواء وقائع ما بعد لقاء الامام (ع) بوالى المدينة يثير مثل هذا التصوّر ولا ينفيه، خصوصا وأن الامام (ع) كان حريصا على أن لا يقتل غيلة في المدينة، أو تقع مواجهة مسلّحة في المدينة، فتهتك بذلك حرمة حرم رسول الله (ص)، فاستبق (ع) الزمن والاحداث كي لا يقع كلّ ذلك المحذور، وخرج ليلا بتلك الصورة السرية!

وقد تكرر الامر نفسه مع الامام (ع) في مكة المكرمة أيضا، فخرج (ع) منها مستبقا الزمن والاحداث كي لا يقع ذلك المحذور أيضا فتهتك بذلك حرمة البيت، وكان (ع) قد خرج منها في السحر أو في أوائل الفجر كما في الروايات.

فيكون الدافع واحدا في المرّتين (مع أننا قدّمنا من قبل أن هذا المحذور يقع

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٠

عند الامام (ع) في إطار خوف أكبر، وهو خوفه من أن تخنق ثورته في مهدها، سواء في المدينة أو في مكة (...).

غير أن ما يلفت الانتباه ويشير التاءمل هو أن الامام (ع) قبل خروجه من مكة قام خطيبا وأعلن في خطبته عن موعد خروجه منها حيث قال فيما قال في تلك الخطبة:

(... من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحلٌ مصبحا إن شاء الله تعالى) «١»

وبهذا يكون الامام (ع) قد كشف عن موعد ارتحاله أوائل الصباح كما في هذه الرواية، أي في الوقت الذي يعتبر أواخر الليل وتكون فيه بعد بقيّة من ظلام تصلح للستر والخفاء.

لكنّ كشفه (ع) عن موعد ارتحاله في تلك الساعة ينفي التعليل بقاءه (ع) خرج في ظلام السحر أو في بقيّة ظلام أوائل الصباح تسرّا من رقابة السلطة الحاكمة كي لا يدركه الطلب!

هذا فضلا عن أنه من المستبعد أن يخفى على السلطنة خروج الركب الحسيني ساعة خروجه من المدينة (وهو ركب كبير نسبيا) أو ساعة خروجه من مكة (وقد كان أكبر)، إذا حرصت هذه السلطنة على أن تعلم متى يخرج هذا الركب، خصوصا والمدن آئتذ تعتبر مدنا صغيرة قياسا إلى المدن المعروفة اليوم.

وهذا فضلا عن أن والى المدينة آئتذ الوليد بن عتبة كان متراخيا فى الضغط على الامام (ع)، وكان يتمنى خروجه من المدينة وألا يُبتلى بدمه! وهذا ليس د بخافٍ على الامام (ع) كما هو اعتقادنا وكما تشير إلى ذلك أدلة معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠١ تاءريخية.

إنّ التعليل الذى اءطمئن له فى هذه المسألة هو اءنّ الامام (ع) لم يخرج فى الظلام من المدينة أو من مكة حذرا من أعين السلطنة وخوف الطلب، بل خرج فى الظلام من كلتا المدينتين وليس فى النهار كى لاتصفح أعين الناس فيهما النساء فى الركب الحسيني، أو تنظر الاعين عن قرب كيف يركبن المطايا، الامر الذى تاءباه الغيرة الحسينية الهاشمية! ولو لم يكن هذا الامر هو العلة التامة لخروج الركب الحسيني فى جوف الليل، فلاقل من أن يكون العلة المهمة جدا فى مجموعة العلل الاخرى التى شككت العلة التامة لهذا الخروج فى ظلمة الليل.

الاصرار على الطريق الاعظم! ص : ٤٠١

وتقول الرواية التاءريخية وهى تصف الجادة التى سلكها الركب الحسيني بقيادة الامام الحسين (ع) عند خروجه من المدينة إلى مكة المكرمة:

(فسار الحسين (ع) إلى مكة وهو يقرأ: (فخرج منها خائفا يترقب قال ربّ نجنى من القوم الظالمين)، ولزم الطريق الاعظم. فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الاعظم كما فعل ابن الزبير كى ليلحقك الطلب. فقال: (والله، لأفارقة حتى يقضى الله ما هو قاض!) «١»

وفى رواية الفتوح:

(فقال له ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبى طالب: يا ابن بنت رسول الله

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٢

(ص)، لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبدالله بن الزبير كان عندى الرأى، فإنا نخاف أن يلحقنا الطلب! فقال له الحسين (ع): (لا- والله يا ابن عمى، لا- فارقت هذا الطريق أبدا أو أنظر إلى آيات مكة، أو يقضى الله فى ذلك ما يحب ويرضى).

ثم جعل الحسين يتمثل بشعر يزيد بن مفرغ الحميرى وهو يقول:

لا سهرت السوام فى فلق الصب ح مضيئا ولا دُعيتُ يزيدا

يوم اءعطى من المخافة ضيما والمنايا يرصدننى اءن اءحيدا «١»

وهنا قد يتساءل المتأمل عن سبب إصرار الامام (ع) عن سلوك الطريق الاعظم إصرار من يرضى بمواجهة كل خطر محتسب وغير محتسب ولا يرضى بالتخلى عن سلوك هذا الطريق الرئيس!؟

هل هى الشجاعة الحسينية من ورأ كل هذا الاصرار؟

أم أن الامام (ع) أراد من ورأ ذلك أمرا إعلاميا وتبليغيا للتعريف بقيامه ونهضته من خلال التقاء الركب الحسيني القاصد إلى مكة

بكل المارة والقوافل على الطريق الاعظم، لانهم سيتساءلون عن سبب خروج الامام (ع) من مدينة جدّه (ص) مع جلّ بنى هاشم ومن معهم من أنصاره، ويتعرفون من الامام (ع) مباشرة على أهدافه التي نهض من أجلها، فينضمّ إليه من يوقّه الله تعالى إلى نصرته، ويتشتر أمر هذا القيام المقدّس بين الناس في مناطق عديدة، فيتحقّق بذلك عملٌ إعلامي وتبليغي ضروري لتوسيع رقعة هذا القيام المبارك وكسب الانصار له؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٣

لاشك أنّ تعليل إصراره (ع) على لزوم الطريق الاعظم بالشجاعة الحسينية تعليلٌ صحيحٌ في نفسه، وكذلك تعليله بالهدف الاعلامي والتبليغي للتعريف بقيام الامام (ع) ونهضته، ولا منافاة بين هذين التعليلين.

ولعلّ التعليل الالهّم الذي يمكن أن يُضاف إليهما، هو أنّ الامام الحسين (ع) في إصراره على لزوم الطريق الاعظم أراد أن يُعلن للامة أنّه ليس من العصاة البغاة الخارجين على حكومة شرعية كانوا قد اعترفوا بها ثمّ تمردوا عليها، أولئك الذين يلوذون بالطرق الفرعية خوفا من رصد الحكام وفرارا من قبضتهم.

أراد (ع) أن يُعلن للامة أنّه هو ممثّل الشرعية لا- الحكم الامويّ، وأنّه هو صاحب الحقّ بالطريق الاعظم، وبالخلافة، وبكلّ شؤن الامة، وأنّه هو الاصل الشرعي، وأنّ يزيد هو الشذوذ والخلاف والانحراف والتمرد على الشرعية.

وهذا البعد بعدّ تبليغي وإعلامي ثابت في حركة الامام الحسين (ع)، وهو مفسّرٌ عامٌ لجميع تفاصيل حركة نهضته المقدّسة منذ حين قال لوالى المدينة:

(أيها الامير، انا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، مثلي لا يبايع لمتله، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون أيّنا أحقّ بالخلافة.) «١» إلى ساعة استشهاده (ع) في كربلاء.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٤

الركب الحسيني الخارج من المدينة: ص : ٤٠٤

بنو هاشم: ص : ٤٠٤

لم يرد في الكتب التاريخية ذكر تفصيلي لا سماء الهاشميين في الركب الحسيني القاصد من المدينة إلى مكة المكرمة، بل ورد في أغلب هذه الكتب ذكر إجمالي لمن خرج من الهاشميين مع الامام (ع) من المدينة، كمثل قول الشيخ المفيد (ره): (فخرج الحسين (ع) من تحت ليلته وهي ليلة الاحد ليومين بقيا من رجب متوجّها نحو مكة ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجلّ أهل بيته إلّا محمّد بن الحنفية (...). «١»

وقال الدينوري: (فلما أمسوا وأظلم الليل مضى الحسين رضى الله عنه أيضا نحو مكة، ومعه أختاه: أمّ كلثوم، وزينب، وولد أخيه، وإخوته أبوبكر وجعفر والعباس، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلّا أخاه محمّد بن الحنفية (...). «٢»

وقال ابن أعثم الكوفي: (وخرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله). «٣»

وقال الطبري: (وأما الحسين فإنّه خرج ببنيه وإخوته وبنو أخيه وجلّ أهل بيته إلّا محمّد بن الحنفية). «٤»

كما أشارت بعض المصادر التاريخية الاخرى إلى أنّ الامام (ع) بعث إلى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٥

المدينة (وهو في مكة) يستقدم إليه من خف من بني هاشم، فخف إليه جماعة منهم، وتبعهم إليه محمد بن الحنفية، ولكنها لم تحدّد من هؤلاء! (١)

وعلى هذه الاجمال جرت المصادر التاريخية الاخرى التي تعرّضت لهذا الحدث، ولم أعثر على رواية تتحدّث في تفصيلات قضايا هذا الركب وفي أشخاصه إلّا ما ورد في كتاب (أسرار الشهادة) في رواية ضعيفة جدًا: (عن عبدالله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جدّه) يصف فيها كيف أركب بعض بني هاشم محارمهم من النساء من عيالات أبي عبدالله الحسين (ع) على محامل الابل، ثم كيف ركب بنوهاشم والامام (ع). والرواية مصوغه بآسلوب هو أقرب إلى الآسلوب المنبري المعتمد على الاثارة العاطفية في الوصف، ومع هذا فالرواية غلب عليها الاجمال في ذكر من هم (بنوهاشم) في الركب، وكم كان عددهم. (٢)

نعم، تشير الدلائل التاريخية إلى أنّ محمّد بن الحنفية، وعمر الاطرف، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عباس لم يكونوا مع الركب الحسيني الخارج من المدينة.

و تشير أيضا إلى أنّ الامام (ع) قد خرج بجميع أبنائه، وجميع أبناء أخيه الامام الحسن (ع)، وجميع بقيّة إخوته لا بيه عليه وعليهم السلام.

ومن المتيقّن أيضا أنّ مسلم بن عقيل (ع) كان قد خرج معه، أمّا ولداه عبدالله ومحمّد فالأظهر أنّهما كانا مع أبيهما مسلم في الخروج مع الامام الحسين (ع).

وأما ولدا عبدالله بن جعفر، وهما عون ومحمّد، فإنّ ظاهر القرائن التاريخية يفيد أنّهما كانا مع أبيهما، ثمّ التحق بالامام (ع) وانضمّا إليه بعد خروجه من مكة، ويبقى الاحتمال واردا أنّهما خرجا مع الامام (ع)، ثمّ صارا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٦

مع أبيهما في مكة، ثمّ عادا فالتحقا.

أمّا بقيّة الانصار من آل عقيل فالقرائن التاريخية لاتفيد القطع في معرفة من منهم خرج مع الامام (ع) من المدينة، أو من منهم التحق به بعد ذلك.

الانصار الاخرون: ص: ٤٠٦

إشارة

أمّا الانصار الاخرون غير الهاشميين الذين خرجوا مع الامام (ع) من المدينة فقد لايجد المتتبع تلك الصعوبة في معرفتهم، وقد أثبت التاريخ الاسماء التالية:

١ (عبدالله بن يقطر الحميري ص: ٤٠٦

: كانت أمّه حاضنة للامام الحسين (ع)، ولم يكن رضع عندها، لأنّه صحّ في الاخبار أنّ الحسين (ع) لم يرضع إلّا من صدر فاطمة (س) ومن إبهام رسول الله (ص) وريقه، لكنّ عبدالله اشتهر في أنّه أخوالحسين (ع) من الرضاعة.

وقال ابن حجر في الاصابة: إنّّه كان صحابيًا لأنّه لدة الحسين (ع). وكان الامام (ع) قد سرّحه إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الحسين (ع)، فقبض عليه الحصين بن تميم بالقادسية، وأرسله إلى عبيدالله بن زياد، فسأله عن حاله فلم يخبره، فقال له: إصعد القصر والعن الكذاب بن الكذاب ثمّ انزل حتّى أرى فيك رأيي. فصعد القصر فلمّا أشرف على الناس قال: أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (ص) إليكم لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعيّ بن الدعيّ، فأمّر

به عبيد الله فاء لقي من فوق القصر إلى الأرض، فتكسرت عظامه، وبقي به رمق فاء تاه عبد الملك بن عمير اللخمي قاضي الكوفة و فقيها فذبحه، فلما عيب عليه، قال إنني أردت أن أريحه!! «١»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٧

٢ (سليمان بن رزين مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧

: وهو الذي أرسله الامام الحسين (ع) بكتاب إلى رؤوس الاخماس وإلى الاشراف بالبصرة حين كان بمكة، ومنهم المنذر بن الجارود، وكانت بحرية بنت الجارود زوجة لعبيد الله بن زياد، فاءخذ المنذر سليمان بن رزين والكتاب وقدمهما إلى عبيد الله بن زياد، فلما قرأ الكتاب قتل سليمان، فكان من أنصار الحسين (ع) الذين قتلوا في البصرة. «١»

٣ (أسلم بن عمرو مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧

: من شهدا الطف، وقد ذكر أهل السير والمقاتل أن الامام الحسين (ع) اشتراه بعد وفاة أخيه الحسن (ع) ووهبه لابنه علي بن الحسين (ع)، وكان أبوه تركيا، وكان أسلم كاتباً عند الحسين (ع) في بعض دوائجه، فلما خرج الحسين (ع) من المدينة إلى مكة كان أسلم ملازماً له حتى أتى معه كربلاء، فلما كان يوم العاشر وشب القتال استاءذن الامام (ع)، وكان قارئاً للقرآن، فاءذن له، فجعل يقاتل ويرتجز حتى قتل من القوم جمعا كثيرا، ثم سقط صريعا، فمشى إليه الحسين (ع) فرآه وبه رمق وهو يومي إلى الحسين (ع)، فاعتنقه الحسين (ع) ووضع خده على خده، ففتح عينيه فتبسّم وقال: من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي، ثم فاضت نفسه (ر). آ «٢»

٤ (قارب بن عبدالله الدثلي مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧

: أمه جارية للحسين (ع)، واسمها فكيهة، كانت تخدم في بيت الرباب زوجة الامام (ع)، تزوجها عبدالله الدثلي فولدت منه قاربا، فهو مولى للحسين (ع)، خرج معه من المدينة إلى مكة، ثم إلى كربلاء، وقتل في الحملة الاولى التي هي قبل الظهر بساعة. «١»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٨

٥ (منجج بن سهم مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٨

: (حكى عن ربيع الابرار للزمخشري أنه قال: حسيته كانت جارية للحسين (ع) اشتراها من نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، ثم تزوجها سهم فولدت منه منججا فهو مولى للحسين (ع).
(انتهى).

وقد كانت في بيت السجاد (ع)، فلما خرج الحسين (ع) إلى العراق خرجت معه ومعها ابنها منجج حتى أتوا كربلاء، ولما تبارز الفريقان يوم الطف قاتل القوم قتال الابطال، وقُتل في أوائل القتال رضوان الله عليه. «٢» وقيل: (كان منجج من موالى الحسن (ع)، خرج من المدينة مع ولد الحسن (ع) في صحبة الحسين (ع) فاءنجح سهمه بالسعادة وفاز بالشهادة). «٣»

٦ (سعد بن الحرث الخزاعي مولى علي (ع) ص : ٤٠٨

: (كان سعد مولى لعلي (ع) فانضمّ بعده إلى الحسن (ع)، ثم إلى الحسين (ع)، فلما خرج من المدينة خرج معه إلى مكة ثم إلى

كربلاء، فقتل بها في الحملة الأولى، «٤» وقيل: (له إدراك صحبة النبي (ص)، وكان على شرطه أمير المؤمنين (ع) بالكوفة، وولاه آذربيجان (...). «٥»

٧ (نصر بن أبي النيزر مولى علي (ع) ص : ٤٠٨

: (كان أبو نيزر من ولد بعض ملوك العجم أو من ولد النجاشي. قال المبرد في الكامل: صحّ عندى أنه من ولد مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٩

النجاشي، رغب في الاسلام صغيرا، فأتى به رسول الله (ص) فأسلم، ورياه رسول الله (ص)، فلما توفى صار مع فاطمة وولدها. وقال غيره: إنه من أبناء ملوك العجم، أهدى إلى رسول الله (ص)، ثم صار إلى أمير المؤمنين (ع)، وكان يعمل له في نخله ... ونصر هذا ولده، انضم إلى الحسين (ع) بعد عليّ والحسن (ع)، خرج معه من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء، فقتل بها، وكان فارسا فعقرت فرسه، ثم قتل في الحملة الأولى (ر). «١»

٨ (الحرث بن نبهان مولى حمزة بن عبدالمطلب (ع) ص : ٤٠٩

: (قال أهل السير: إن نبهان كان عبدا لحمزة، شجاعا فارسا، مات بعد شهادة حمزة بسنتين، وانضم ابنه الحرث إلى أمير المؤمنين (ع)، ثم بعده إلى الحسن (ع)، ثم إلى الحسين (ع)، فلما خرج الحسين (ع) من المدينة إلى مكة خرج الحرث معه، ولازمه حتى وردوا كربلاء، فلما شبّ الحرب تقدّم أمام الحسين (ع) ففاز بالشهادة (ر). «٢»

٩ (جون بن حوى مولى أبي ذر الغفاري (ر) ص : ٤٠٩

: (كان جون منضما إلى أهل البيت (ع) بعد أبي ذر، فكان مع الحسن (ع) ثم مع الحسين (ع)، وصحبه في سفره من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق ... فلما نشب القتال وقف أمام الحسين (ع) يستأذنه في القتال. فقال له الحسين (ع): يا جون أنت في إذن مني، فإنما تبعنا طلبا للعافية، فلا تبطل بطريقتنا. فوقع جون على قدمي أبي عبد الله الحسين (ع) يقبلهما ويقول: يا ابن رسول الله (ص)، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم! إن ريحي لنتن، وإن حسبي للثيم، وإن لوني لا سود، فتنفس عليّ في الجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني، لا والله لأفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم. فآذن له

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٠

الحسين (ع) ... ثم قاتل حتى قتل ... فوقف عليه الحسين (ع) وقال: ألهمّ بيض وجهه، وطيب ريحه واحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمّد وآل محمّد (ص). وروى علماؤنا عن الباقر (ع)، عن أبيه زين العابدين (ع) أن بني أسد الذين حضروا المعركة ليدفنوا القتلى وجدوا جونا بعد أيام تفوح منه رائحة المسك (...). «١»

١٠ (عقبة بن سمعان ص : ٤١٠

: كان عقبة بن سمعان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة زوجة الامام الحسين (ع)، وكان في الركب الحسيني الخارج من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق. وقال الطبري في تاريخه: (وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة وهي أمّ سكينه بنت الحسين (ع) فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك. فخلّى سبيله). «٢»

وقد نقل الشيخ عباس القمي (ره) في نفس المهموم «٣» ذلك عن الطبري والجزري. وقال المامقاني (ره) في تنقيح المقال: (وقد ذكره الطبري وغيره من مؤرّخي الواقعة، ويفهم ممّا ذكره أنّه كان عبدا لرباب زوجة الحسين (ع)، وأنّه كان يتولّى خدمة أفراسه

وتقديمها له، فلمّا استشهد الحسين (ع) فرّ على فرس د فاء خذه أهل الكوفة فزعم أنّه عبد للرباب بنت أمّ القيس الكلبيّة زوجة الحسين (ع) فاءً طلق، وجعل يروي الواقعة كما حدثت، ومنه اءخذت أخبارها (...). «٤»

لكنّ بعض علمائنا ذهب إلى القول باستشهاد عقبه بن سمعان في زمرة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١١

شهداً الطّف (رضي) إستناداً إلى ورود التسليم عليه في زيارة الحسين (ع) (أول يوم من رجب وليلته، وليلة النصف من شعبان)، «١» ومن هؤلاء العلماء السيّد أبو القاسم الخوئي (ره) في معجم رجال الحديث حيث قال: (من أصحاب الحسين (ع) ... واستشهد بين يدي

الحسين (ع)، ووقع التسليم عليه في الزيارة الرجبيّة، وعن بعض المؤرّخين من العامّة أنّه فرّ من المعركة ونجا). «٢»

ومنهم الشيخ على النمازي في مستدركات علم رجال الحديث حيث قال:

(عقبه بن سمعان ... من أصحاب الحسين (ع)، وكان معه في كربلاء، واستشهد معه يوم عاشوراء كما ذكره السيّد في عداد الشهداء في الزيارة الرجبيّة ...). «٣»

لقاءات في الطريق ص : ٤١١

إشارة

ومع أنّ الامام الحسين (ع) لزم الطريق الاعظم من المدينة إلى مكّة المكرمة لكنّ الرواية التاءريخيّة لم تحدّثنا عن كثير من تفاصيل هذا السفر، بل لعلّ ما ورد في التاءريخ من ذلك يعتبر نزرًا قليلاً جدًّا، ومنه:

لقاؤه (ع) باءفواج من الملائكة ومؤمنى الجنّ ص : ٤١١

إشارة

نقل العلّامة المجلسي (ره) في بحاره عن كتاب المقتل للسيّد محمّد بن أبي طالب الموسوى قوله: (وقال شيخنا المفيد يا سناده إلى أبي عبد الله (ع) قال: لمّا سار أبو عبد الله من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمة في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٢

أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنّة، فسلموا عليه وقالوا: يا حجّة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله سبحانه أمدّد جدّك بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدّك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتى وبقعتى التى أستشهد فيها وهى كربلاء، فإذا وردتها فاءتوني.

فقالوا: يا حجّة الله، مرنا نسمع ونطع، فهل تخشى من عدوّ يلقاك فنكون معك؟

فقال: لا سبيل لهم على ولا يلقونى بكريهه أو أصل إلى بقعتى.

وأنته أفواج مسلمى الجنّ ...

فقالوا: يا سيّدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بءمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك.

فجزّاهم الحسين خيراً وقال لهم: اءَ وما قراءتم كتاب الله المنزل على جدّى رسول الله (ص): (أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم

في بروج مشيدة)، وقال سبحانه: (لبرز الذين كتب عليهم القتلى مضاجعهم)، وإذا أقمت بمكانى فبماذا يُبتلى هذا الخلق المتعوس؟

وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكرلاء؟ وقد اختارها الله يوم دحا الارض، وجعلها معقلا لشيعتنا، ويكون لهم أمانا في الدنيا والاخرة؟ ولكنّ تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل، ولا يبقى بعدى مطلوب من أهلى ونسبى وإخوتى وأهل بيتى، ويسار برأسى إلى يزيد لعنه الله.

فقال الجنّ: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أنّ أمرك طاعة وأنته لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك!

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤١٣

فقال صلوات الله عليه لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. «١»

«إشارة»: ص : ٤١٣

لنوع المخاطب أثر فى نوع خطاب أهل البيت (ع) مع الغير، وهذه الحقيقة من الحقائق اللّازم استدكارها لفهم وإدراك متون خطاباتهم (ع).

وعلى قدر درجة المخاطب من العقل والایمان والیقین بهم (ع) والتسليم لهم تكون درجة مخاطبتهم (ع) الغير بصريح القضية ومُرّ الحقّ.

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤١٤

وفى هذه الرواية نجد المخاطب من الملائكة ومؤمنى الجنّ، من شيعة أهل البيت (ع) ومن أهل الصدق والاخلاص فى الابهة والنصرة، وعلى درجة عالية جدًا من المعرفة بمنزلة الامام (ع) ومن اليقين والتسليم لا مره، كما هو واضح فى متن المحاوره فى هذه الرواية.

ولذا نجد الامام (ع) يجيبهم بصريح القضية ووضوح تام، إنه (ع) فى هذه المحاوره بمنطق العمق، منطلق الشهيد الفاتح يؤكّد أنه ماضٍ إلى مصرعه المختار (الموعده حفرتي) على الارض المختاره (بقعتي التى أستشهد فيها وهى كربلاء). ويؤكّد (ع) أنّ الامر لا بدّ منه تحقيقا للا الهية فى اختبار (هذا الخلق المتعوس) حتّى يتشخص لهم بوضوح تامّ طريق السعادة من متاهات الشقاء والتعاسة، وليمتاز الحقّ من الباطل تماما بلا شائبة اختلاط وشبهه، حين يتحقّق بذك لك المصراع وعلى تلك البقعة فصل الاسلام المحمّدى الخالص عن الاموية المتلبسة بمسوح الاسلام، وهذا من أهمّ أبعاد الفتح الحسينى المبين، المتواصل على امتداد الزمان، بركة من بركات مصرع (الذبح العظيم)، وفضا من فيوضات ذلك القبر المقدّس الذى اختاره الله يوم دحا الارض مركزا لا شعاع ذلك الفتح، ومعقلا للشيعة الحسينيين على مرّ الايام وأمانا لهم فى الدنيا والاخرة.

ويؤكّد (ع) أيضا أنّ الامر لا بدّ من جريان وقائعه فى إطار الاسباب العادية بعيدا عن خوارق العادة من أسباب ما فوق العادة، ولو كانت الغاية نصرا ظاهريا عاجلا ولا سبيل إلى تحقيقه إلّا بالخوارق فإنّ الامام (ع) بولايته التكوينية العامة يا ذن الله تبارك وتعالى أقدر من الملائكة والجنّ على تحقيق ذلك (نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة (...).

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤١٥

أنصار آخرون يلتحقون بالركب من منازل جهينة ص : ٤١٥

ويروى لنا التاءريخ من وقائع الطريق من المدينة إلى مكة أيضا أنّ جماعة من الاعراب كانوا يلتحقون بالركب الحسينى عند مروره

بمنازلهم، ومن تلك المنازل منازل جهينة (مياه جهينة)، وقد التحق بالامام (ع) منها جماعة، منهم ثلاثة رجال لم ينفصوا عنه فيمن انفض من الاعراب عنه بعد ذلك، بل أقاموا معه ولازموه ولم يتخلوا عنه حتى فازوا بآسمى مراتب الشرف في الدنيا والاخرة حيث استشهدوا بين يديه في الطفّ يوم عاشوراء، وهم:

١ مجمع بن زياد بن عمرو الجهني (ر).

٢ عباد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهني (ر).

٣ عقبه بن الصلت الجهني (ر). «١»

هل لقي الامام (ع) ابن عباس وابن عمر في الطريق إلى مكة؟ ص : ٤١٥

قال ابن الاثير في الكامل: (وقيل إنّ ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا إلى المدينة، فلقيهما الحسين وابن الزبير فساء لاهما: ماورأ كما؟!)

فقالا: موت معاوية وبيعه يزيد!

فقال ابن عمر: لا تفرقا جماعة المسلمين). «٢»

أما الطبري فقال: (فزعم الواقدي أنّ ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورود نعي معاوية وبيعه يزيد على الوليد، وأنّ ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا، وخرجا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جاثين مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٦

من مكة فساء لاهما: ما ورأكما ... «١» إلى آخر خبر ابن الاثير بتفاوت سير.

وأما ابن كثير في تاريخه «٢» فقال: (وقال الواقدي ... ثمّ أورد نفس رواية الطبري بتفاوت سير.

والظاهر أنّ هذه الرواية لم يروها أحد من المؤرخين غير هؤلاء الثلاثة إضافة إلى الواقدي الذي نسبها إليه إثنان منهما!

وقول ابن الاثير في تصدير الرواية: (وقيل)، وقول الطبري: (فزعم الواقدي)، يشعران بعدم اطمئنانهما إلى هذا الزعم وبضعف هذه الرواية، خاصّة وأنهما قد روي في تاريخيهما أنّ عبدالله بن عمر كان في المدينة حينما كان الامام الحسين (ع) فيها قبل خروجه منها. «٣» كما أنّ هذه الرواية مخالفة لما هو مشهور من أنّ عبدالله بن عباس خاصّة كان في مكة حينما دخلها الامام الحسين (ع)، ومن روايات هذا المشهور قول الدينوري في الاخبار الطوال:

(وأما عبدالله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بآيام إلى مكة)، «٤» وقول ابن أعثم الكوفي وقد نقله عنه الخوارزمي: (وأقام الحسين بمكة باقى شهر شعبان، وشهر رمضان، وشوّال، وذى القعدة، وبمكة يومئذ عبدالله بن عباس د وعبدالله بن عمر بن الخطاب (...). «٥»

هذا فضلا عن أنّ هذه الرواية مخالفة لما ذهب إليه جلّ المؤرخين من الفريقين من أنّ عبدالله بن الزبير خرج إلى مكة قبل الامام الحسين (ع)، إذ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٧

خرج ابن الزبير في سواد نفس الليلة التي استدعاه إلى البيعة فيها الوليد بن عتبة، فيكون الفارق الزمني بين مسيره إلى مكة ومسير الامام (ع) ليلتين أو ليلة على الاقل، هذا فضلا عن أنّ ابن الزبير تنكب عن الطريق الاعظم الذي أصرّ الامام الحسين (ع) على السير عليه، ممّا يدلّ على أنّهما لم يجمعهما منزل من منازل الطريق، خصوصا وأنّ ابن الزبير قد جدّ في السير إلى مكة كما يجدّ الهارب حتى أنّ واحدا وثمانين راكبا من موالى بنى أمية طلبوه فلم يدركوه ورجعوا. «١»

إذن فكيف يصح ما في هذه الرواية من أنهما كانا معا حتى لقيهما ابن عباس وابن عمر؟!

هذه الرواية إذن مخالفة للحقيقة التاريخية فضلا عن إرسالها وضعفها. «٢» أميا مارواه ابن عساكر في تاءريخه حيث قال: (وخرج الحسين وعبدالله بن الزبير من ليلتهما إلى مكة، وأصبح الناس وغدوا إلى البيعة ليزيد وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجد... ولقيهما عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة بالابو منصورين من العمرة، فقال لهما ابن عمر: أذكر كما الله إلّا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظرا، فإن اجتمع الناس د عليه لم تشدّا عنهم، وإن افترق الناس عليه كان الذي تريدان... وقال له ابن عياش: «٣» أين تريد يا ابن فاطمة؟! قال: العراق وشيعة. فقال: إنى لكاره لوجهك هذا، أخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤١٨

وملّة لهم؟! أذكر ك الله أن تغرر بنفسك (...). «١»

فهذه الرواية كتلك مخالفة للحقيقة التاريخية أيضا على ضوء المناقشة التاريخية التي قدّمناها في ردّ الرواية الاولى، هذا فضلا عن ضعفها سندا «٢» على الاقلّ بجويرية بن أسماء الذي قال فيه الامام الصادق (ع): (وأما جويرية فزندق لايفلح أبدا). «٣» ولو فرضنا صحّة وقوع المحاورّة الاخيرة في رواية ابن عساكر بين ابن عياش وبين الامام (ع)، فإنّ الدلائل التاريخية تشير إلى أنّ مثل هذه المحاورات التي تحدّث فيها الامام (ع) بصراحة عن توجهه إلى العراق وشيعة هناك لم تقع إلّا في مكة أثناء إقامته فيها أو قبيل خروجه منها، لا- ن الامام (ع) لم يكشف عن نيّة عزمه على التوجه إلى العراق لكلّ محاور إلّا في مكة، وأما في المدينة وفي الطريق منها إلى مكة فلم يكشف الامام (ع) عن هذه النيّة إلّا لمن يتق بهم كأم سلمة رضى الله عنها ومحمد بن الحنفية (ر) مثلا، أما عبدالله بن مطيع العدوى وأمّثاله فكان (ع) لا يكشف لهم إلّا عن توجهه إلى مكة.

وعبدالله بن عياش «٤» هذا لم يعرف له قرب من أهل البيت: أو ولاء لهم، بل

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤١٩

الظاهر من نصّ هذه المحاورّة التي رواها ابن عساكر هو أنّ عبدالله هذا على فرض حصول هذه المحاورّة لم يكن يُحسن حتى مراعاة الادب مع الامام (ع) فضلا عن معرفته إمامته إذ يقول له: (أذكر ك الله أن تغرر بنفسك!)، فهو من نوع عبدالله بن مطيع العدوى بل هو أسوأ منه لأنّ هذا الاخير على الاقلّ كان يحسن مراعاة الادب مع الامام (ع) والتودّد إليه في محاوراته معه.

لقاؤه (ع) مع عبدالله بن مطيع العدوى ص: ٤١٩

يروى لنا التاءريخ لقائين لعبدالله بن مطيع العدوى مع الامام الحسين (ع)، الاوّل في الطريق من المدينة إلى مكة، والثانى على ما في رواية المفيد في الارشاد لما أقبل الامام الحسين (ع) من الحاجز يسير نحو العراق فأنتهى إلى ماء من مياه العرب. «١» وتهمّنا في هذا المقطع من تارىخ حركة الركب الحسينى قصّة اللقاء الاوّل، تقول الرواية التاريخية في متابعتها حركة الامام الحسين (ع) على الطريق من المدينة إلى مكة: (فبينما الحسين كذ لك بين المدينة ومكة إذ استقبله عبدالله بن مطيع العدوى، فقال: أين تريد أباعبدالله جعلنى الله فداك؟

قال: أما في وقتي هذا أريد مكة فإ ذا صرت إليها استخرتُ الله تعالى في أمرى بعد ذلك.

فقال له عبدالله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أنّي أشير عليك بمشورة فاقبلها منّي!

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢٠

فقال له الحسين: وما هي يا ابن مطيع؟

قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك، وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تآتى على نفسه، فالزم الحرم فاءنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك، والسلام.
قال فودعه الحسين ودعا له بخير). (١)

وفى رواية الدينورى فى الاخبار الطوال أن ابن مطيع قال للامام (ع): (إذا أتيت مكة فاءردت الخروج منها إلى بلد من البلدان فإياك والكوفة، فإيتها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك، وبها خذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تآتى على نفسه، بل الزم الحرم، فإن أهل الحجاز لا يعدلون بك أحدا، ثم ادع اليك شيعتك من كل أرض دفسياء تونك جميعا.

قال له الحسين (ع): يقضى الله ما أحب. (٢)

أما ابن عساكر فروى قصة هذا اللقاء على النحو التالى:

(لما خرج الحسين بن على (س) من المدينة يريد مكة مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئر، فقال له: أين فداك أبى وأمى؟ قال: أردت مكة.

قال وذكر له أنه كتب إليه شيعته بها.

فقال له ابن مطيع: أين فداك أبى وأمى؟ متعنا بنفسك ولا تسر إليهم! فاءبى الحسين (ع)، فقال له ابن مطيع: إن بئرى ه ذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢١

خرج إلينا فى الدلو شى من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة!

قال: هات من مائها.

فاءتى من مائها فى الدلو، فشرب منه، ثم تمضمض، ثم رده فى البئر، فاءعذب وأمهى). (١)

من هو عبدالله بن مطيع العدوى؟ ص: ٤٢١

ها نحن فى محضر الامام الحسين (ع) فى الطريق إلى مكة مع مخاطب آخر من نوع آخر، هو عبدالله بن مطيع العدوى، رجل من قريش، همّ العافية والمنفعة الذاتية، وحرصه على مكانة قريش والعرب أكبر من حرصه على الاسلام، وهو ليس من طلاب الحق ولا من أهل نصرته والدفاع عنه، وكاذب فى دعوى مودة أهل البيت (ع) مع معرفته بمنزلتهم الخاصية عند الله تبارك وتعالى، والامام الحسين (ع) يعرفه تمام المعرفة!

ولذا نراه (ع) يمرّ به مرور الكرام ولا يعباؤه، ولا يحدثه بصريح قضية النهضة ولا يكشف له عن تفاصيل مستقبلها كما حدث بذلك أم سلمة رضى الله عنها ومحمد بن الحنفية، (ر) والملائكة، ومؤمنى الجن مثلا، بل حدثه فقط عن مقصده المرحلى (مكة)، ولم يكشف له عن شى بعد ذلك إلا (فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى فى أمرى بعد ذلك!)، أو (يقضى الله ما أحب!).

فى محاورته مع الامام (ع) فى لقائه الثانى به (على ما فى رواية الارشاد) نجد أكبر همّ ابن مطيع هو ألا تنهتك (حرمة العرب وحرمة قريش)، ونجده هنا أيضا يخاطب الامام (ع) قائلا: (فاءنت سيد العرب فى دهرك هذا!) ممّا يكشف عن قوة النزعة العرقية (القومية) فى عقله ونفسيته!

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢٢

ونراه مع معرفته بمنزلة الامام (ع) فى الاسلام وفى الامّة، ومع علمه بحقائقه خروج الامام (ع) لا يندفع إلى نصره الامام (ع) والانضمام إليه، بل يبقى همّ فى ماء بئر كيف يكثر ويحلوا! وبركة الامام (ع)!!

لقد فوّت عليه حبّ العافية والمنفعة الذاتية فرصة العمر النادرة بمرور الامام (ع) به في عدم اغتنامها بنصرته والالتحاق به والفوز بشرف الدنيا والاخرة في الاستشهاد بين يديه، وتسافل بهمه إلى درجة أن انحصر في كثرة ماء البئر وعدوبته!

ونرى ابن مطيع هذا يكشف عن كذبه في دعوى حبه للامام (ع) بعد مقتل الام «١» ام (ع)، حين انضمّ إلى ابن الزبير، وصار عاملاً له على الكوفة، (فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم)، «٢» وقاتلهم في مواجهته لحركة المختار، واستعان عليهم بقتله الامام الحسين (ع) أنفسهم، أمثال شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم!!

وفي أول خطبة له في الكوفة أعلن عن عزمه على تنفيذ أمر ابن الزبير في السير بآهل الكوفة بسيرة عمر بن الخطاب وسيرة عثمان بن عفّان، لكنّه فوجئ بحنين أهل الكوفة إلى سيرة عليّ (ع) ورفضهم للسّير الاخرى، حين قام إليه السائب بن مالك الاشعري فقال له: (أما حمل فيتنا برضانا فإنا نشهد أننا لانرضى أن يُحمل عنّا فضلُه، وأن لا يُقسّم إلّا فينا، وألّا يُسار فينا إلّا بسيرة عليّ بن أبي طالب (ع) التي سار بها في بلادنا هذه حتّى هلك، ولا حاجة لنا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢٣

في سيرة عثمان في فيتنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا، وإن كانت أهون السيرتين علينا... «١»

هل وصلت إلى الامام (ع) رسائل قبيل رحيله عن المدينة؟ ص : ٤٢٣

من الطبيعي أن تكون للامام الحسين (ع) في زمن معاوية مراسلات بينه وبين شيعته في العراق والحجاز وباقي مناطق العالم الاسلامي آنئذ.

لكنّ سؤ النا التحقيق في هذا المجال حول ما إذا كانت هناك رسائل قد وصلت إلى الامام (ع) في غضون اليومين أو الثلاثة قبيل سفره عن المدينة، أي منذ أن جاء نبأ موت معاوية، وطلب منه أن يبايع يزيد، وإلى أن ارتحل (ع) عن المدينة المنورة. هناك ثلاث روايات يوحى ظاهرها بحصول هذا الامر:

الاولى: وهي الرواية التي مرّت بنا عن ابن عساكر في قصّة اللقاء الاول لعبدالله بن مطيع مع الامام (ع)، حيث ورد فيها بعد أن أجاب الامام (ع) ابن مطيع أنّه يريد مكّة قول الراوي إنّ الامام (ع) (ذكر له أنّه كتب إليه شيعته بها).

والمتبادر من ظاهرها أنّ للامام الحسين (ع) شيعه في مكّة قد كتبوا إليه! وهذا ممكن إذا كانت هذه الرسائل قد كتبت وأرسلت قبل يوم وصول نبأ موت معاوية إلى المدينة بآيام، فوصلت إليه (ع) في غضون اليومين أو الثلاثة أيام قبيل سفره عن المدينة، لأنّ المسافة بين مكّة والمدينة في السفر العاجل تقتضى زماميا ثلاثة أيام على الاقل. وأمّا إذا كانت هذه الرسائل قد كتبت واءرسلت إليه (ع) بعد خبر موت معاوية، فلا شك انّها لاتصل إليه في غضون ما قبيل سفره، بلى، قد تصل إليه وهو في الطريق إلى مكّة وقد فصل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢٤

بعيدا عن المدينة، هذا في أحسن الفروض.

لكنّ المتأمل في بقيّة الرواية يجد ابن مطيع بعد ذلك مباشرة يقول للامام (ع): (أين فداك أبي وأمي؟ متعنا بنفس ولا تسر إليهم!). ولا-شك أنّ ابن مطيع لم يمه الامام (ع) عن مكّة، بل نهاه عن الكوفة! ممّا يدلّ على أنّ ه ذه الرسائل المذكورة كانت من الكوفة وليست من مكّة! وهنا يظهر لنا الخلط في متن هذه الرواية بين لقاء ابن مطيع الاول ولقائه الثاني مع الامام (ع)، حيث كان الامام (ع) في اللقاء الثاني قد حدّث ابن مطيع عن رسائل أهل الكوفة، ولم يحدثه عنها في اللقاء الاول، لانها لم تصل إليه إلّا في مكّة، ولانه لم يكن قد وصل إلى مكّة بعد.

الثانية: وهي أوضح في الخلط بين وقائع اللقائين من رواية ابن عساكر، وقد رواها صاحب العقد الفريد، وجاء فيها: (... ومّرّ حسين حتّى

أتى على عبد الله بن مطيع وهو على بئر له، فنزل عليه، فقال للحسين: يا أبا عبد الله، لا سقانا الله بعدك ماءً طيباً، أين تريد؟ قال: العراق! قال: سبحان الله! لم؟ قال: مات معاوية، وجاءني أكثر من حمل صحف. قال: لا تفعل أبا عبد الله، فوالله ما حفظوا أباك، وكان خيراً منك، فكيف يحفظونك؟ ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلا استحللت! فخرج حسين حتى قدم مكة...» (١)

وهذه الرواية مغايرة للروايات الكثيرة التي تحدّثت عن وقائع اللقاء الأول، لقاء ما بعد المدينة، حيث حكّت هذه الروايات أن الامام (ع) لم يصرّح لابن مطيع فيه إلا أنه يريد مكة، ولم يحدثه أنه يريد العراق! ثم كيف يتصوّر أن حملاً من الرسائل يصل إلى الامام وهو في المدينة من مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٥

أهل الكوفة بعد انتشار نباء موت معاوية؟! والثابت تاريخياً أن أهل الكوفة علموا بموت معاوية بعد وصول الامام (ع) إلى مكة بفترة، ثم كتبوا إليه يدعونهم إليهم.

فالزاوي لهذه الرواية على فرض صححتها يكون قد خلط بين مجريات اللقائين خلطاً ظاهراً من حيث يعلم أو لا يعلم! والمقطع به تاريخياً أن رسائل دعوة أهل الكوفة للامام (ع) لم تصل إليه في المدينة، بل في مكة.

الثالثة: وهي الرواية التي حكاها صاحب (أسرار الشهادة) عن بعض (الثقات الادباء الشعراء من تلامذتي من العرب) حسب قوله، وأن هذا الثقة قد ظفر بها في مجموعة كانت تنسب إلى (الفاضل الاديب المقرئ) فنقلها عنها، وهذه الرواية أنه: (قد روى عبد الله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جدّه، أنه قال:

خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين (ع) وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته فقرأه وعرف معناه، فقال: أنظرني إلى ثلاثة أيام. فبقيت في المدينة، ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، فقلت في نفسي أمضى وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب وكيف جلا

له و شأنه «١» ثم يصف ص : ٢٢٥

الراوى كيف أركب الهاشميون محارمهم من عيالات الامام الحسين (ع) على محامل الابل، ثم كيف ركب بنوهاشم والامام (ع). وهذه الرواية على د فرض صححتها (وهي ليست كذلك) «٢» هي الرواية الوحيدة التي تخبر عن وصول رسالة من أهل الكوفة إلى الامام (ع) وهو في المدينة في أيام ما بعد رفضه البيعة ليزيد بعد موت معاوية، أو قبل ذلك بيوم!

ولا شك أن هذه الرسالة تعتبر من رسائل أهل الكوفة إلى الامام (ع) في فترة ما ص : ٢٢٥

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٦
قبل علم أهل الكوفة بموت معاوية، لأن نباء موت معاوية من قرائن تاريخية عديدة لم يصل إلى أهل الكوفة إلا بعد وصول الامام (ع) إلى مكة المكرمة، أو وهو في الطريق إليها.
من كل ما قدّمناه في هذه القضية نستنتج:

أنه لم تصل إلى الامام (ع) وهو في المدينة في غضون أيام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلى حين خروجه عنها أيّة رسالة من أهل الكوفة تُنبئ عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الامام (ع) إليهم، ولا من مكة أيضاً، ولا من سواهما.

على مشارف مكة المكرمة: ص : ٢٢٦

وتواصل رواية الفتوح متابعه مسار الامام الحسين (ع) بركب الشهادة من المدينة إلى مكة حتى مشارفها من بعيد حيث تبدو جبالها للناظر، فتقول:

(وسار حتى وافى مكة، فلما نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية:

(ولما توجه للقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سوا السيل). «١»

وتقول رواية الاخبار الطوال:

(ثم أطلق عنانه ومضى حتى وافى مكة، فنزل شعَبَ على...). «٢»

وتقول رواية ابن عساكر:

(فنزل الحسين دار العباس بن عبدالمطلب...). «٣»

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهايزة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقليين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أُخرَ

(ه) إنتاج المُنتَجَات العرضية، الخَطَابَات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإِطْلَاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كَشِك، و الرّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعىة و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنّة

المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية"
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحية، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولىّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

